LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

مرايا التراث

العدد السادس عشر – ربيع/صيف ٢٠٢٢



مَلَفّ العدد

- أضواء جديدة على لبنان الكبير
- «دليل بيروت» قبل ١١٢ سنة
- بيروت أيقونة الحجاج
- جبل لبنان يرفض المس باستقلاله

- منير البعلبكي موسوعي رائد
- اليونسكو: التراث غير المادي
- الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة
- داود بركات لبناني رائد في مصر

مرايا التراث

أَكاديميّة مُحَكَّمَة تَصدر مرتين في السنة

يَنشُرُها

مركز التراث اللبناني

في

الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU

رئيس التحرير المسؤُول/مدير المركز

هنري زغيب

الهيئَة العِلْميَّة

الأَساتذةُ الدُّكاترة (ترتيبًا أَبجديًا بِاسْم العائِلة):

ناديا اسكندراني | جامعة بيروت العربية | رئيسة قسم اللغة الفرنسية وآدابها

سامي بارودي | الجامعة اللبنانية الأَميركية | أُستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدُولية

رمزي بعلبكي | الجامعة الأَميركية | أُستاذ كرسيّ الدراسات العربية

وحيد بَهْمَردي | الجامعة اللبنانية الأميركية | رئيس دائرة التواصُل والفُنُون واللُغات

كاتيا جنيناتي | الجامعة اللبنانية الأَميركية | عميدة كُلية الآداب والعلوم

نضال الأميوني دكّاش | الجامعة اللبنانية الأميركية | أستاذة الآداب والعلوم الإنسانية

أَهيَف سنو | جامعة القديس يوسف | أُستاذ الدراسات العربية والإِسلامية

أَنطوان قسّيس | جامعة الرّوح القدس-الكسليك

الإِدارة والتحرير

مركز التراث اللبناني - الجامعة اللبنانية الأَميركية - قريطم - بيروت

هاتف: ٦٤ ٦٤ ٧٨ ١ ٩٦١ + (المقسّم ١٦٠٠)

ص ب: ٥٠٥٣ - ١٣ بيروت - لبنان

clh@lau.edu.lb

www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

مجلة مرايا التراث Facebook: Mirrors of heritage

تصميم و إخراج STRATCOM–LAU

الغلاف: تراثنا البحري ثروة تاريخية

مرايا التراث

العدد السادس عشر - ربيع/صيف ٢٠٢٢

٣ **أُولى الـ«مرايا» - هنري زغيب**
تحية الوفاء في الذكرى العشرين

تراثنا اللُغويّ

٨ **د.رمزي منير البعلبكي**
منير البعلبكي ١٩١٨ – ١٩٩٩

تراثُنا غير الماديّ

١٨ اليونسكو: هذا هو التراث غير المادي

مَلَفّ العدد

تراثنا التاريخيّ

٢٨ «دليل بيروت» قبل ١١٢ سنة

٣٧ **د. عبدالرؤوف سنُّو**
لبنان الكبير بين تَبَرُّج الصراط وتَدَرُّج الانخراط

٥٧ **د. بيار مكرزل**
بيروت أيقونة الحُجَّاج إلى الأراضي المقدسة

٧٦ **د. وسام اللحام**
جبل لبنان يعارض السلطنة العثمانية ويرفض المَسّ باستقلاله

تراثنا الأدبيّ

٨٢ **د. جوزف لبُّس**
الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة: جذور وأجنحة

تراثنا الصحافيّ

١٠٤ **د. رياض نخول**
داود بركات: قلمُهُ في مصر، قلْبُه في لبنان

Literary Heritage

١٣٠ **Translated by Adnan Haydar**
The Future of the Arabic Language by Kahlil Gibran

Patrimoine Maritime

١٤١ **Eddy Choueiry**
À la recherche du patrimoine maritime perdu

تحية الوفاء في الذكرى العشرين

هنري زغيب
رئيس التحرير

بأَيِّ كلام أُكَبْسِلُ شُكراني*، حِيال هذا الفيض من العاطفة النبيلة، أَن يمنَحَنِيها رئيسُ الجامعة بكلمته/الوسام، وأَن تمنحُونيها بحضوركم اليوم، احتفاءً بهذه الذكرى الغالية في هذا الجامعة العالية، ذكرى يوم، في تاريخها وتاريخي، كان يَضوع سنيًّا بأَنقى هبات الضَوْع! يومَها، كان شَعري أَقلَّ خريفًا، وشِعري أَكثرَ ربيعًا، فتَبِعْتُ ربيعي.

يومَها، في هذه القاعة بالذات، على هذا المنبر بالذات قبل عشرينَ سنةً بالذات (٢٠٠٢) أَعلنْتُ شُروقَ «مركز التراث اللبناني» وليدًا جديدًا لأُمِّه الجامعة مع الخطوات الأُولى من الأَلفية الثالثة في الأَشعة الأُولى من شمس القرن الحادي والعشرين.

يومها، كان الطموحُ عاليًا كشلْح أَرزة يطلُّ عن عَلْوةِ قمةٍ من جبين لبنان. طموحٌ آمَنَت به الجامعة فبات عليَّ أَكونُ عند ثقة الربابنة، وأَقلع مركب «المركز» مؤْتَزِرًا بإيمانه أَنْ يؤَدِّي رسالتَين: حفْظَ تراث لبنان والحفاظَ عليه.

أَما حفْظُه، فتجمَّعَ منه حتى اليوم ما تجمَّع، مخطوطاتٍ ومحفوظاتٍ وكتبًا ومنشوراتٍ نادرةً ومجلاتٍ وصُحفًا محتجبةً، ومقتَنَياتٍ شخصيةً عهد بها ذوُوها إلى المركز ليحفَظَها كنوزَ تراثٍ، فَفَعَل.

وأَما الحفاظُ على التراث، فعانقَه «المركز» في أَكثرَ من غمرةِ حرصٍ دَؤُوب وأَكثرَ من بادرةٍ ونشاطٍ، منشوراتٍ متتابعةً في ٤٠ كتابًا، ندواتٍ تخطَّت المئة واستضافت على منبر الجامعة في عشرين سنةً مئاتِ

* كلمة رئيس التحرير في الذكرى العشرين (٢٠٠٢–٢٠٢٢) لتأْسيس «مركز التراث اللبناني» في الجامعة. وكان الاحتفال مساء الإثنين ٢٨ آذار ٢٠٢٢ في مسرح إيرون، افتتحه رئيس الجامعة الدكتور ميشال معوَّض، تخلَّلَتْه فواصلُ موسيقية عزفها الفنان ناصر مخول على آلات تُراثية من صُنعه، وعروضٌ على الشاشة لأَبرز مفاصل «المركز» وإنجازاته ومنشوراته خلال عشرين عامًا. وتولَّت تقديمَ الاحتفال السيدة برت مقادسي.

المحاضرين انتدَوا في أَوسع واحةٍ عن مفاصل التراث اللبناني، ماديِّه وغيرِ المادي، بحضور جمهور تنامى حتى أَدمَن موعدَه شهريًّا إِلى «مركز التراث اللبناني».

وتوسَّع النشاطُ أَكثر، فوُلِدَت للمركز ابنةٌ جميلةٌ بهيَّة سمَّاها مجلة «مرايا التراث»، بلغَت اليوم خمسة عشر عددًا دوريًّا وعددَين خاصَّين، والسادسَ عشر يتهيَّأُ ليولد بعد أَسابيع. وإِذ جايل «المركز» التقدُّم الإِلكتروني، وَلَد تطبيقًا إِلكترونيًّا للتراث، وصفحةَ فايسبوك خاصةً لابنته المدلَّلة مجلة «مرايا التراث».

وكان لجبران حيِّزٌ خاصٌّ في قلب «المركز»، فخصَّص له ندوات ومحاضرات ومؤْتمرات في بيروت وباريس وميريلند ونيويورك.

وحين توقَّفت الحركة في البلاد أَمنيًّا وكورونيًّا لم يتوقَّف «المركز». وعلى صورة أُمِّه الجامعة التي لم تتوقَّف بل أَكملَت إِلكترونيًّا، نسَجَ «المركز» عشرين ندوةً إِلكترونيةً عن بُعد كي لا يتوقَّفَ حرصُه على حضْن التراث.

وها هو اليوم يحتفل معكُم ببلوغه العشرين من سنواتٍ خيِّرات مثمراتٍ بخميرةِ الوزْنات التي اؤْتُمِنَ عليها فضاعَفَها وكثَّرها وبذَرَها في الوسط الثقافي اللبناني مناراتٍ تشِعُّ بالنقيِّ الخالد من تراث لبنان.

لكنَّ كل هذا ما كان يُمكن أَن يتِمّ لولا رعايةُ الجامعةِ الأُم بعنايتها ودعمها واهتمامها، فرعى «المركزَ» منذ ولادته ثلاثةُ رؤَساء آمَنُوا به واغتبَطوا أَنه لم يُخيِّبْهم: أَولُهم الرئيس الدكتور رياض نصار في آخر سنتَين من ولايته، ثانيهم الرئيس الدكتور جوزف جبرا الذي، حين ليسَ على سفَر، لم يَغِب عن أَيِّ نشاطٍ لـ «المركز»، يرعى ندواتِه، يكتُب مقدِّمات منشوراته، يترأَّسُ لقاءاتِه الإِدارية والتراثية، يدعمُه حَدبًا واندفاعًا. وفي ولايته الرئاسية المباركة ستَّ عشْرةَ سنةً، بلَغ «المركز» شأْوًا أَوسعَ من حدود الطموح. وإِذ نعِمَت الجامعة برئيسها الحالي الدكتور ميشال معوض، اختصاصيِّ جراحة الدماغ، رفَدَ دماغَ «المركز» بنبْض ساطع سوف يُكمِل به على هدْي راعيه الرئيس معوَّض الذي أَشهد أَنه، كما سَلَفُه الرئيس جبرا، لا يَذهب إِلى النوم إِلاَّ بعد انقضاء الساعة الخامسة والعشرين.

كلُّ هذا: ما كان حتى اليوم من تاريخ «المركز». لكنَّ «مركز التراث» لا يُصرِّف فعلَ الماضي وينامُ على سنواته العشرين وإِنجازاتها، بل هو وُلِدَ من ذاكرة الغد ليُصرِّفَ فعل الآتي من السنوات، مُؤْمِنًا بأَن الحلْمَ أَولُ نافذة على المستقبل. لذا يخطِّط منذ اليوم لتحقيق أَحلامٍ أَقلُّها أَكثرُها

طموحًا: منها أَنه، بعد ضُمّة أَشهر، يستقبل سنة ٢٠٢٣ بباقة تحضيرات جبرانية تُحْيي المئَوية الأُولى لكتاب «النبي»، ومنها أَنه بعد غَمْزتَين من الزمن، سنة ٢٠٢٤، يتهيَّأُ للمشاركة في احتفالات المئوية الأُولى لتأْسيس هذه الجامعة.

وبين ضُمَّة الأُشهر وغمزَتَي الزمن يواصل «المركز» عملَه اليومي، مفاخرًا بانتمائه إِلى أُسرة أُمه الرائعة LAU، ومهيئًا لإِطلاق «متحف LAU الإِلكتروني للتراث اللبناني» (الأَوَّل من نوعه في لبنان)، ومهيِّئًا كذلك مشروعًا أَكاديميًّا يقدِّمه قريبًا لرئاسة الجامعة بإِدراج التراث اللبناني في مناهجها التعليمية مادَّةً لطلاَّبها. وهنا، أَضرَع أَن يَمُدَّني العمرُ بضعَ سنواتٍ بعد، حتى أَشهدَ اليومَ الذي أُصافح فيه يدَ مَن سيَحمل/ستَحمل أَوَّلَ شهادة دكتوراه في التراث اللبناني، وعلى جبين الشِهادة شعارُ LAU.

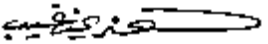
كلُّ هذا هو الدمُ الحيّ، لكنَّ للدم قنَواتٍ وعُروقًا لا تكون بدونها حياة، وهي في الجامعة فروعٌ ودوائرُ إِداريةٌ وماليةٌ وتقْنيةٌ وفنيةٌ ذاتُ فضل على «المركز». فالشكر لأُسرة الجامعة، نوابَ رئيس ومسؤُولين وموظَّفين وزُملاءَ ومتعاونين وعمَّالاً، والشكرُ للأَساتذة أَعضاء اللجنة العلمية المحكِّمةِ مجلةَ «مرايا التراث»، ولكتَّابها جميعًا وجميعُهم أَكاديميون مكرَّسون، والشكرُ لوسائل الإِعلام، مكتوبِه ومرئيِّه والمسموع، لم تَغِبْ مرةً عن حدَثٍ لـ«المركز» فساهمَت منصَّاتها في نشْر رسالته.

وأَشكر اليوم زملائي في هذا الاحتفال: مجموعة «الفنانين» الذين اسمُهم ناصر مخول، الزميلة السيِّدة برت مقادسي، وكلَّ من ساهم إِداريًّا وفنيًّا في إِنجاح هذا الاحتفال.

عشتم جميعًا

عاشت أُمُّنا LAU

عاش تراثُ لبنان الخالد خلودَ لبنان اللبنانيّ



مدير المركز/رئيس التحرير

شُروط النشر في مجلة «مرايا التراث»

يَهمُّ مجلة «مرايا التراث»، إدارةً وهيئةً علْمية، أَن تلفت الباحثين إِلى التالي:

١. أَن يكون البحثُ المُرسَل أَصيلاً في بابه، غيرَ منشورٍ أَو مرسَلٍ للنشر في مجلة أُخرى.

٢. اعتماد المنهجيّة العلميّة المُتعارَف عليها في المجلات العلميّة المُحكّمة: التوثيق في كتابة الحواشي والأُصـول والمصادر والمراجع والمُختصَرات العلميّة.

٣. عدم التهجُّم الشخصي وإِلماحات الأَدلجة والإِسقاطات غير المُسنَدة في مقاربات البحث.

٤. جميع الأَبحاث المُقَدَّمة إِلى المجلة تَخضع لتحكيم اللجنة العلمية، وقد تستعين إِدارة المجلة عنَد الحاجة بهيئة اختصاصيين تبقى أَسماء أَعضائها طيّ الكتمان وفق العُرْف الأَكاديمي.

٥. يُرسل الباحث مع نصه ملخَّصًا عنه في نحو ٢٠٠ كلمة بغير لغة بحثِه (بالإنكليزية تفضيلاً أَو بالفرنسية) تسهيلاً لفَهرسة المجلة وأَبحاثِها في البيبلَيوغرافيا العالَمية.

٦. تحتفظ إِدارة المجلة بِحَقّ النشر أَو برفض أَيِّ بحث لا يستوفي شروطَ النشر أَعلاه.

٧. لا تتبنى إِدارةُ المجلة واللجنةُ العلميّة الآراءَ الـواردةَ في الأَبحاث المنشورة، وتبقى هذه على مسؤُوليّة كُتّابها.

٨. يَحصل كلُّ باحثٍ على ثلاث نُسَخ من العدد عند صدُوره، وعلى نسخةٍ إِلكترونية من بحثه.

٩. تَشكُر إِدارةُ المجلة واللجنةُ العلميّة تعاونَ الباحثين في احترام شروط النشر، حفاظًا على المستوى العلْمي في نهج الجامعة، وخدمةً لنصاعة الذاكرة التراثيّة في لبنان.

١٠. يُرسل الباحثون نصوصَهم باسم رئيس التحرير على هذا العنوان:

مجلة «مرايا التراث» – مركز التراث اللبناني
الجامعة اللبنانية الأميركية – قريطم – بيروت

أَو إِلكترونيًّا على عنوان «مركز التراث اللبناني»: clh@lau.edu.lb

تراثنا اللُغويّ

د .رمزي منير البعلبكي
منير البعلبكي ١٩١٨ – ١٩٩٩

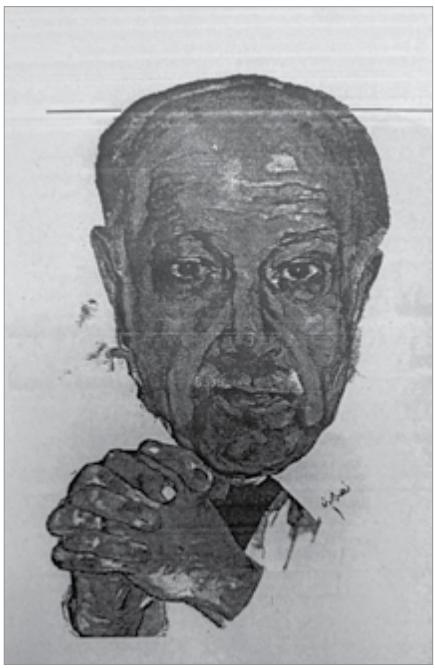
منير البعلبكي
١٩١٨ – ١٩٩٩

د.رمزي منير البعلبكي

هو

وُلد سنة ١٩١٨ في بيروت من أسرة بيروتيّة مرموقة. تلقّى علومه الأولى في مدارس جمعيّة المقاصد، ثم انتقل في سن التاسعة إلى المدرسة الابتدائيّة التابعة للجامعة الأميركيّة في بيروت، قضى فيها سنتَين انتقل بعدهما إلى القسم الاستعداديّ (لاحقًا الإنترناشونال كولدج .I.C). أُولع منذ سنوات دراسته تلك باللغة العربيّة والأدب العربيّ، وكان لأستاذه كنعان الخطيب أثر واضح في ذلك: تعهّده بالرعاية وجعله خطيب حفلة التخرّج من القسم الاستعداديّ في العام ١٩٣٤. ثمّ التحق بالجامعة الأميركيّة في بيروت متخصّصًا بعلوم العربيّة والتاريخ الإسلاميّ، وتخرّج منها عام ١٩٣٨. من أبرز الذين درس عليهم في تلك الفترة الدكاترة قسطنطين زريق وأنيس الخوري المقدسي وأسد رستم وجبرائيل جبّور.

تحدّث عن مدينته بيروت بمحبّة ظاهرة وحنين بالغ: «كانت بيروت يومذاك مدينة أشبه بقرية كبيرة. وكان الناس يعيشون فيها حياةً بسيطة لا تعرف الغشّ أو الخداع، ولا تحتمل النفاق والرياء. كانت تمتدّ امتدادَ خطّ الترامواي من الحرش إلى البرج من ناحية، وامتداده من فرن الشبّاك إلى باب إدريس فالجامعة الأميركيّة من ناحية أخرى. وأذكر أنني كنتُ وأخي نقطع المسافة من بيتنا إلى الجامعة الأميركيّة سيرًا على الأقدام، توفيرًا لأجرة الترامواي التي كانت لا تزيد عن القرشين ونصف القرش. وكانت ثمّة آنذاك طريقة لتوفير الأجرة يدعونها «البِاس» (أو الجواز) يدفع الناس قيمته كلّ شهر في إدارة الترامواي عند آخر طريق النهر الذي كان ثالثَ خطوط الترامواي في بيروت. وكان من تقاليد أهالي بيروت في أيّامنا تلك: الاحتفال بيوم «أربعاء أيّوب»، فكنّا نقصد شواطئ البحر حاملين معنا «زوّادتنا» من بيضٍ وبطاطا مسلوقَيْن وعُلَب سردين وسواها، أو نقصد الرمال، في ما يُعرفُ اليوم بـ«الطريق الجديدة» حيث «نُطَيِّر» طائرات ورقيّة مصنوعة من طلحيّات ورق ملوّن وقصب وذيل مزركش، محاولين التباري في العمل على جعل هذه الطائرات تحلّق في كبد



منير البعلبكي: عراقة السيرة والمسيرة

السماء. ومن معالم بيروت القديمة: «الحرش»، كنّا نقصده أيّامَ عيد الفطر الثلاثة، وأيّام عيد الأضحى الأربعة، فنمتطي الخيول الخشبيّة وندور في الدوّامات المسماة «جنزوقة» ونشتري «المعلَّل الملوّن» و«كبيس اللفت» مع «الخردل» أو نشتري التفاح المغموس بالسكّر».

في العام ١٩٤٠ لبّى دعوةَ مدير المعارف في العراق، الأستاذ ساطع الحصري، للتدريس في دار المعلّمين لدى كلّيّة الملك فيصل في بغداد. ثمّ انتقل في السنة التالية إلى دمشق للتدريس في الكلّيّة العلميّة حيث قضى ثلاث سنوات تلَتْها دعوتُه إلى بيروت للتدريس في «كلّيّة البنات الأهليّة» و«كلّيّة المقاصد الإسلاميّة» وغيرهما، ثمّ في الجامعة الأميركيّة في بيروت حيث درَّس مادّتي الأدب العربيّ والتاريخ الإسلاميّ للصفّين الجامعيّين الأوّل والثاني.

خلال تلك الفترة، في العام ١٩٤٥ تحديدًا، أسَّس مع زميله بهيج عثمان (وكان سكرتير تحرير مجلّة «الأديب» لألبير أديب) مؤسّسة ثقافيّة للتأليف والترجمة والنشر أسماها «دار العلْم للملايين»، حتى إذا اشتدّ ساعدُها تَخفَّف من أعباء التدريس الثانويّ والجامعيّ وانصرف إلى الترجمة والتأليف.

أوّل ما أصدره من تلك الدار، ابتداءً من العام ١٩٤٥، سلسلةُ كُتُب مترجَمة أشهرها «سلسلة علم النفس»، وكتاب «العرب: تاريخ موجز» لفيليب حتّي (أستاذ اللغات الشرقيّة في جامعة پرنستون الأميركيّة). وعن «دار العلْم للملايين» صدرَت مجلّة «الآداب» عام ١٩٥٣ (كان البعلبكي أحد أصحاب امتيازها)، ومجلّة «العلوم» سنة ١٩٥٦ (تولّى البعلبكي رئاسة تحريرها منذ نشأتها حتى ١٩٧٢). ونشر البعلبكي في مجلّة «المكشوف» (المجلّد الرابع، سنة ١٩٣٨) دراسةً مطوّلة في سبعة أجزاء عن «ألف ليلة وليلة» تعقَّب فيها أصولَ هذا الكتاب وَرَدَّها إلى الفرس والهنود والعرب.

المترجم



منذ تأسيسِه «دارَ العلْم للملايين» انقطع إلى الترجمة والتعريب فأصدر أكثر من ١٠٠ كتاب مترجَم، من أشهرها في الأدب العالميّ: «البؤساء» لفكتور هوغو، «قصّة مدينتَين» و«أوليڤر تويست» لتشارلز ديكنز، «كوخ العمّ توم» لهاريت ستاو، «الشيخ والبحر» و«ثلوج كِلِمانجارو» و«وداعٌ للسلاح» لإرنست همنغواي، «أرض اللّه الصغيرة» لإرسكين كالدويل، «جين إير» لشارلوت برونتي، «العَقِب الحديديّة» لجاك لندن، «الأرض الطيّبة» لپيرل باك، «العاقر» و«شارع السردين المعلّب» لجون شتاينبك، «حكايات من إيطاليا» لمكسيم غوركي، «حياتي» لأنطون تشيخوف، «المسخ» لفرانز كافكا. ومن ترجماته المعروفة في المجالات الفكريّة والاجتماعيّة: «قصة تجاربي مع الحقيقة» و«قصة اللاعنف في جنوب أفريقيا» للمهاتما غاندي، و«عند قَدَمَيْ غاندي» لراجندرا براساد (أوّل رئيس لجمهورية الهند)، «دفاع عن الإسلام» للورا فاغلييري، «تاريخ الشعوب الإسلاميّة» لكارل بروكلمان، «الإسلام والعرَب» لروم لاندو، «روّاد الفكر الاشتراكيّ» للپروفسور ج. هـ كول، علاوةً على كتب كثيرة في تاريخ الفكر والحضارة والفلسفة.





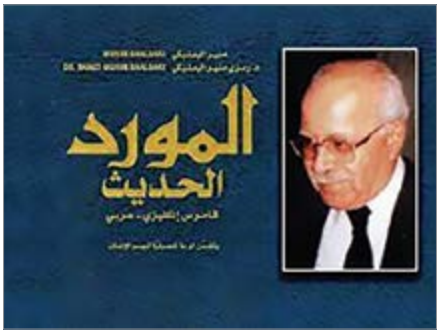
عُرِفَت ترجمات منير البعلبكي بالدقّة والأمانة وروعة الأسلوب العربيّ، ما أكسبه لقب «شيْخ المترجِمين العرب». يقول الأستاذ أحمد شفيق

الخطيب: «الأستاذ بعلبكي، تُرجمانًا، أَدخَل الترجمة إلى عصر جديد يَحتفظ فيه العملُ القصصيُّ أو الروائيُّ أو الاجتماعيُّ بروحه الأصليّة، فتَشعر أنّك تقرأُه في لغة أصلٍ لا في لغةِ ترجمة. العالم العربيّ عرفَ منير بعلبكي، أوّلَ ما عرفه، كأحد المترجمين العرب الكبار بل أحد ثلاثتِهم كما وصفه عميد الأدب العربيّ طه حسين، من خلال الروائع التي انتقاها للترجمة من عيون الأدب وقمم الفكر العالميّ» (كلمة «المجمع»، ص ٢٢٨).

المعجميّ

انطلاقًا من معاناته في الترجمة أدرك منير البعلبكي أنّ المعاجم الإنكليزيّة-العربيّة التي كان يستعين بها في عمله – على فائدتها وجهد أصحابها – لم تكُن تَفي بحاجة المشتغِل في حقل الترجمة ولم تبلغ شَأْو الصناعة المعجميّة في الغرب. وكان البعلبكي، منذ أوّل عهده في الترجمة، يدوّن على هوامش معاجمه الإنكليزيّة-العربيّة ما تخلو منه تلك المعاجم من كلمات وعبارات اصطلاحيّة يقع عليها فيجتهد في ترجمتها. ذكَر ذلك في تصديره الطبعةَ الأولى من قاموس «المورد» (١٩٦٧): «... وهكذا اجتمعَتْ لي ذخيرةٌ ملحَقَة بكلٍّ من هذه المعاجم، يسَّرَت لي عملي في حقل الترجمة ووفّرَت عليّ من الوقت والجهد اللذين كنت أُنفقهما في مراجعة الأمّهات الإنكليزيّة». وكانت تلك «الذخيرة» نواةَ معجم «المورد» الإنكليزيّ-العربيّ الذي صار أوسعَ المعاجم انتشارًا في العالم العربيّ وأبعدَها أثرًا في الطلاّب والمترجمين والباحثين. كان الغرض من تأليف هذا المعجم، كما يقول البعلبكي في تصديره، أن يقدِّمَ للقارئ العربيّ «معجمًا شاملاً يغْنيه عن العودة المستمرّة إلى المعاجم الإنكليزيّة التماسًا لمادّة لم يقع عليها في المعاجم الإنكليزيّة-العربيّة، أو بحثًا عن معنى بعينِه من معاني تلك المادّة، علاوةً على معرفة المصطلح العربيّ المقابل لكل معنى من تلك المعاني».

ما يميّز العمل المعجميّ عند البعلبكي أنّه جعله يرقى إلى مستوى الصناعة المعجميّة، انطلاقًا من منهج صارم ألزم به نفسه في تأليفه، من أركانه: النصُّ على طريقة لفظ الكلمات، وتمييزُ أنواعها الصرفيّة، وسردُ المعاني متتابعةً بحسب الأنواع الصرفيّة، وترتيبُ المعاني كلِّها على أساس تسلسلها التاريخيّ، وتصنيفُ معاني المادّة الواحدة وتقسيمُها إلى أُسَر أو زُمَر تدلّ عليها تقسيمات داخليّة ضمن المادّة، والإكثارُ من شواهد الاستعمال إيضاحًا دَورَ السياق في تحديد المعنى، والعنايةُ بالعبارات

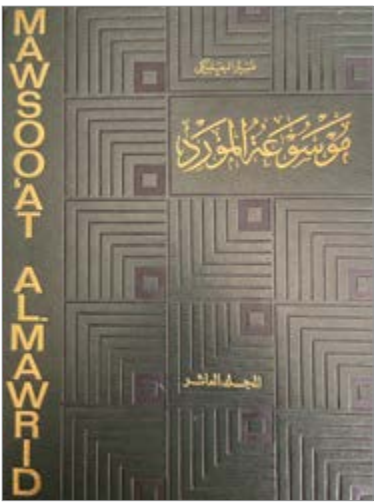


الاصطلاحيّة التي ألحقها بموادّها ودعمها بأمثلة وشواهد كثيرة. إلاّ أنّ الإسهام الأكبر للبعلبكي في عمله المعجميّ هو إصرارُه على أن يكون لكلّ كلمة، بل لكلّ معنى من معانيها حيثما تدعو الحاجة، مصطلَحٌ عربيٌّ، استدراكًا لعيب أساسيّ في معاجم إنكليزيّة-عربيّة كثيرًا ما تُورِد شرحًا للمادة وتهمل المصطلح المناسب، أو تستخدم مصطلحًا واحدًا لكلمتَين إنكليزيّتَين أو أكثر، أو تأتي بعدّة كلمات عربيّة إزاء لفظ إنكليزيّ واحد، ما يُفضي إلى اضطراب شديد ينعكس سلبًا على دقّة الاستعمال العربيّ لدى المترجمين والكتّاب والطلَبة. ولمّا لم يكن كثير من الكلمات ومن ظلال معانيها يحظى بوجود مصطلَح عربيّ مقابل، عمد البعلبكي إلى الاجتهاد في وضع مصطلحات مبتكَرة وقَع معظمها موقعًا حسنًا عند الناس فدخَل في حيّز الاستعمال وصارت له سيرورة. ولا يَخْفى ما لذلك من أثر بعيد في ترسيخ الفصحى من حيث قدرتُها على الحركة، وعلى الوفاء بمطالب الحياة في مختلف وجوهها ومظاهرها. ومن إسهام البعلبكي في مجال المصطلحات: مشاركتُه المستمّرة في أعمال «مجمع اللغة العربيّة» في القاهرة (انتُخب عضوًا فيه في العام ١٩٨٤) بأبحاث كثيرة أعدّها واقتراحات قدَّمها لـ«المجمع» في شتّى مصطلحات العلوم.

ولَمّا كان العمل المعجميّ الجدّيّ خاضعًا لنواميس التطوّر والترقّي، كان البعلبكي، في كلّ طبعةٍ من طبعات «المورد» السنويّة، يضيف عشرات الكلمات والمعاني المستجدّة ينصّ على بعضها في مطلع الكتاب. وعقَد العزم على إعداد معجم إنكليزيّ-عربيّ ضخم يبلغ حجمُه أربعةَ أضعاف حجم «المورد»: «قِوامه الخُطّة التي وُضعت للمورد أصلاً، مع توسيع مادّته وشروحه وأمثلته، وتضمينه خصائصَ لم يُسبق إليها في المعاجم العربيّة ثنائيّة اللغة» (مقدمة «المورد الأكبر»، ص ٥). من أهمّ تلك الخصائص: الاستيعابُ في الموادّ والعبارات الاصطلاحيّة، استيفاءُ الشرح لإضافة معانٍ ومدلولات مستحدثة في الاستعمال، ترتيبُ المعاني بحسب تسلسلها التاريخيّ، النصُّ على مصطلَح بعينه في كلّ مادّة أو في كلّ معنى متفرّع من مادّة رئيسيّة، الإكثارُ من الأمثلة الإيضاحيّة والشواهدِ المنسوبة إلى أصحابها، الاهتمامُ بمصطلحات العلم والحضارة ولا سيّما ما استجدّ منها في العقود الأخيرة في الطبّ والفيزياء والإلكترونيّات والكمبيوتر

إلخ، ذكْرُ المرادفات والأضداد في مواضع كثيرة، تحديدُ زمن وضع الكلمة في الاستخدام، تأثيلُ الكلمات بإيراد الأصول التي أُخِذَت منها. هكذا غدا هذا «المعجم» موسوعيًّا باشتماله على موادّ موسوعيّة تُكمل الموادّ اللغويّة التابعة لها من أسماء حيوانات أو نباتات أو عناصر كيميائيّة أو عصور جيولوجيّة أو حركات أدبيّة إلخ، علاوة على المداخل المخصّصة لمشاهير الرجال والنساء من قدَماء ومُحْدَثين، وللأعلام الجغرافيّة وأعلام الميثولوجيا القديمة، على طريقة كبرى المعاجم الإنكليزيّة-الإنكليزيّة. أنجز البعلبكي القسم الأكبر من هذا «المعجم» ثم أعدَّه وراجعه وأكملَه نجلُه، كاتب هذه الترجمة، وصدرَت نسخته الأولى في العام ٢٠٠٥.

الموسوعيّ



أصدر البعلبكي «موسوعة المورد» الإنكليزيّة-العربيّة بين العامين ١٩٨٠ و١٩٨٣، في عشرة أجزاء مع جزء خاصّ بالفهارس، وهي نتيجةُ جهدٍ استمرّ ثلاث عشرة سنة من العمل الدؤوب. رتّبها على أساس المصطلح الإنكليزيّ لأسباب عدّة، أوّلها أنّه أرادها مكَمِّلةً قاموسَ «المورد» الإنكليزيّ-العربيّ وموسِّعةً موادَّه العلميّةَ والفنّيّة؛ وثانيها أنّ الكثرة الكبيرة من موادّ الموسوعة تَرِد في الكتب الجامعيّة والمصادر المتداوَلة بصيغتها الإنكليزيّة، ما يجعل الموسوعة المرتَّبة على أساس المصطلحات الإنكليزيّة أقربَ منالاً وأيسرَ مأخذًا؛ وثالثها أنّ آلافًا من المصطلحات العلميّة العربيّة لا تزال قلقة مترجرجة وخاضعة لاجتهادات المُعْجَمِيّين والمَجْمَعيّين المتفاوتة، وأنّ آلافًا منها لم تَسِرْ بعدُ على الألسن والأقلام (مقدّمة «موسوعة المورد» ج١، ص ٧–٨). وكان البعلبكي يدرك أنّ الموسوعة العربيّة المرجوّة يجب أن تكون بمستوى الموسوعات العالميّة



حجمًا ومادّة وشروحًا، وأنّ هذا العمل الجبّار إنّما تقوم به المجامعُ اللغويّة وترعاهُ المؤسّسات والحكومات (مجلّة «الراية»، ١٩٩٩/١/٢٨، ص ٣٨). أراد أن يُثبت، كما كان يحلو له أن يردِّد، أنّ فردًا بعينه قد يستطيع إنجاز موسوعة متوسّطة الحجم إذا هو تنكّب مشقّة البحث والتمحيص في المصادر على اختلافها، وأتقَن اختيار أفضل ما في كلّ منها، واجتهد في وضع المصطلحات العربيّة المقابلة، فلا يجوز أن تَنُوءَ المجامع بمثل هذه المهمّة الجليلة.

حاول البعلبكي في عمله المعجميّ والموسوعيّ أن يرقى بصناعة المعجم في العالم العربيّ إلى مستوى عالميّ. وفي ذلك يقول أحمد شفيق الخطيب: «المُعْجَمِيّون عندنا، قبل منير البعلبكي، كانوا في غالبيّتهم مُفرداتيين lexicologists، وبـ«مورد» البعلبكي تَعَرّفنا الصناعة المعجميّة وفنّ التأليف المعجميّ العربيّ. لقد كان، طيّب اللّه ثراه، رائدًا في مضمار الصناعة المعجميّة، معجميًّا lexicographer من الطراز الأوّل» (كلمة «المجمع»، ص ٢٢٩).



منير البعلبكي، فيما ابنه د. رمزي يعاين
التجارب الطباعيّة الأولى لموسوعة «المورد» (١٩٨٠)

الشاعر

قلَّ من يعرف أن لمنير البعلبكي محاولاتٍ شعريّةً لم ينشرها. كان له شعر رقيق ضاع معظمُه وبقيَت منه مقطوعات قليلة، بينها واحدة قالها في خطيبته التي أضحت سنة ١٩٤٥ زوجته (السيّدة روحيّة):

عفَّرْتُ وجهي بالترابِ وأَسَغْتُ دمعي وانتحابي
ورضيتُ منكِ بنظرةِ العذريّ مِنْ بَعْدِ الغيابِ
حُبّيك في طُهْرِ النَّدى وصفاءِ عينيك المُذابِ
حُبّيك غَنَّتْهُ العذارى في العَشيّات العذابِ
وَسَلا به أشجانَهُ يومَ السُّرى حادي الرِّكابِ
حُبّيك لحنٌ دامعُ الإيقاع مكسورُ الرَبابِ
أودعتُه لحني الأخيرَ وُنْحتُ فيه على شبابي
فإذا قَضَيْتُ فرقِّقي بعضَ الدموع على ترابي

المراجع

- أبو سعد، أحمد. معجم أسماء الأُسَر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات. ط٢، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٦٠–١٦١.
- بعلبكي، رمزي منير. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج٣، بيروت ٢٠٠٥، ص ٥٨٩–٥٩٣.
- الخطيب، أحمد شفيق. «كلمة المجمع في تأبين الراحل الكريم: الأستاذ منير البعلبكي في ذمّة اللّه». مجلّة مجمع اللغة العربيّة-القاهرة، العدد ٩٢ (٢٠٠١)، ص ٢٢٧–٢٣١.
- الخوري، إبراهيم عبده. شموع في البال. بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٤٧–١٤٨.
- السحّار، سعيد جودة. موسوعة أعلام الفكر العربيّ. ج٣، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٢٠–١٢١.
- سيف، أنطوان. الريح العنيدة: أقلام لبنانيّة في غروب القرن العشرين. بيروت ٢٠٠٠، ص ١٦١–١٦٤.
- ضيف، شوقي. «شخصيات مَجْمَعيّة: الأستاذ منير البعلبكي». مجلّة مجمع اللغة العربيّة-القاهرة، العدد ٧٢ (١٩٩٣)، ص ١٥٣–١٥٤ و١٦٣–١٦٤.
- مجلّة «الراية». الأعداد الصادرة في ١٩٩٠/١٢/٣١ (ص ٤٠–٤٢) و١٩٩١/١/١٤ (ص ٣٤–٣٦) و١٩٩١/١/٢١ (ص ٣٨–٣٩) و١٩٩١/١/٢٨ (ص ٣٦–٣٩).
- مجلّة «العربي». العدد ٤١٧، أغسطس ١٩٩٣، ص ٥٨–٦٤.
- الوليّ، طه. بيروت في التاريخ والحضارة والعمران. بيروت ١٩٩٣، ص ٣٤٠–٣٤٢.

تراثُنا غير الماديّ

اليونسكو: هذا هو التراث غير المادي

اليونسكو: هذا هو التراث غير المادي

تأَسست اليونسكو (منظمة الأُمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) بُعَيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بناءً على اقتراح وزراء التربية في دول الحلفاء، إبان مؤتمرهم في لندن (١ إلى ١٩٤٥/١١/١٦) بغية «إنشاء منظمة تعنى بالتربية والثقافة». ضمَّ المؤتمر يومها ممثلين عن ٤٤ بلدًا قرروا «إنشاء منظمة تجسّد ثقافة سلام حقيقيّة، لتشكيل تضامن فكري ومعنوي بين البشر قد يحول دون اندلاع حرب عالمية أخرى».

وهكذا كان، وانتُخب الكاتب البريطاني جوليان هَكْسْلي (١٨٨٧–١٩٧٥) أول مدير عام للمنظمة لعامين (١٩٤٦–١٩٤٨). وهو ترأَّس الدورة الثالثة للجمعية العمومية التي انعقدت في بيروت بحضوره في ١٩٤٨/١٢/١٧. ولأَجل هذا المؤتمر تم بناءُ قصر اليونسكو في العاصمة اللبنانية، وحضر جلسةَ الافتتاح رئيسُ الجمهورية بشارة الخوري ووزيرُ الخارجية والتربية حميد فرنجية.

ولاحقًا، اعتُمدت باريس مركزًا رئيسًا للمنظمة، وتم تدشين مقرِّها في ساحة فونْتْنُوَى نهار الإثنين ١٩٥٨/١١/٣.



مبنى اليونسكو المثلَّث في باريس

والتراث، في مفهوم اليونسكو، من شقَّين: مادي وغير مادي.

«مرايا التراث» تَعرض في هذا العدد مفهوم اليونسكو للتراث غير المادي (عن موقع اليونسكو الإلكتروني) على أن تَعرض في العدد المقبل مفهوم المنظمة للتراث المادي.



واجهة المبنى الرئيس في باريس

المصطَلَح الثقافي

مضمونُ مصطلح «التراث الثقافي»، وفق مبادئ اليونسكو، شهِدَ تغيُّرًا كبيرًا في العقود الأخيرة. فـ«التراث الثقافي» لا يقتصر على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، بل يشمل التقاليد وأشكال تعبير حية موروثة من الأسلاف لينقلوها إلى الأحفاد، كالتقاليد الشفهية وفنون الأداء والممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية والمعارف وممارسات متعلقة بالطبيعة والكون، ومعارف ومهارات مرتبطة بإنتاج الصناعات الحرفية التقليدية.

والتراث الثقافي غير المادي، برغم طابعه الهش، عاملٌ أساسي في الحفاظ على التنوُّع الثقافي في مواجهة العولمة المتزايدة. ففهمُ التراث الثقافي غير المادي يساعد الجماعات المختلفة على الحوار بين الثقافات، ويشجع على الاحترام المتبادل لطريقة عيش الآخر.

أهمية التراث الثقافي غير المادي ليست في مجرَّد «مظهره» الثقافي بل في معارف ومهارات غنية تنتقل عبره من جيل إلى آخر. وقيمتُه الاجتماعية والاقتصادية في انتقال تلك المعارف تهم الأقليات كما تهم الكتل الاجتماعية الكبيرة، وتهم البلدان النامية كما تهم البلدان المتقدمة.

ما هوية التراث الثقافي غير المادي؟

في مقاربة لتحديد التراث الثقافي غير المادي، أنه:

– **تراث تقليدي معاصر حي:** لا يقتصر على التقاليد الموروثة من الماضي بل يشمل ممارسات ريفية وحضَرية معاصرة تشارك فيها جماعات ثقافية متنوعة.

– **تراث جامع:** أشكالُ التعبير المنبثقةُ عن التراث الثقافي غير المادي قريبة من أشكال تعبير أخرى يمارسها الآخرون في قرية مجاورة أو في مدينة على الجانب الآخر من العالم، تزاولها جماعات هاجرت واستقرت في منطقة أخرى. في جميعها تراث ثقافي غير مادي توارثته الأجيال وطوَّرته استجابةً لبيئاتها، وتسهم في إعطائه إحساسًا بالهوية والاستمرارية، حلقةَ وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. والتراث الثقافي غير المادي لا يثير تساؤلات عن انتماء بعض الممارسات لأَيّ ثقافة، بل يسهم في تحقيق التماسك الاجتماعي، محفِّزًا الإحساس بالهوية وبمسؤوليةٍ تقوّي شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة واحدة أو جماعات مختلفة وتاليًا إلى المجتمع ككل.

– **تراث تمثيلي:** لا ينحصر في كونه سلعة ثقافية ذات طابع متميز أو قيمة استثنائية مقارَنَةً بغيرها، بل قوَّتُه من جذوره في الجماعات، معتمدًا على مَن تنتقل معارفهم في تقاليد وعادات ومهارات متوارَثة إلى أفراد المجتمع أو إلى جماعات أخرى.

– **تراث يعتمد على الجماعات:** فهو ليس «تراثًا» إلا حين تراه هكذا أطرافٌ (جماعات أو مجموعات أو أفراد) تُنتجه وتحافظ عليه وتنقله. ودون اعترافها به لا يقرره عنها أحد سواها بدلاً منها لأنها أشكال تعبير أو ممارسات تشكل جزءًا خاصًّا بتراثها.

ما مجالات التراث الثقافي غير المادي؟

اتفاقية اليونسكو لعام ٢٠٠٣ حول «صون التراث الثقافي غير المادي» لحظت له خمسة مجالات يتمظهر فيها:

١. التقاليد الشفهية وأشكال التعبير الشفهي، بما فيها اللغةُ واسطةُ التعبير عنه.
٢. فنون الأداء.
٣. الممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية.
٤. المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
٥. مهارات الفنون الحرفية التقليدية.

وأشكال التراث الثقافي غير المادي لا تقتصر على مظهر معيَّن واحد بل قد تتسع إلى أكثر من مجال.

مثلاً: السحر طقس تراثي يشمل الموسيقى والرقص التقليديين والصلوات والأغاني والملابس وأغراضًا مقدسة وممارسات طقوسية

واحتفالية وإحساسًا حادًّا بالعالم الطبيعي ومعرفته. وقياسًا: تعتبر الاحتفالات شكلاً معقَّدًا من أشكال تعبير يشمل الغناء والرقص والمسرح والولائم والتقاليد الشفهية ورواية القصص وعروض الفنون الحرفية والرياضة وأنشطة ترفيهية عدَّة. والحدود بين المجالات مرنة وقد تتباين بين جماعة محلية وأخرى، ويصعب فرض فئات صارمة عليها من الخارج. ففيما جماعةٌ تعتبر أشعارها الغنائية طقسًا تراثيًّا، تفسره جماعةٌ أخرى على أنه من أصناف الغناء. وما تعتبره جماعةٌ شكلاً مسرحيًّا، تعتبره جماعةٌ أخرى رقصًا في سياق ثقافي مختلف. وثمة فروق في الحجم والنطاق: فيما تميز جماعةٌ محلية بين أشكال التعبير، تراها جماعةٌ أخرى أجزاء مختلفة من شكل واحد.

اتفاقية اليونسكو

وضعت اليونسكو اتفاقية حددت فيها أشكال التراث الثقافي غير المادي، في قائمة مجالات منفتحة على إدراج مجالات أخرى غير منغلقة وليست كاملة حُكمًا. وقد تَستخدم دولٌ نظامًا مختلفًا من المجالات. فالتنوُّع وارد بل مطلوب، ففيما بلدانٌ تصنف مظاهر التراث الثقافي غير المادي بصورة مغايرة، تتّبع بلدانٌ أخرى التصنيف الوارد في الاتفاقية كما هو إنما بتسميات بديلة. وقد تضيف بلدانٌ مجالات جديدة أو فئات فرعية جديدة للمجالات الواردة في الاتفاقية. وهذا يعني إدراج «مجالات فرعية» مستخدَمَة في بلدانٍ أخرى تعترف وفق معطَياتٍ لديها بالتراث الثقافي غير المادي كاللهو والألعاب التقليدية وتقاليد الطهي وتربية الحيوان والحج وإحياء أماكن الذكرى.



واجهة قصر اليونسكو في بيروت سنة ١٩٤٨
(أرشيف لجنة اليونسكو الوطنية اللبنانية)



مدخل قصر اليونسكو في بيروت سنة ١٩٤٨

مسؤوليات الدولة التي توقّع على الاتفاقية؟

على الدولة المعنية بالاتفاقية:

- تحديدُ عناصر التراث الثقافي غير المادي لديها وحصرُها بمشاركة الجماعات المعنية.
- اعتمادُ السياسات وإنشاءُ مؤسسات ترصد هذه العناصر وتروِّج لها.
- تشجيعُ إجراء البحوث لتطوير عناصر هذا التراث.
- اتخاذُ تدابير صون أخرى ملائمة بعد موافقة الجماعات المعنية على مشاركتها.


LE COURRIER

L'UNESCO SE REUNIT AU LIBAN

le 17 novembre

RECOMMANDATIONS DE M. HUXLEY

Pour le progrès de la civilisation mondiale

MacArthur approuve

الصحافة العالمية تناقلت خبر انعقاد الجمعية العمومية الثالثة في بيروت

تقرير كل ٤ وكل ٦ سنوات

بعد ٦ سنوات من التصديق على الاتفاقية تقدم الدولة تقريرًا إلى لجنة اليونسكو المركزية حول تدابيرها لتطبيق الاتفاقية وطنيًّا، ويلحظ التقرير وضع العناصر الموجودة في أراضيها والمدْرَجَة في القائمة التمثيلية، وتقدم الدولة تقريرًا دوريًّا مماثلاً كل ست سنوات.

على الدولة المعنية اقتراحُ عناصر جديدة لإدراجها في:

- قائمة التراث الثقافي غير المادي.
- القائمة التمثيلية لتراث البشرية الثقافي غير المادي.
- برامج صَون متصلة بتسجيل أفضل ممارسات الصون.

وقد تطلب الدولة مساعدةً دوليةً من صندوق خاص بالتراث الثقافي غير المادي، مواردُه من مساهمات الدول الأطراف.

وعلى الدولة المعنية بالاتفاقية (في رابع سنة على إدراجها) تقديمُ تقرير إلى اللجنة المركزية عن وضع عناصر في قائمة التراث الثقافي غير المادي تحتاج إلى صون عاجل، وتقديمُ تقرير آخر بكيفية استخدام المساعدة الموفَّرة لها.

هذه التقارير وتلك المتعلقة بالتدابير المتخذة لتنفيذ الاتفاقية، تقدَّم إلى اللجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي أثناء

دورتها السنوية. ولا تقدِّمُ الترشيحات إلاّ الدولُ الأطراف في الاتفاقية، مع ضمان مشاركة الجماعات المعنية بإعداد ملفات الترشيح وتدابير الصون، ومع الحصول على موافقة الجماعات عند تقديم أيّ ملف جديد. من هنا ضرورة تشجيع الترشيحات أو طلبات مساعدة دولية تتقدم بها دول أعضاء لأن عناصرَ كثيرةً من التراث الثقافي غير المادي موزعةٌ في أراضٍ عدَّة وتمارسها جماعات مقيمة في بلدان عدّة متجاورة أو متباعدة.



جلسة الافتتاح: رئيس الجمهورية بشارة الخوري وإلى يساره الوزير حميد فرنجية (أرشيف لجنة اليونسكو الوطنية اللبنانية)

ثلاث اتفاقيات

في اليونسكو اتفاقية التراث العالمي لعام ١٩٧٢، واتفاقية التراث الثقافي غير المادي لعام ٢٠٠٣، واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لعام ٢٠٠٥. فماذا عنها؟

١. **اتفاقية ١٩٧٢ حول التراث المادي:** شملَت الآثار والمواقع الثقافية والطبيعية، شرط أن يكون هذا التراث ذا قيمة عالمية استثنائية وطابع عريق. وللخبراء ومديري المواقع دور فاعل في تحديد عناصر هذا التراث وحمايتها.

٢. **اتفاقية ٢٠٠٣:** أتاحت للعاملين في المجال الثقافي إنتاج مجموعة منتجات وخدمات وأنشطة ثقافية والترويج لها والانتفاع بها.

٣. **اتفاقية ٢٠٠٥:** تجمع بين الاتفاقيتين، وتشمل صونَ شكل معين من التراث غير المادي: ممارسات وتصورات ومظاهر تعبير ومعارف ومهارات تعتبرها الجماعات جزءًا من تراثها الثقافي، وأداةً لدعم مَن يمارسون الأنشطة الثقافية المعاصرة، لكن الخبراء لا يشاركون إلا بصفة وسطاء أو ميسِّرين. ومن أهداف تدابير صون التراث

الثقافي غير المادي أنه من أشكال التراث الحي: ضمان إبداعه من جديد بصورة مستمرة ونقله إلى الأجيال الصاعدة.

أهمية الإدراج في القوائم

إدراجُ ٤٢٩ عنصرًا في القوائم يدل على أهمية التراث الثقافي غير المادي وضرورة إيجاد الفرص لإبرازه. قبل سنواتٍ كان مصطلح «التراث الثقافي غير المادي» فضفاضًا وغامضًا. لكنه اتضح مع الوقت، وساعدت على إبرازه التغطياتُ الإعلامية عند إدراج كل عنصر جديد، ما أشاع مفهومه وحشَدَ عددًا متزايدًا من الجهات المعنية فأتاح الاعتراف إيجابًا بأهمية هذا التراث لتحقيق التماسك الاجتماعي.

كيف تصون اليونسكو عناصر التراث؟

مسؤولية صون التراث الثقافي غير المادي تتولاَّها كل دولة معنية بالاتفاقية. ويجوز للدول النامية أن تطلب مساعدة دولية من صندوق التراث الثقافي غير المادي. وتبتُّ بالطلب لجنةٌ مركزية مختصة، أو مكتبها في البلد المعني إذا كان المبلغ أقل من ١٠٠ ألف دولار أميركي.

ومن أجل الرصد المتواصل، على كل دولة معنية تقديمُ تقرير إلى اللجنة المركزية كل أربع سنوات عن وضع عناصرَ في قائمة التراث تحتاج إلى صون عاجل، ويقيِّم التقريرُ الوضعَ الحالي للعناصر وخطط الصون ومدى مشاركة الجماعات في تنفيذ هذه الخطط. وتقدم الدولة المعنية معلومات عن مؤسسات ومنظمات أهلية تشارك في جهود الصون، وتقريرًا آخر كل ست سنوات حول تدابير تنفيذها الاتفاقيةَ، والوضع الحالي لعناصرَ

قاعة قصر اليونسكو: جمهور كثيف في جلسة الافتتاح ١٩٤٨



على أراضيها مدرجةٍ في القائمة التمثيلية، ويشمل التقرير معلومات عن مقومات البقاء والتدابير المتخذة لصون العناصر المدرَجة.

مخاطر وتهديدات

التراث الثقافي غير المادي معرَّض لمخاطر وتهديدات ناجمة عن أنشطة تؤذيها قد تؤدي إلى تجميده (فقدان صيغة التنوع فيه، استحداث صيغ مخالفة، انتفاء فرص الإبداع والتغيير) أو إخراجه من سياقه، وقد تتشوه دلالاتُه أو تبَسَّط للأجانب فتتعطّل وظيفته داخل جماعاته ويضيع معناه لديها، ما قد يؤدّي إلى الإضرار بالتراث الثقافي غير المادي، أو حصول منافعَ جائرة يحققها أفراد من الجماعة، أو الدولة، أو شركات معنيَّة بتنظيم الرحلات أو باحثون أو أشخاص خارجيون على نحو غير مناسب في نظر الجماعات المعنية، كاستغلال الموارد الطبيعية بإفراط، أو ممارسة سياحة لا تحترم الاستدامة، أو الاستغلال التجاري المفرط للتراث الثقافي غير المادي.

إدراج لغات وأديان مهددة بالخطر

اللغات المهددة بالخطر لا يجوز ترشيحها لإدراجها في القوائم، فهي مجرَّد وسائط تعبير عن التراث غير المادي الخاص بمجموعة أو جماعة معينة. إنما يجوز إدراج تقاليد تستخدم اللغة (معارف متصلة بالطبيعة، فنون حرفية تقليدية، فنون أداء العروض) فيقود صونها تلقائيًّا إلى صون اللغة المعنية بها. ولا تلحظ الاتفاقية أنّ تراكيب اللغة وقواعدها ومفرداتها جزءٌ من التراث الثقافي غير المادي.

وعلى نحو مماثل، لا يجوز ترشيح الأديان لإدراجها في القوائم، مع أن جزءًا كبيرًا من التراث غير المادي يتحلى بجوانب روحانية. أما عناصر التراث الثقافي غير المادي المتعلقة بالتقاليد الدينية فتُعرَض كعناصر معارف وممارسات متعلقة بالطبيعة والكون أو ممارسات اجتماعية وطقوس واحتفالات.



شعار اللجنة الوطنية اللبنانية



ساحة اليونسكو في باريس

ممارسات ثقافية تنتهك حقوق الإنسان

لا تشمل أحكام الاتفاقية سوى تراث ثقافي غير مادي يتفق مع أعراف دولية حول حقوق الإنسان، تفي بمقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والأفراد والتنمية المستدامة. وثمة عناصر جدلية قد تثير مناقشات مثمرة تَحُثُّ على التفكير في معنى التراث الثقافي غير المادي وقيمته بالنسبة إلى الجماعات، وفي تطوره وطبيعته الحيوية التي تتكيَّف باستمرار مع الوقائع التاريخية والاجتماعية. أما على المستوى المحلي الوطني، فتستطيع أيُّ دولة أن تسجل ما تراه مناسبًا لقوائم الحصر الخاصة بها، من دون تدخُّل اليونسكو.

الملف

تراثنا التاريخي

«دليل بيروت» قبل ١١٢ سنة

لبنان الكبير بين تَبَرُّج الصراط وتَدَرُّج الانخراط

د. عبدالرؤوف سنُّو

بيروت أيقونةُ الحُجَّاج إلى الأراضي المقدسة

د. بيار مكرزل

جبل لبنان يعارض السلطنة العثمانية
ويرفض المَسّ باستقلاله

د. وسام اللحام

«دليل بيروت» قبل ١١٢ سنة





الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٠٩

دائمًا لا بُدَّ منها

كأَنما في كل عدد لا بُدَّ من بيروت، مدينتنا الأُعجوبة التاريخ، عاصمتنا الغالية الإرث الغنيّة التراث. ومهما كتبْنا عنها وبحثْنا ونقّبنا، لا ينتهي كشفُنا كنوزًا فيها جعلتْها قِدَمًا «أُمَّ الشرائع»، ووسيطًا لؤْلؤةَ الشرق، وحديثًا منارةَ العلم والثقافة.

أُعجوبيَّتُها، بيروت، أنها حورية البحر التي تعلو عليها الأنواء فتحجبها بضعُ موجاتٍ لكن هذه ما إن تنحسر حتى تعود الحورية فتطلع من جديد عروس البحر والبر، وتكمل مسيرتها في التاريخ عابرة جميع صروف التاريخ.

إنها المدينة التي تعاند وتشعّ، تقاوم وتشعّ، ويظل رأسها عاليًا لأنها كانت، وسوف تبقى، بيروت الروح الملكية التي تستمد تألُّقها الدائم من ألق نجمة بيروت.

في هذا العدد، نعود ١١٢ سنة إلى الأمس، لنكشف ونكتشف دليلاً لبيروت يجمع أعلامها وعلاماتها ومعالم فيها هي التي تجعلها عروس المدن ومليكة العواصم.

ننشر هنا مقدمة الكُتَيِّب، وضعها الدكتور هيام ملاّط، ولَخَّصَ فيها مضمون «الدليل».

م.ت.

اختيار «بيروت عاصمة عالمية للكتاب لعام ٢٠٠٩» فرض على اللبنانيين التعرف إلى تراثهم في عالم الكتاب عبر إبراز إصدارات في تاريخ الطباعة اللبنانية كشفَت مظاهر نشأة الثقافة والعلم في مجتمعنا الحديث.

بعد مراجعتنا مؤلفاتٍ بارزةً، نركزّ على كتاب «دليل بيروت» وهو تقويم «الإقبال» لسنة ١٣٢٧ هجرية/السنة الشرقية ١٣٢٤ – ١٣٢٥/السنة الغربية ١٩٠٩–١٩١٠»، وضعَه عبد الباسط الأنسي، وصدر عن مطبعة جريدة «الإقبال» في بيروت. وجاءت في الصفحة الأولى من هذا «التقويم» عبارة «السنة الأولى»، ما يعني نية واضعه إصدار تقويم دوري «في غرة محرم الحرام من كل سنة هجرية». إنما لم نجِدْ له أي طَّبعة لسنوات لاحقة.

وهذا «التقويم» دليلُ مستوى تقدُّم عرفته بيروت منذ النصف الآخر من القرن التاسع عشر، بعد عشرين عامًا على صدور «دليل بيروت لعام ١٨٨٨»، وضعه أمين خوري «أول دليل لمدينة عربية» كما يحصل في الدول الغربية (خصصناه بمقالة في جريدة «النهار» – ٢٠٠٩/٩/٧).



أمام الطبية ١٩١٠

الأنسي ذو الفضل

تظهر في «تقويم» الأُنسي تطورات عرفتها بيروت بعد عشرين عامًا على صدور «الدليل الأول» ونهضة المدينة إبان السلطنة العثمانية بعد ترفيعها إلى مستوى «ولاية» عام ١٨٨٩ وتعاظم دورها حيال متصرفية جبل لبنان وسائر مناطق تحت الإدارة العثمانية المباشرة على أساس «الولايات».

واضع «التقويم»، عبد الباسط الأنسي، أسس عام ١٩٠٢ جريدة «الإقبال» التي ذكرها فيليب دي طراذي في كتابه «تاريخ الصحافة



البنك العثماني في المرفأ حوالي ١٩١٠

العربية» (الجزء الرابع صفحة ٩٠٨) أنها «ثالثة الصحف الإسلامية في بيروت، عاشت ٢٨ سنة ناهجةً خطة الصدق في إخبارها والاعتدال في مشربها. وقد أسف قراؤها في جميع البلدان لاحتجابها بعد هذا الشوط الطويل من حياتها. ولمنشئها الجليل الشيخ عبد الباسط الأنسي خدم وافرة تُذْكَر فتُشْكَر في نشر المعارف قولاً وعملاً».

وللأنسي مؤلفات عرفت طبعاتٍ عدةً منها «أبدع الأساليب في إنشاء الرسائل والمكاتيب» (٦٠٨ صفحات)، «تأسيس المباني في اللسان العثماني» (ترجمان تركي عربي – ٢٠٨ صفحات)، «هداية السائل إلى إنشاء الرسائل» (٢٠٨ صفحات)، «البسط الوافر في حساب التاجر السهل كتاب لتعليم الأعمال التجارية» (١٦٠ صفحة)، «العجالة المهمة في الجمع والطرح والضرب والقسمة وهو مختصر في الأعمال الأربعة» (٥٠ صفحة).

في مقدمة «التقويم» (صفحة ٢) ذكَر دافعه لهذا المشروع الذي رغب أن يكون سنويًا: «... لما كان الإنسان في هذه الدنيا مكلفًا بالخدمة العامة، والسعي وراء كل ما يعود على بني الوطن بالترقّي والعمران، وهذا الترقّي يكون بحسب قابلية الزمان، ... لاح لفكري أن أضع «دليلاً لبيروت» على عادة البلاد المتمدنة الراقية، ليعرف الناس شؤون تلك المدينة وأحوالها



باب ادريس والكبوشية ١٩١٠

وما يتعلق بها من العوائد العمرانية المهمة، وهي الضالَّة المنشودة إلى السكان والزوار وأهل البلاد النائية، حيث أن بيروت أصبحت الآن مطمح نظر كل ناظر ومسرح فكر كل غائب وحاضر...».

بهذا الهدف عمد جمَع عبد الباسط الأُنسي المعلومات وصنَّفها ونشرها في ٢٢٨ صفحة قطعًا وسطًا، و٦ صفحات دعايات وفق معايير تلك الأيام.

مضمونًا: الدليل من خمسة أقسام:



رأس بيروت حوالي سنة ١٩١٠

١. القسم الأول (من ص ٤ إلى ص ٥٦):

سرد فيها بإيجاز تاريخ وقائع مشهورة قبل التاريخ الهجري وبعده، مع نبذة قصيرة (صفحتان) عن تاريخ مدينة بيروت ووقائع تاريخية فيها (صفحة واحدة)، وإشارة إلى قواعد حسابية للسنوات والعلوم وأعراس الأوروبيين.

٢. القسم الثاني: (من ص ٥٧ إلى ص ٧٠):

منها لائحة سلاطين آل عثمان والحكْم الدستوري (عيد الحرية) والولايات العثمانية وثمانية عشر واليًا تقلَّدوا ولاية بيروت منذ تشكيلها «ولاية» عام ١٨٨٩ حتى ١٩٠٩.

في الأقسام الثلاثة الأخرى تفاصيل خاصة بمدينة بيروت من جميع النواحي، ومعلومات مفصلة عن الأوضاع السائدة فيها سياسيًّا واجتماعيًّا وتربويًّا واقتصاديًّا.

٣. القسم الثالث (من ص ٧١ إلى ص ٩٠):

نشأة ولاية بيروت عام ١٨٨٩ وجعْلها ولاية من الدرجة الأولى، ترتبط بها ثلاثة أقضية (صيدا وصور ومرجعيون) وأربعة ألوية (عكا وطرابلس ونابلس واللاذقية وأقضيتها). وأشار إلى الوالي القائم عام ١٩٠٩، ولائحة رؤساء دوائر الملكية، منهم نقيب الأشراف الشيخ عبد الرحمن الحوت، مدير الأوراق حسين الأحدب، مدير الأمور الأجنبية كميل إده، رئيس مهندس الولاية بشارة أفيدسيان الملقَّب بـ«المهندس»، رئيس مجلس البوليس أنيس رمضان، رؤساء دوائر العدلية (منهم محرر المقاولات رشيد فاخوري ومأمور الإجراء محمد اللبابيدي)، رئيس قلم محكمة الاستئناف

عبد الباسط فاخوري، ورئيس قلم البداية محمد الأنسي، المستنطق الأول بهجت ميقاتي. وسرد عن الثكنة العسكرية غربي المدينة، وثكنة السواري غربي حديقة الحرية في محلة برج الكشاف، والمستشفى العسكري بجانب الثكنة العسكرية (السراي اليوم)، ويتبين أن معظم الضباط كانوا عثمانيين فلم يورِدْ أسماء عائلتهم واكتفى بالاسم الأول لكل منهم. ومن الإدارات والمؤسسات القائمة ذكَر دائرة البلدية مشكَّلَة من سليم علي سلام رئيسًا للبلدية، رئيس القلم رشيد الصوفي، المحاسب حسن الناطور، المهندس نخله فيعاني، المفتش عمر الداعوق، كما ذكر المستشفى الحميدي وفيه الطبيبان سامح فاخوري ورفيق بيضون، ومن محكمة التجارة أمين أبو شعر ورئيس القلم عمر فاخوري، ومن دائرة الأوقاف المحاسب عبد اللطيف حمادة، ومن دائرة النفوس زكي دريان (مأمور بسابورط أي جواز سفر)، ومن دائرة النافعة بشارة المهندس (من كبار المهندسين، لعب دورًا بارزًا في تشيد المواقع الحكومية والجسور)، ومن دائرة المعارف المفتش محمد علي القباني والمكتب الإعدادي (أي المدرسة) «وهي تضم ١٠٠ تلميذ ليلي: منهم ٢٥ مجانًا و٧٥ بالأجرة السنوية، ونهارًا ١٥٠ تلميذًا لا يؤخذ منهم شيء»)، والبنك الزراعي ودائرة التلغراف والبوسطة مع لائحة بالتعرفات والجمارك ودائرة الدخان (مديرها الفرنسي جورج دوقوصو واضع كتاب عن واقع صناعة الحرير في لبنان) والمفتش جورج مانسترسكي، ودائرة شركة مياه بيروت (مديرها الانكليزي مارتندال المشرف على هذا القطاع نحو ثلاثين عامًا). ودائرة السكك الحديدية (مشاور حقوق الإدارة ألبير قشوع)، وأورد المؤلف محطات السكة الحديدية بين بيروت وسائر المناطق مع أجرة النقل.



ساحة البرج سنة ١٩١٠

٤. القسم الرابع (من ص ٩١ إلى ص ١٢٢):

حوى معلومات عن «أهل العلم والفضل»، مع لائحة بأسماء أدباء وشعراء ومفكرين في بيروت ورؤساء طوائف روحيين وقناصل دول في بيروت مع أسماء المترجمين (بينهم إسبر شقير لإنكلترا، جرجي سرسق لألمانيا، حنا مدوَّر للنمسا، عزيز فيعاني لروسيا، قسطنطين الخوري



ساحة السور (عصور) ١٩١٠



ساحة الشهداء قرب أوتيل سنترال حوالي ١٩١٠

لأميركا، ابراهيم سرسق لإيران، ونخله عريضا لبلجيكا). وبين المحامين ووكلاء الدعاوى (عددهم ١٦) كان سليم قشوع وسليم الجارودي وخليل الحسامي وأنطوان شحيبر وجان نقاش والياس طراد واسكندر الدحداح ونعمان حبيش.

وذكر المؤلف أوضاع المساجد في بيروت (٣٢ مسجدًا وزاوية) والكنائس المسيحية (٥ للموارنة، ٨ للروم الأرثوذكس، ٤ للروم الكاثوليك، ٨ لسائر الطوائف). وذكَر الجمعيات العلمية (منها جمعية المقاصد برئاسة عبد الرحمن الحوت، الجامعة العثمانية برئاسة عبد القادر القباني، جمعية مآثر التربية برئاسة أحمد بيهم، لجنة التعليم الإسلامية برئاسة عبد الكريم أبو النصر) وجمعيات طائفة الروم الأرثودكس والروم الكاثوليك والموارنة برئاسة مطران كل طائفة، و١٣ جمعية خيرية (منها الجمعية الخيرية الأرثوذكسية برئاسة ميشال سرسق، وزهرة الاحسان برئاسة إميلي سرسق، وإخوة الفقراء برئاسة يوسف الهاني، والخيرية الإنجيلية برئاسة خليل سركيس صاحب «لسان الحال» ومار منصور برئاسة أنطوان شحيبر.



شارع غورو في الجميزة حوالي ١٩١٠

ومن المدارس ذكَر مدرسة الصنائع مكتب التجارة الحميدي، ١٣ مدرسة إسلامية (منها المدرسة الإعدادية، مدارس المقاصد، المدرسة الوطنية،...)، ٥ مدارس مارونية (منها مدرسة الحكمة، والسيّدة، ومار مارون)، ٦ مدارس أرثوذكسية (منها مدرسة السلام والثلاثة أقمار)، مدرستين لطائفة الروم الكاثوليك (البطريركية والمخلص)، ٩ مدارس أخرى لسائر الطوائف (منها المدرسة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ومدرسة الكلية السورية الإنجيلية للأميركان – الجامعة الأميركية لاحقًا - والفرير،...). ومن مدارس البنات ذكر ١٠ مدارس (منها مدرسة زهرة الإحسان للروم الأرثوذكس ومدرسة البنات لراهبات الناصرة في الأشرفية، ومدارس المقاصد،...) وأشار إلى ٨ مدارس انكليزية تأسست بهمَّة السيدة طومسن.

من الأطباء سرد عشرين (بينهم دبران وغراهام وبوست والياس شكرالله وعبد الرحمن الأنسي وسامح فاخوري وأنطوان نقاش، ...) وذكَر أطباء العيون الخمسة (بينهم الدكتور شاكر الخوري صاحب كتاب «مجمع المسرات»)، وأطباء الأسنان التسعة (بينهم نجيب فياض وسليم حبيب). وذكر الصيدليات الست عشرة (بينها الصيدلية الشرقية لبطرس شكرالله، والعثمانية لاسكندر الحلو والد الرئيس شارل الحلو، والفرنسية لجرجس شكرالله والوطنية لأمين فاخوري والحكمة لعبد القادر الطيارة). وذكر الأئمة والمختارين الواحد والعشرين موزعين على أحياء بيروت (بينهم الأئمة ابراهيم المجذوب وعبدالله خالد وعبد الغني البنداق وتوفيق الهبري، والمختارون سليم طبارة وعبد القادر الشعار ويوسف قرنفل)، وذكر المختارين الأحد عشر لباقي الطوائف (بينهم الياس ربيز وجبران الحداد وجرجي قشوع).

وكان في بيروت ٧ مستشفيات منها العسكري العثماني والحميدي والبروسياني والفرنساوي وراهبات اللعازارية والروم الأرثوذكس. وذكَر

الحمامات السبعة (بينها حمَّام النزهة والقشلة وحمامات أخرى على شاطئ البحر في محلة الزيتونة).

٥. القسم الخامس (من ص ١٢٣ إلى ص ٢٢٨):

فيه أسماء الأعضاء المبعوثين المنتخَبين عن ولاية بيروت للمشاركة في اجتماعات «مجلس المبعوثان» في اسطنبول (رضا الصلح عن لواء بيروت وصيدا، سليمان البستاني عن صور ومرجعيون)، وتفاصيل عن أسواق بيروت (منها البزركان، الحدَّادين، سرسق، الجَميل، الطويلة، أياس،...)، وأسماء الجرائد اليومية السبع («لسان الحال» لخليل سركيس، «الاتحاد العثماني» لأحمد طبارة، «الوطن» لشبلي ملاَّط، «حديقة الأخبار» لحنا الخوري)، والجرائد الأسبوعية الثماني («بيروت» الرسمية، «ثمرات الفنون» لعبد القادر القباني»، «الإقبال» لعبد الباسط الأنسي مؤلف «الدليل»، «المصباح» لجان نقاش، «البشير» للآباء اليسوعيين، «البرق» لبشارة الخوري، «النشرة الأسبوعية» لهنري جسب)، ومجلات شهرية («المشرق» للآباء اليسوعيين، «الطبيب» لإسكندر البارودي) ونصف الشهرية («روضة المعارف» لمحمد علي القباني). ومن المطابع العشرة ذكر مطبعة الأميركان والعمومية والعلمية ليوسف صادر والاجتهاد والفنون، والغريب أنه أغفل ذكر المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. وذكَر المكتبات الإحدى عشرة التي تميّز نهضة بيروت الثقافية والتربوية (بينها «المكتبة الأنسية» لعبد الباسط الأنسي، و«العمومية» لسليم صادر، و«الجامعة» لخليل الخوري، و«المعارف» لموسى صفير.

ومع التطور الاقتصادي في بيروت ازداد عدد المصارف إلى ٢٢ مصرفًا، بينها البنك العثماني، طراد، جبيلي، فرعون وشيحا (لا يزال حتى اليوم) وصباغ وفارحي وطرَّاب والشقَّال.



طريق الشام ١٩١٠

ومن المهن في بيروت: تجار القومسيون والبضائع الأوروبية والأجواخ والأقمشة الوطنية والألبسة الخالصة والحرير ومال القبَّان والحبوب والقطن والحديد والخشب والدهان والعطارين والمطابع والمربيات والحلويات والحلاوة والجوهريين والساعاتيين ومصوّرو اليد (داود القرم) والمصوِّرون ومعامل الموبيليا والخياطون (العربي والإفرنجي) والحلاقون والحدادون والبناؤون والأحذية والفنادق (٢١ فندقًا) والقهاوي المشهورة (١٢، منها قهوة الحاج داود) والأفران (العربية والإفرنجية) والمسارح («زهرة سوريا»، «المسرح الجديد») والمعامل الوطنية (١٨ معملاً). وعرض متنزّهات بيروت وضواحيها (منها حديقة الحرية والحرج والمنارة وأنطلياس وضبيِّه وفرن الشباك والحازمية). وخص دليله بمعلومات عملية عن إدارات النقل البحري وحركة البواخر (١٥ شركة) وهي كانت الوسيلة الرئيسة للنقل أيامئذٍ ما يبين أهميتها وضرورة معرفة أوقات السفر للمواطنين.

خاتمة

أهمية هذا «الدليل» في المعلومات عن نشأة بيروت وتطورها وهي في أوج ازدهارها، وما ورد فيه من معلومات ونشاط لبيروت عصرئذٍ ودور الأشخاص والعائلات والمؤسسات لتأمين نهضتها، ما يشكل حافزًا للاطّلاع وتعزيز الرؤية والالتزام بمستقبل هذه المدينة/المنارة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط.



منارة بيروت القديمة في منطقة رأس بيروت
حوالي سنة ١٩١٠

*) «مرايا التراث» تشكُر جمعية «تُراثنا بيروت» على تزويدنا بالصوَر الواردة في هذا النص.

لبنان الكبير
بين تَبَرُّج الصراط وتَدَرُّج الانخراط

د. عبدالرؤوف سنّو

رياض الصلح: «أعيش في كوخ داخل وطن لبنانيّ، ولا مستعمَرًا في أمبراطوريّة عربيّة»

البطريرك الحويك: «نعيش أحرارًا في بيوتنا، لبنانيّين لا فرق بين طوائفنا في الواجب الوطني»



البطريرك الحويك

قبل ١٨٤٢ لم يعرف جبل لبنان الطائفيّة السياسيّة، لابتكار أبنائه معادلةً اجتماعيّة سياسيّة لعيشهم معًا، حافظت على الطائفيّة المجتمعيّة ببقاء كلّ طائفة على دينها في قراها وبلداتها، تحترم قيَمَها وتاريخها، وتُطوِّر ثقافتها بحُرّية وبمعزل عن الأخرى حتى في مناطق ذات اختلاط دينيّ.

هذا «التعايش» أنتج علاقات ثُنائيّة عسكريّة وسياسيّة وحزبيّة عابرةً الطوائفَ على أساس الصراع القبليّ القديم المعروف (القيسيّة واليمنيّة والمصالح المشتركة)، فبقي الانقسامُ حزبيًا سياسيًا عسكريًا

لا طائفيًا.[1] مع ذلك، لم تتمكَّن وحدة المصالح السياسيّة من كسر جدار العزلة الاجتماعيّة والثقافيّة لدى كلّ طائفة، فبقيت العلاقات فقط بين الطوائف في إطار «الوظيفيّة» (Functional relations) و«البروتوكولية» (Protocol relations)، وهما لا تؤدّيان إلى اندماج مجتمعيّ. وبذلك كان لبنانيّو جبل لبنان رواد الخصوصيّة الطائفيّة و«التعدّديّة الثقافيّة».

سُقُوط النظام بين التعايُش والنزاع

مع الاحتلال المصريّ بلادَ الشام (١٨٣١) بدأت العلاقات بين المجموعات الدينيّة (أو المذهبيّة) تتراوح بين «التعايُش» والنزاع. وجاء الحكمُ المصري باتجاهات المَرْكَزَة والعَلْمَنَة والمساواة بين «أهل الذمّة» والمسلمين[2] وفتْح البلاد أمام المصالح الغربيّة (تجارة، تدخّل دبلوماسي سياسي ثقافي، ...) ما أدّى إلى أضعاف النفوذ الإسلامي (العلماء والأعيان)[3] والاقتصاد الإسلامي[4] فنشأَ خلاف بين الطوائف على أسس جوهرية أبرزُها الهويّة[5] وأبعادها الخارجيّة.

---

١) جان شرف، **الإيديولوجيا المجتمعيّة، مدخل إلى تاريخ لبنان الاجتماعيّ**، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٦٥–٣٧٦.

٢) في رسالة إلى متسلّم اللاذقية كتب إبراهيم باشا (قائد الحملة المصريّة على بلاد الشام) إلى والده خديوي مصر محمد علي باشا في ربيع الثاني ١٢٤٨هـ.: «الإسلام والنصارى جميعُهم رعايانا، وأمْر المذهب ما له دخل في السياسة. يجب أن يكون كلٌّ بحاله: المؤْمن يجري إسلامه والعيسوي كذلك، ولا أحد يتسلّط على أحد». نقلاً عن: عبد اللطيف الطيباوي، «نصوص وحقائق لم تُنْشَر عن أصل النهضة العربيّة في سورية». مجلّة **مجمع اللغة العربيّة – دمشق**، ٤ (١٩٦٧)، ص ٧٧٧.

٣) Moshe Ma'oz, 'Changes in the Positions and Role of the Syrian 'Ulama' in the 18th and 19th Centuries'. Thomas Philip (Ed.), *The Syrian Land in the 18th and 19 Century*, Stuttgart, 1992, 144–155.

٤) A. L. Tibawi, *A Modern History of Syria*, London, 1969, 84–86. وعدا مساوئ التسرّب التجاري الأجنبي على الاقتصاد السوري وتدمير الإنتاج الصناعي الأوروبي الصناعةَ الحرفيّةَ المحليّة، فالتجنيد وفرض ضريبة «الفردة» (دفعها المسلمون واعتبروها مساوية جزية دفَعَها «أهل الذمّة») أدَّيا إلى إضعاف الاقتصاد الإسلامي، وازدياد نقمة المسلمين على الحكْم المصري.
Moshe Ma'oz, Ottoman Reform in Syria and Palestine (1840-1861), Oxford, 1968, 14–17.

٥) حليم بركات، **المجتمع العربيّ المعاصر. بحث استطلاعيّ اجتماعيّ**، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت،١٩٩١، ص ١٥–١٧.

هذا النظام الاجتماعيّ السياسيّ سقَط بَعد حربين طائفيتين (١٨٤١ و١٨٦٠) فبقيت الطائفيّة المجتمعيّة راسخة، فيما حلّ نظام طائفيّ سياسيّ جديد محلّ النظام السابق، فرضَتْهُ الدول الكبرى وأمّنَت حمايته. ونشأ بروتوكول «متصرّفيّة جبل لبنان» (١٨٦١/١٨٦٤) قائمًا على نسبيّة الطوائف ديموغرافيًا في توزيع المناصب والسلطة، ضامنًا بذلك أمنَ المسيحيّين وخصوصيّتَهم وشخصيّتَهم وسيادتَهم الديموغرافيّة في الجبل بقرابة ٨٠٪، وغالبية مارونيّة بنسبة ٥٨٪، وسبب الثقل المسيحي في الجبل: هجرات المسيحيّين سابقًا إلى مناطق ذات كثافة درزية في كسروان والمتن والغرب والجرد.[٦]

مع عهد المتصرّفيّة بات اللبنانيّون في موقعَين متناقضَين: مسيحيّون (غالبيَّتهم موارنة) يريدون الحفاظ على استقلالهم الذاتيّ كما ضمنه لهم «البروتوكول» ويتطلّعون إلى الغرب كنيسةً ودولةً، ومسلمون في الجبل وخارجه يرَون إلى الدولة العثمانيّة دولتهم التي تحميهم من خطر الاستعمار.[٧]

رفض المسيحيون «الدستور العثماني» (أُعيد العمل به سنة ١٩٠٨) وإرسالَ مندوبين عنهم إلى «مجلس المبعوثان» في الآستانة، لأنه يُخْضِعُهُم مجدَّدًا للحُكم العثمانيّ المباشر[٨] بعدما استقلالُهم الذاتي في عهد المتصرّفيّة أسّس لولادة هويّتهم القوميّة اللبنانيّة.[٩] في المقابل رحّب بالدستور سكانُ بيروت بغالبيّتهم الإسلاميّة، معبِّرين عن ذلك بتظاهرات واسعة قابلَتْها تظاهرات الموارنة في الجبل بتوزيع مناشير ضدّ العودة إلى الحضن العثمانيّ. هكذا نشأ شرخ مجتمعي ذو خلفيّات طائفيّة بين بيروت «العثمانيّة» والجبل «المستقلّ ذاتيًا»[١٠].

---

٦) عبد الرؤوف سنّو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف. إشكاليّات التعايش والسيادة وأدوار الخارج**. المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٩.

٧) حول إشكاليّة الدولة العثمانيّة والحماية من الاستعمار: عبد الرؤوف سنّو، **النزعات الكيانية الإسلاميّة في الدولة العثمانيّة ١٨٧٧–١٨٨١. بلاد الشام-الحجاز-كردستان-ألبانيا**، دار بيسان للنشر والتوزيع، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٩٨.

٨) عبد الرؤوف سنّو، «الدستور العثمانيّ ١٩٠٨ والرأي العامّ في مدينة بيروت وجبل لبنان». **لبنان بين الدستورين ١٨٧٦–١٩٠٨، الجمعيّة اللبنانيّة للدراسات العثمانيّة**، دار سائر المشرق، جديدة المتن، ٢٠٢٠، ص ٢٢٣–٢٤٨.

٩) جوزيف لبكي، **متصرّفيّة جبل لبنان: مسائل وقضايا ١٨٦١–١٩١٥**، دار الكرامة، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٢.

١٠) مقالي، «صدى الدستور العثماني»، مرجع سابق.

هكذا انخرط المسلمون تدَرُّجًا في «لبنان الكبير»، وشكَّل «الميثاق الوطنيّ» توافُقًا بينهم وبين المسيحيّين، بينما هويّة المسلمين العربية وهويّة الموارنة «اللبنانيّة» ظلّتا – إلى ما بعد «اتفاق الطائف» – عائقًا أمام اندماج اللبنانيّين في هويّة عربيّة أو لبنانيّة جامعة.

من مؤتمر باريس إلى لبنان الكبير

دعواتُ عبد الرحمن الكواكبي إلى القوميّة العربيّة[١١] ونجيب عازوري إلى «دولة تسوية» (خلافة إسلامية في الحجاز ودولة قوميّة في بلاد الشام والعراق[١٢]) لم يقْبَلْها المسلمون في بلاد الشام ولا المسيحيّون. تلاقوا إبّان الحرب العالميّة الأولى بين قيادات الجمعيّات العربيّة والطلاّب في باريس (المؤتمر العربيّ – باريس١٩١٣) من بيروت وجبل لبنان والولايات العربيّة (عبد الغني العريسي، محمّد محمصاني، شارل دبّاس، شكري غانم، نَدْره مطران، عوني عبد الهادي، جميل مردم وسواهم طالبوا باللامركزيّة تحت الحكم العثمانيّ[١٣]) لكن المسلمين فهموا اللامركزية عدم الخروج عن «الرابطة العثمانيّة» الإسلاميّة، واستخدم المسيحيّون العروبة قاسمًا مشتركًا بينهم وبين المسلمين تخلّص من الحكم العثماني وانفصالاً عن بلاد الشام.[١٤]

هكذا: «تأَسْلُمُ» مشروع القوميّة العربيّة في الحرب العالمية الأولى (تلقَّفَهُ المسلمون في ثورة الشريف حسين بن عليّ ونجله الأمير فيصل لإنشاء دولة عربية مستقلّة في بلاد الشام) أسقَطَ التلاقي المسيحي الإسلامي في مخاوفَ مارونيّةٍ على الهويّة والدور، ووعى المسلمون سراب مشروعهم في ميسلون لتضاربه مع مخطّطات فرنسا المنتدِبة في بلاد الشام.[١٥]

---

١١) حول فكر الكواكبي: عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة للكواكبي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٥، ص ٩٤–٩٩. وللمقارنة:
Hassan Saab, The Arab Federalists of the Ottoman Empire, Djambatan– 206 – Amesterdam 1958, pp. 202.

١٢) Nejib Azoury, Le réveil de la nation Arabe dans l'Asie Turque, Paris, 1905.

١٣) وجيه كوثراني، **الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي١٨٦٠–١٩٢٠**، معهد الإنماء العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٢، ١٩٧–٢٢٤.

١٤) حسن الأمين، **سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨–١٩٢٠**، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٥٩.

١٥) الأمين، **سراب الاستقلال**.

فراق الخيارات الكيانية

وهكذا، مع نهاية الحرب افترق الجانبان (الإسلامي والمسيحي) حول خياراتهم الكيانيّة:

١. زعامات إسلاميّة (معظمُها من السُنّة) ومسيحيّون مدفوعون بعروبة مُؤَسْلَمَة[١٦] تفضّل توحيدَ بلاد الشام وجعْلَ الدولة السوريّة المنشودة تحت سلطة عربيّة بقيادة الملك فيصل بن الحسين.

٢. غالبيّة مارونيّة (دينيّة وسياسيّة) تفضّل صيغة كيان لبنانيّ مستقلّ تحت الانتداب الفرنسي، لا في الجبل فقط بل بضمّ أجزاء من سورية وقسم كبير من الساحل على المتوسّط.

سبَبُ انكفاءِ المسيحيّين إلى «دولة لبنان الكبير» وتخلّيهم عن عروبة كانوا روادَها، هو خوف الموارنة من تَحَوُّلِهم – في محيط عربي إسلامي – أقليّةً مسلوبةَ الهويّة والشخصيّة والدور سياسةً ومجتمعًا وثقافة واقتصادًا. ذلك أن الإسلام – ماضيًا وحديثًا مع انحطاط الدول الإسلامية أو انقسامها إلى أنظمة سلطوية متنافسة ذات بُنًى اجتماعية خاصة ومذاهب وثقافات – لم يشكّل عامل جذب للمسيحيّين[١٧]. لذلك لم يرَ موارنة لبنان أيَّ مكسب ثقافي أو سياسيي لهم في الانضمام إلى دولة عربيّة أو إسلامية في بلاد الشام، بل رأوا فيه تكبيلاً كيانَهُم وطُموحاتِهم.

لهذه الأسباب السياسيّة والدينيّة والتاريخيّة والثقافيّة والأيديولوجيّة افترق المسيحيّون والمسلمون بنهاية الصراع الكونيّ، وتجابها عند قرار

---

١٦) فيما اعتبر شكيب أرسلان «العروبة وعاء الإسلام» و«الإسلام روح العروبة»، رأى عمر فرّوخ أنّ «الإسلام والقوميّة العربيّة أمر واحد، لا فرق بين الاثنين ويجب أن يكون كذلك». أمين ناجي، «الإسلام السياسيّ وهويّة لبنان»، في سلسلة **القضية اللبنانيّة**، ١٤، (آب ١٩٧٦)، ص ٤١. وترى زاهية قدورة (في كتابها **أبحاث في العروبة والإسلام**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٠) أن «العروبة والإسلام متواصلان ومترابطان»، وأنّ الدول الغربيّة شجعَت فكرة القوميّة العربيّة المستقلة عن الإسلام لضرب الدولة العثمانيّة التي تمثّل الإسلام وتشكّل خطرًا عليها، ص ٣٦-٣٧. وميشال عفلق مؤسس «حزب البعث» فسَّر العروبة بـ«جسَد روحُه الإسلام». نقلاً عن كمال ديب: **هذا الجسر العتيق. سقوط لبنان المسيحي؟ ١٩٢٠–٢٠٢٠**، دار النهار للنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٤١٠.

١٧) للمقارنة: شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم** تقديم محمد رشيد رضا، طبعة منقّحة، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، لا تاريخ نشر. وكتابي: **ألمانيا الإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار الفرات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٥١–١٨٣.

فرنسا الانتداب إنشاء «دولة لبنان الكبير» (١ أيلول ١٩٢٠) استجابةً لمصالحها ولمطالبات مارونيّة.[١٨]

خوف الأقلية من المحيط

من فرادة هذا «الكيان الجديد» في محيطه العربيّ: قيامُ مجتمع شكّل عنصراه المسيحيّ والإسلاميّ شبه توازن ديموغرافي قبالةَ مجتمعات عربيّة كانت فيها الطوائف المسيحيّة أقليّة[١٩]. اعتبر الموارنة إنشاء «الكيان الجديد» انتصارًا لهم يصون هويّتهم وثقافة لهم تتغذّى من روافد حضاريّة عدة (الفينيقيّة والعربيّة قبل الإسلام، والإسلام والبيزنطيّة والمتوسّطيّة والغربية...)[٢٠]. ورفض المسلمون السُنّة هذه المقولة لقناعتهم أنّ «لبنان الكبير» ليس «وطنًا» أسسه الفرنسيّون بل هي رغبةُ قسم من أبنائه المسيحيّين،[٢١] ورأوا أن هذا «الكيان الوليد» يسلبهم هويّتهم العربيّة الفريدة ويُضعف شخصيَّتهم الإسلاميّة ويُشكّل هزيمتهم فيما وطنهم الحقيقي هو فضاؤُهم السوري.[٢٢] لذلك تصدّوا للتعدّدية الثقافيّة «المارونيّة»[٢٣]. أمّا الروم الأرثوذكس في بيروت فكان

١٨) جوزيف أبو خليل، «المثال اللبنانيّ». شهادة للعروبة لا ضدّها، مرجع سابق، ص ٣٥. للمقارنة: أنطوان الحكيّم، **قراءة في مواقف فاعليّات الطوائف من دولة لبنان الكبير**، مركز فينيكس للدراسات اللبنانيّة، أبحاث ١٨، منشورات جامعة الروح القدس، الكسليك، ٢٠٢١، ص ١١–١٢.

١٩) أحمد بيضون، «جديد لبنان الكبير وهويّة اللبنانيّين». **٥٠ سنة من الاستقلال. دور لبنان ووظيفته**، النادي الثقافيّ العربيّ، أعمال ندوة في بيروت (٢١–٢٦ حزيران ١٩٩٣)، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٣، ص ٣٠.

٢٠) أبو خليل، «المثال اللبنانيّ»، ص ٣٧.

٢١) عمر زين، **تقيّ الدين الصلح، سيرة حياة وكفاح**، ج٢، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٠٥.

٢٢) فريد الخازن، «الميثاق الوطنيّ في أبعاده الداخليّة والخارجيّة وفي ميزان التفسير والتطبيق». مجموعة مؤلّفين، **اليوبيل الذهبيّ لاستقلال لبنان**، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦٥٤.

٢٣) للتوسُّع في مواقف السُنّة من لبنان الكبير ولبنان المستقلّ حتى عشيّة «اتّفاق القاهرة»: محمّد جميل بيهم، **لبنان بين مُشرَق ومُغرَب ١٩٢٠–١٩٦٩**، لام، ١٩٦٩. وللمقارنة: الخازن، «الميثاق الوطنيّ في أبعاده الداخليّة والخارجيّة»، مرجع سابق، ص ٦٥٥. وأنطوان الحكيّم، مستندًا إلى الوثائق الفرنسية، يدحض صحّةَ رفض المسلمين السّنّة التحاقَهُم بلبنان الكبير، ويرى أنّ فاعليّات منهم طالبت بالدولة الجديدة، بل شاركت في الاستشارات الدستوريّة الأولى (١٩٢٥). لكنّ الاتجاه العامّ لدى سُنّة بيروت وطرابلس وصيدا وبعلبك كان ضدّ العمل مع اللجنة المخوّلة إعداد الدستور (لجنة اثناعشرية سنة ١٩٢٦). وأيَّدَ معظمُ الدروز ولادة لبنان الكبير، وقسمٌ كبير من شيعة

منهم في الوفدين اللبنانيّين الأول والثاني إلى مؤتمر الصلح المُطالِب باستقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعيّة التاريخيّة والجغرافيّة وفْق مقرّرات مجلس الإدارة في جبل لبنان، وجعْل بيروت عاصمته، وطلب مساعدة فرنسا[٢٤]. بدايةً تفاوتت مواقفهم من «دولة لبنان الكبير» ثمّ استقرّت على تأييدها.[٢٥]

الشيعة وقفوا عند خيارين: الانضمام إلى الدولة العربيّة في دمشق، أو الدخول في الكيان اللبناني. فضّل معظمهم الخيار الأخير في استطلاع «لجنة كينغ-كرين»،[٢٦] بسبب تجاربهم مع الحكم الإسلامي السُنّي، وظروف المنطقة بعد الحرب العالميّة الأولى، وتأمين لبنان المستقلّ لهم فرصَ الحفاظ على شخصيّتهم منضمّين إلى «قومهم» المسيحيّين[٢٧]. وإزاء ميل دروز سورية إلى المشروع القومي العربي، مال دروز لبنان إلى الدولة الجديدة بتعدّديّة طوائفها محاذرين ألاّ تعلو شرعيّة الدولة على خصوصيّات الطوائف.[٢٨]

الولادة القيصرية: توأمان متناقضان

تأسسَ «لبنان الكبير» حاملاً في هويّته أولى أزماته: فالمسيحيّون، منذ قيام المتصرّفية، يتحضّرون للعيش في كيان مستقلٍّ منفصلٍ عن محيطه العربي الإسلامي متأثّر بالغرب، وناضلوا في ١٩٠٨ و١٩٠٩ ضد إلحاقهم مجدَّدًا بالدولة العثمانيّة ولو بعلاقات دستوريّة[٢٩]. ومسلمو بلاد

البقاع والجنوب. الحكيّم، **قراءة في مواقف فاعليّات الطوائف من دولة لبنان الكبير**، مرجع سابق، ص ١٨–٢٩.

٢٤) الحكيّم، **قراءة في مواقف فاعليّات الطوائف من لبنان الكبير**، ص ١٢–١٧. ولاحقًا انضمّ أرثوذكس طرابلس إلى مواقف إخوانهم في بيروت.

٢٥) الحكيّم، **قراءة في مواقف فاعليّات الطوائف في دولة لبنان الكبير**، ص ١٢–١٧.

٢٦) المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٧) وراء تفضيل الشيعة «لبنانَ الكبير» سبب اقتصادي هو أهمية لبنان وبيروت كسوق تجاري لهم منذ القدم.جورج نجم الحويّك، **خادم الله البطريرك الياس بطرس الحويّك. رجل العناية الإلهيّة**. بدادون-لبنان، أول أيلول ٢٠١٥، ص ٢٤٧–٢٤٨.

٢٨) الخوري باسم الراعي، **ميثاق ١٩٤٣. تجذُّر الهويّة الوطنيّة اللبنانيّة**، نقله إلى العربية المطران يوسف ضرغام، المركز الماروني للتوثيق والأبحاث، لبنان، ٢٠٠٩، ص ٣٢–٤٩.

٢٩) عبد الرؤوف سنّو، «الدستور العثماني ١٩٠٨ والرأي العام في مدينة بيروت وجبل لبنان». **لبنان بين الدستورين ١٨٧٩–١٩٠٨**، دار سائر المشرف، جديدة المتن، ٢٠٢٠، ص ٢٢٣–٢٤٨.

الشام، (المحافظون دينيًا وثقافيًا) استصعبوا إخراجَهم من فضائهم العثماني السوري وضمَّهم قسرًا إلى لبنان الكبير، معتبرين ذلك عكس حركة التاريخ.[٣٠]

هنا كان الإشكال التالي: مرَّ المسلمون في ما سوى اثنتي عشْرةَ سنةً (١٩٠٨–١٩٢٠) في ثلاث مراحل تاريخيّة كيانيّة وجدانيّة كلٌّ منها على حدة). انضووا في مفهوم الأمّة الإسلاميّة، واستلسموا طوعًا إلى الحكم العثمانيّ طيلةَ ٤٠٠ سنة معترفين بشرعيّته خلافةً إسلاميّةً متوارثة، وانتموا إلى «رابطة عثمانيّة» و«جامعة إسلاميّة» إبّان حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩)، ثم اعتنقوا مفهوم الأمّة العربيّة في مشروع استقلالٍ ذاتيٍّ عن السلطنة نتيجة سياسة التتريك، مقرونٍ بعروبة جمعت بينهم وبين المسيحيّين في مؤتمر باريس (١٩١٣[٣١]). فكيف يمكن، بعد ذلك، أن يعتنقوا مفهوم «الأمّة اللبنانيّة» وينضمُّوا إلى «دولة لبنان الكبير» أقليّةً بين باقي الأقليّات بعدما كانوا هُمُ الأمّةَ صاحبة السيادة؟

شدَّ العثمانيون، في حكمهم بلاد الشام، على عامل دينيّ ثقافيّ أكسبهم موقعًا معنويًا، وشرعيّةً في نشْر سلطتهم على المنطقة وتثبيت حكمهم، ما أعطى المسلمين السُنّة شعورًا برضى أنهم يعيشون في حماية دولة (خلافة) إسلاميّة رغم ضعف بنيانها منذ أواخر القرن الثامن عشر وتراجعها في القرن التاسع عشر وخسارة ولايات «إسلاميّة» لمصلحة دول الاستعمار[٣٢]. لذا صعُب على المسلمين، نظريًا وعمليًا، تَقَبُّلُ «لبنان الكبير» بسهولة، فكان اندماجهم في الدولة الجديدة على تَدَرُّج.

٣٠) محيي الدين النصولي، عند تأسيس صحيفته «بيروت» (١٩٣٥)، عبّر عن رفض المسلمين «لبنان الكبير» بأنْ «لو حافظْنا على الوضع الراهن (بقاء المسلمين ضمن «لبنان الكبير») بحدوده وفق الدستور اللبنانيّ، فنصف سكّان الجمهوريّة اللبنانيّة غير راضٍ عن وطنه، ما يخنُق في صدره حبّ هذا الوطن، ويعلّم أولاده كراهيته، ويقول لهم إنّهم غرباء فيه، وإنّ وطنهم الحقيقيّ يمتدّ إلى أبعد من لبنان، ويجتاز الحدود إلى ما وراءها، حيث يرفرف علم جميل (العلم السوريّ) له قدسيّتُه وجمالُه وتاريخُه وجهادُه». عصام خليفة، **الميثاق الوطني**، مرجع سابق، ص ٩–١٠.

٣١) كوثراني، **الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي**، مرجع سابق، ١٩٧–٢٢٤.

٣٢) أهمها: الجزائر (١٨٣٠)، تونس (١٨٨١)، مصر (١٨٨٢)، ليبيا (١٩١٢.)، واستقلال جبل لبنان الذاتي (١٨٦١) بحماية الدول الكبرى. عبد الرؤوف سنّو، **النزعات الكيانيّة الإسلاميّة في الدولة العثمانيّة ١٨٧٧–١٨٨١: بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣١–٤٠.

«أمّة لبنانية» تحضن جميع أبنائها

حيال مسألةِ الهويّة ودستور الجمهورية اللبنانية الجديدة اللاحظ في مقدّمته وجود «الأمة اللبنانية»، كان تدرُّجيًّا انخراطُ المسلمين في «لبنان الكبير» (كما بيّن البروفسور أنطوان الحكيّم[٣٣]) وبقي خلافٌ على الهويّة وتَطَلُّعُ كلّ فريق إلى الخارج، وطَرْح المسيحيّين التعدّديّة الثقافيّة بإرثها العميق وخصوصيّاتها وتاريخها الخاصّ (التاريخ المختلِف والتاريخ المختَلف عليه)[٣٤]، ورفضُ المسلمين ذلك لعدم وجود «ثقافة لبنانيّة في ذاتها» (مسألتا التعدّد والتنوّع). ومع الدستور وصيغة تَقَاسُم السلطة والمناصب وفْق النسبيّة بين الطوائف، وتَحَوُّل الديموغرافيا الإسلاميّة موضوعًا خلافيًّا بين المسلمين والمسيحيّين منذ الإحصاء الثاني (١٩٣٢) كانت الثقافة والهويّة الطائفية والطائفية المجتمعية والنظام الطائفي عوامل تخريب «العيش معًا» بين الجانبين.

وإذ وجدت سلطة الانتداب الفرنسي أنّ لا انطلاقة ناجحة لـ«الكيان الجديد» دون تمتين انفتاح الطوائف اللبنانيّة بعضها على بعض بمصالح مشتركة وبتعزيز التماسُك المجتمعي والسياسي، أجرت إصلاحات تنمويّة في الإدارة، ونهضت بقطاع الخدمات والبُنى التحتيّة (معالمها باقية حتى اليوم). وحيال رفض معظم المسلمين حينذاك اعتبار أنهم «لبنانيون»، ولكي تحدّ سلطة الانتداب من رفْضهم «لبنان الكبير» واعتبارهم وطنهم الحقيقيّ هو «الوطن السوري» في حضن الأمّة العربيّة بمداها الواسع حتّى ضفاف المحيط الأطلسيّ[٣٥]، وافقت عشيّة الإحصاء السكّانيّ الأوّل (١٩٢٢) أنْ تبتر الشطر الأدنى من تذاكر الهويّة للمسلمين جاء فيه أنّ حاملها من الرعيّة اللبنانيّة.[٣٦]

قبل سنةٍ من صدور الدستور اللبناني (١٩٢٥) حاول المفوّض السامي الفرنسيّ موريس سَارّاي (Maurice Paul Sarrail) تمتين اللُحمة الوطنيّة وإخراج لبنان من براثن الطائفيّة بإجراء انتخابات للمجلس التمثيليّ الجديد يعتمد اللائحة والتمثيل النسبيّ، دون تخصيص مقاعد للطوائف

---

٣٣) الحكيّم، **قراءة**، مرجع سابق.

٣٤) عالج فقدان وحدة التاريخ اللبناني في كتابه **حرب لبنان ١٩٧٥–١٩٩٠. تفكّك الدولة وتصدّع المجتمع، مج١: مفارقات السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية**، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨، ص٥٣٣–٥٣٩.

٣٥) باتريك سيل، **رياض الصلح ونضال الاستقلال العربيّ**، ترجمة عمر سعيد الأيّوبيّ، الدار العربيّة للعلوم، ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣٣١.

٣٦) بيهم، **لبنان بين مُشَرّق ومُغَرّب**، ص ٢٤.


الجنرال موريس سارّاي

أي: إلغاء الطائفيّة السياسيّة. وكان يمكن هذا القرار الفريد أنْ يجعل في لبنان دولة مدنيّة لا دولة طوائف و«ديمقراطية توافقيّة»، لكن موارنة لبنان رفضوا هذه الخطوة لأنّ سرّاي عدّل في الدوائر الانتخابيّة ولم يعُد صوتهم يتحكّم بنتائج الانتخابات، فرأت الحكومة الفرنسيّة الإبقاء على النظام الطائفيّ[٣٧]. واقتراح سرّاي بتعديل الدوائر الانتخابيّة يذكّر بمرحلة الاحتلال السوري حين كان التلاعبُ بالدوائر الانتخابيّة يمكّنُ مسيحيّين مؤيديه من بلوغ مجلس النوّاب بأصوات مؤيديه المسلمين.[٣٨]

جرثومة في دستور لبنان الكبير

سنة ١٩٢٦ وضع الفرنسيّون دستورًا لـ«لبنان الكبير»، في بعض موادّه جرثومة طائفيّة سياسيّة منها في المادة ٩٥ اعتراف الدولة اللبنانيّة بشخصيّة رسميّة لكلٍّ من الطوائف الدينيّة بتمايُزها في مؤسّساتها وحرّيتها في إدارة أحوالها الشخصيّة ومصالحها الدينيّة وفق المادّتين ٩ و١٠ من الدستور، وأن عضو مجلس النوّاب اللبناني يمثّل «الأمّة جمعاء» (المادّة ٢٧). ولحظت المادّة ٩٥ أنّ الطائفيّة حالة «مؤقّتة الْتماسًا العدلَ والوفاق»، لكنّها تحوّلت حالة دائمة تفتقر إلى «العدل» ولا تؤدّي إلى الوفاق،[٣٩] لاختلاف اللبنانيّين طائفيًّا على مغانم ومكاسب وثروات وإنماء المناطق ومناصب ووظائف، تزامنًا ونموّ الديموغرافيا الإسلاميّة، بتثبيت

٣٧) أنطوان الحكيّم، «المحاولة الأولى لإلغاء الطائفيّة السياسيّة في لبنان: الجنرال سارّاي وانتخابات ١٩٢٥». **التمثيل الشعبيّ والانتخابات في لبنان** (مجموعة مؤلّفين) منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٥١–٢٧٠.

٣٨) الفصل الثالث من كتابي: دولة لبنان الكبير ١٩٢٠–٢٠٢١. «إشكاليّات التعايش والحياد والمصير»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٢٢.

٣٩) المادّة ٩٥ من الدستور اللبنانيّ.

الطائفيّة السياسيّة وجعلها «حقاً تاريخياً» والمسّ بها من المحرّمات.[٤٠]

اعترض سُنّة بيروت على الدستور الطائفيّ لأنّه كرَّس قانونيًّا انفصالهم عن سورية.[٤١] وقُبَيل صدوره تلقّت شخصيّات سُنيّة تهديدات سنَّة مجهولين لرفضه، فكتب مفتي بيروت السُنّي الشيخ مصطفى نجا إلى موسى نمّور (رئيس لجنة وضع الدستور) يبلغه رفض المسلمين السُنّة أيَّ صلة لهم بالترتيبات الدستوريّة الجديدة.[٤٢] لكن قيادات سُنيّة أخرى تحلّت بالواقعيّة السياسية وانخرطت تدريجيًا في الإدارة اللبنانيّة.


الشيخ مصطفى نجا

غداة إقرار الدستور عيّنت سلطةُ الانتداب الأرثوذكسيَّ شارل دبّاس أوّل رئيس للجمهوريّة اللبنانيّة وسْط امتعاض الموارنة الممثلين الأكثريّة المسيحيّة منذ المتصرّفيّة. ومغزى تعيين دبّاس أنه مقبولٌ من قبل المسلمين

٤٠) إيلي سميّا، «اتفاق الطائف. المضامين الدستوريّة لحل النزاع اللبنانيّ». جورج إميل عيراني ولوري كينغ عيراني، **الاعتراف بالآخر، الغفران والمصالحة: دروس من لبنان**، ترجمة باسم سرحان، الجامعة اللبنانيّة الأميركيّة، بيروت، ١٩٩٦، ص ٨٩–٩٢.

٤١) إبّان قيام «لجنة إعداد الدستور» بعملها (١٩٢٥) طالب النائبان السُنيّان عمر الدّاعوق وعمر بيهم أنْ يتمّ التفاوض مع وجهاء مسلمين رافضين التعامل معها ومطالبين بتقسيم لبنان فدراليّتين؛ الأولى من جبل لبنان والأخرى من مناطق انضمّت إلى «لبنان الكبير». عند مناقشة مشروع الدستور في مجلس النوّاب (١٩٢٦) تحفّظ عليه النوّاب السُنّة ونائب بعلبك الشيعيّ صبحي حيدر، وطالبوا بجعل الأراضي المضمومة إلى «لبنان الكبير» دولة مستقلّة ذات اتّحاد مع «لبنان الكبير» وسورية.
Antoine Hokayem, *La genèse de la constitution Libanaise de 1926: Le context du mandate français, les projets préliminaires, les auteurs, le texte final*, Antélias, 1996, 230–231, 271–372;
عصام كمال خليفة، **من الميثاق الوطنيّ اللبنانيّ إلى الجلاء ١٩٣٨–١٩٤٦**، لام، ١٩٩٨، ص ٨؛ علي شعيب، **مطالب جبل عامل: الوحدة، المساواة في لبنان الكبير ١٩٠٠–١٩٣٦**، بيروت، ١٩٨٧، ١٢٢.

٤٢) الحكيّم، **قراءة في مواقف**، مرجع سابق، ص ١٩–٢٣؛ سيل، رياض الصلح، ص ٣٣.

وأقلّ استفزازًا إياهم إذ إن شخصيّات أرثوذكسية (وفق تقرير كينغ-كرين) مالت إلى الوحدة مع سورية استنادًا إلى عروبة لديهم، ثقافية وانتمائية، هي عنصر أساس في تكوين تاريخهم وشخصيّتهم.[٤٣] ومنذ ١٩٣٤ تعيَّن المارونيّ حبيب باشا السعد للرئاسة وبقي الموارنة في هذا المنصب حتّى اليوم. واللافت أنّ الطائفيّ «المؤقّت» في دستور ١٩٢٦ ظلّ أساس النظام الطائفيّ الموروث من المتصرّفيّة، واستمر طوال العهود اللبنانيّة عبر «اتّفاق الطائف» حتّى اليوم.[٤٤]

تَحَلِّي المسلمين بالواقعية السياسية


الرئيس إميل إدّه

صحيح أن غالبيّة المسلمين قاطعوا «لبنان الكبير» أو تحفّظوا عليه، وإنما – مع محاولات الانتداب استرضاءَهم (تنظيم شؤون طائفتهم منذ ١٩٢٢، تعيين شخصيّة سُنيّة لمنصب مفتي بيروت وتحوُّله «مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة» في عهد الرئيس إميل إدّه، إنشاء محكمة جعفريّة للشيعة سنة ١٩٢٦) – تحلَّى بعضهم (من خارج بيروت) بالواقعيّة السياسيّة وانخرطوا تدريجيًّا منذ ١٩٢٠ في إدارة «دولة لبنان الكبير»، وهذا يناقض ذكر مؤرخين رفضَ جميع المسلمين الالتحاقَ بـ«لبنان الكبير». وعدّد الحكيّم أسماء سُنَّة ودروز وشيعة مرموقين أيّدوا «لبنان الكبير»[٤٥]. وظهرت رؤية جديدة للعلاقات الإسلاميّة المسيحيّة لدى شبّان من جنوب لبنان: عادل عسيران، رياض الصلح، كاظم الصلح، تقيّ الدين الصلح،

٤٣) جورج ناصيف، «من مسألة الكيان إلى مسألة السلطة السياسيّة». ٥٠ سنة من الاستقلال، مرجع سابق، ص ١٤٧. الراعي، **ميثاق ١٩٤٣**، مرجع سابق، ص ٨٦–٩١، ويشرح الأب الراعي باستفاضة ازدواجية انتماء الأرثوذكس العربيّ واللبنانيّ، ص ٩١–٩٨.

٤٤) في «اتّفاق الطائف» تشكيل لجنة تنظُر في إلغاء الطائفيّة السياسيّة؛ لكن ذلك لم يحصل، واستخدمت لترهيب المسيحيين وترويضهم. ألبير منصور، **الانقلاب على الطائف**، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٥٨.

٤٥) **قراءة في مواقف**، مرجع سابق، ص ١٧–٣٣.



رياض الصلح

شفيق لطفي، يوسف الجوهريّ...، فأصبحت «دولة لبنان الكبير» كيانًا معترفًا به لا تراجُعَ عنه.

من مؤشّرات انخراط المسلمين في «لبنان الكبير» نهايةَ العشرينات وطوال الثلاثينات:[٤٦]

- تعيينُ المحامي شفيق لطفي ويوسف الجوهريّ في اللجنة الإداريّة للبنان الكبير (١٩٢٠ و١٩٢٢).



كاظم االصلح



- انتخابُ نجيب عسيران (١٩٢٢ و١٩٤٠) في المجلسين التمثيليّين الأوّل والثاني عن صيدا، وفي مجلس النوّاب الأوّل والثالث، ونائب رئيس مجلس النوّاب مرّات عدّة كرئيس السنّ.
- تَرَشُّحُ الشيخ محمّد الجسر لرئاسة الجمهوريّة (١٩٣٢)، وكان قبلذاك رئيس مجلس الشيوخ (١٩٢٧) فرئيس مجلس النوّاب الموحّد بعد دمج مجلسي الشيوخ والنوّاب في أوّل تعديل دستوريّ (١٩٢٧).
- مشاركةُ المسلمين في إحصاء ١٩٣٢ السكّانيّ.
- إعلانُ قيادات إسلاميّة شابّة من جنوب لبنان إيمانَها بلبنان الكبير، مؤشِّرَ انبثاق وطنيّة لبنانيّة جديدة تبلْوَرَت في «مؤتمر الساحل الثالث» (١٩٣٦).

٤٦) سنّو، **دولة لبنان الكبير ١٩٢٠–٢٠٢١**، مرجع سابق، ص ٣٥–٣٦.

- ترؤُّسُ عبد الله بيهم الحكومة (١٩٣٤ و١٩٣٦)، وخير الدين الأحدب (١٩٣٧ و١٩٣٨)، وخالد شهاب (أَشهُر من ١٩٣٨) وعبد الله اليافي (١٩٣٨ و١٩٣٩) وعبد الله بيهم مجدّدًا (١٩٣٩ و١٩٤١).
- تعيينُ محيي الدّين النصولي نائبَ بيروت (١٩٣٧) ومقرّر لجنة المال النيابية (١٩٣٨).

مقابل الدعوات الإسلاميّة للانخراط في «لبنان الكبير» دعت أصوات إسلاميّة إلى إقامة فدراليّتين: مسيحيّة في جبل لبنان، وإسلاميّة في المناطق المضمومة إلى الكيان الجديد، لكنها ظهرت غير جادّة، للتخويف فحصول المسيحيّين على مكاسب سياسيّة. ولاحقًا تكرّرت المطالبة التكتيكيّة بالفدراليّة كلّما شعر المسلمون بسير الأمور لغير مصلحتهم.[٤٧] وهذا يذكّرنا بدعوات الموارنة إلى الفدرلة، خصوصًا منذ اندلاع الحرب في لبنان (١٩٧٥) وما زالت تصدر بتقطّع حتّى المطالبة العلنية.[٤٨]

«مؤتمر الساحل الثالث» (١٩٣٦) انتهى إلى رفض وجهاء المدن الساحليّة اللبنانيّة المسلمين المجتمعين مبدأَ لبنان الكبير من قبل، ومطالبتهم الالتحاق بسورية. تمرّد شباب مشاركون (كاظم الصلح وعادل عسيران وشفيق لطفي وسواهم) رفضوا التوقيع على المذكّرة فكان لموقفهم أثر إيجابي واستراتيجي على مستقبل التعايش المسيحيّ الإسلاميّ في لبنان الكبير.

وُجهَة إسلامية جديدة

بعد المؤتمر نشر كاظم الصلح مقالاً في **النهار** بعنوان: «مسألة الاتّصال والانفصال في لبنان»، فيه وجهةُ نظرٍ إسلاميّةٌ جديدة تؤيّد «دولة لبنان الكبير» ردًّا على رفض القوميّين العرب الكيان الجديد ومطالبتهم بفصل الأقضية الأربعة والساحل عنه وإعادة ضمّها إلى سورية.[٤٩] دعم موقفَه ابنُ عمه رياض الصلح تماشيًا مع سياسة الانفتاح على الشريك المسيحيّ.[٥٠]

٤٧) ربّاط، إدمون، **التكوين التاريخيّ للبنان السياسيّ والدستوريّ**، ترجمة حسن قبيسي، ج٢، بيروت، ٢٠٠٢. وللمقارنة: الراعي، ميثاق ١٩٤٣، مرجع سابق، ص ١٥٧–١٥٨.

٤٨) راجع الفصل السابع من كتابي: **دولة لبنان الكبير** حول دعوات ألفرد رياشي وموقع «حلف لبناننا» إلى الفدرلة، ص ٢٧٧–٣٤٠.

٤٩) عليّ شعيب، «رياض الصلح واستقلال لبنان»، مرجع سابق، ص ٣٢٤–٣٢٥. وقارن بـ: Stephen Hemsley Longrigg, Syria and Lebanon Under French Mandate, 2nd ed, Beirut, 1968, 144ff.

٥٠) شعيب، رياض الصلح، ص ٣٢٥.

فنَّد كاظم الصلح قبوله ورفاقه بالدولة اللبنانيّة الجديدة بالرؤية الوطنيّة المستقبليّة التالية: «خروج المسلمين من لبنان الكبير سيعيد لبنان صغيرًا، وسيجعل موارنته يرتمون في أحضان فرنسا... لا نريد أنْ نبني وطنًا نصف سكّانه أعداء له، ولا أن يُرغَمَ فريق كبير من سكّان الساحل على الانضمام إلى سورية وطن الوحدة. من الخَرْق أنْ تُجدَّدَ تجربةٌ في لبنان جعلت نصف سكّانه أعداء له. وإذا كان لا بدّ من انضمام لبنان وملحقاته إلى الوطن السوريّ فلْيتمّ بالاتّفاق والتراضي والإقناع والإيمان أنَّه خير للجميع لا لفريق واحد». وختم: «لا أجد بأْسًا في الانفصال (لبنان عن سورية) ما دامت تلك القوميّة (العربيّة) تترعرع وتُصان في كلّ قطر، حتى تثبتَ لهذه الأقطار مصلحتها في الاتّحاد فتتّحد».[٥١]

حاول رياض الصلح التوفيق بين الوطنيّة اللبنانيّة والقوميّة العربيّة، باعتباره الوفاء للبنان الكبير لا يتناقض مع العروبة.[٥٢] وكان في «مؤتمر دمشق» (١٩٢٨) طرح موقفًا إسلاميًّا متقدّمًا للتعايش الإسلاميّ المسيحيّ: «أفضّل أنْ أعيش في كوخ داخل وطن لبنانيّ من أنْ أعيش مستعمَرًا في أمبراطوريّة عربيّة»[٥٣] ما دلّ على تبدّل أولويّاته كرجل دولة. ورأى أنْ كلّما تشدّد المسلمون في موضوع لبنان الكبير لجأ المسيحيّون الموارنة إلى إحضان فرنسا. لذا انفتح على الطوائف وعلى البطريرك الماروني أنطون عريضة[٥٤] معتبرًا دولةَ الانتداب فرنسا عقبةً تمنع التلاقي المسيحيّ الإسلاميّ. بعدذاك خاطب دعاةَ الكيان اللبنانيّ (بينهم إميل إدّه المؤيّد الانتداب الفرنسيّ) بأن يحسُموا أمرهم بالاستقلال التامّ عن فرنسا فيلاقيهم المسلمون في منتصف الطريق ويجتمع اللبنانيون على صيغة مشتركة للتعايش والعلاقة بالعالم العربي[٥٥]، وهذا هو التوفيق بين هويّتين متضادَّتين: العربيّة للمسلمين واللبنانيّة للموارنة. وكان للديموغرافيا الإسلامية «المشاغبة» أثر في تباينات بين الجانبين.

---

٥١) أنطوان الحكيّم، **من متصرّفية جبل لبنان إلى لبنان الكبير ١٩١٤–١٩٢٠**، الدار اللبنانيّة للنشر الجامعي، بيروت، ٢٠١٨، ص ٢٥٣.

٥٢) سيل، **رياض الصلح**، ص ٣٣٤.

٥٣) نقلاً عن: باسم الجسر، **ميثاق ١٩٤٣. لماذا كان؟ وهل سقط؟**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨١.

٥٤) سيل، **رياض الصلح**، ص ٣٤٥–٣٤٦، ٣٤٧.

٥٥) علي شعيب، «رياض الصلح واستقلال لبنان»، مرجع سابق، ص ٣١٨–٣٢٠.

حذر ماروني من الديموغرافيا

صحيح أنّ الاتجاهَ الماروني العامّ كان مع «لبنان الكبير» منذ البطريرك الحويّك بدون دون قطع العلاقات الطيبة مع سورية،[٥٦] لكنّ قلّة من القيادات المارونيّة حذّرت من نموّ الديموغرافيا الإسلاميّة مستقبلاً فيذوب لبنان المسيحيّ المستقلّ في أكثريّة إسلاميّة. لذا طالبت بتصحيح «الخطأ» والعودة إلى «لبنان الصغير» ثم توسيعه في بعض المناطق الحيويّة لأمنه القوميّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ وإبعاد الخطر الديموغرافيّ الإسلاميّ عن المسيحيّين. أبرز هؤلاء: إميل إدّه، والمطران أغناطيوس مبارك[٥٧] الذي انتقد الفرنسيّين بشدّةٍ داعيًا إلى وطن قوميّ مسيحي في لبنان.[٥٨] إنما لم يُستجَبْ لرأيه ولا لرأي إدّه. من هنا اعتبر فؤاد أفرام البستاني فيلسوف «القوميّة اللبنانيّة» «أنّ الصراع في لبنان سياسيّ وحضاريّ بين المسيحيّة والإسلام»[٥٩] منذ إلحاق الأقضية الأربعة به إذ ازداد سكّانه نحو ٢٠٠ ألف، جُلّهم من المسلمين. وهذا ما سيجعل المولود الجديد يترنّح مستقبلاً أمام الديموغرافيا الإسلاميّة «المشاغبة» جرّاء خلافات ذات طابع طائفيّ ثقافيّ بين



المطران اغناطيوس مبارك

٥٦) قال البطريرك الحويّك (١٩٢٣): «نحن اللبنانيّين نحبّ جيراننا، نرجو لهم كلّ خير ونجاح، وندعو لهم بالسعادة والإقبال. ومع عاطفتنا نحوهم نريد أن نعيش أحرارًا في بيوتنا كما هم أحرار في بيوتهم، وأن نعيش لبنانيّين لا فرق بين طوائفنا من حيث الواجب الوطني. هذه أمانينا ونيّاتنا كانت ولا تزال كما كانت، ولن يَعْتَوِرَها تبديل ولا تعديل». الحويّك، **خادم الله البطريرك مار الياس بطرس الحويّك**، مرجع سابق، ص ٤١٩.

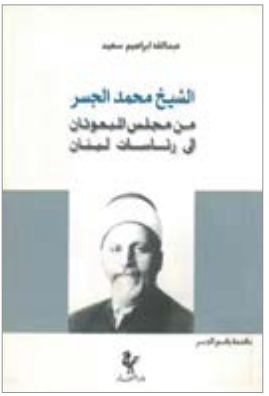
٥٧) حول مواقف إده والمطران مبارك من لبنان الكبير: كتاب ألكسندر جرجي أبي يونس **إميل إدّه (١٨٨٣–١٩٤٩)**. **قدّة الجمهوريّة اللبنانيّة**. بيروت، ٢٠١٩؛ ومقال جان نخّول «موقف المطران مبارك من استقلال لبنان». **اليوبيل الذهبيّ لاستقلال لبنان**، مرجع سابق، ص ٣٦١–٣٩٥.

٥٨) الخازن، «الميثاق الوطنيّ في أبعاده الداخليّة والخارجيّة»، مرجع سابق، ص ٦٥٩.

٥٩) فؤاد أفرام البستاني، **مواقف لبنانيّة**، ج١، **خواطر لبنانيّة في الأحداث والمحدثين**، جامعة الروح القُدُس – الكسليك، ١٩٨٢، ص ١٢٨.



الشيخ محمد الجسر



الشيخ محمد الجسر

الطائفتين، واستقواء الطوائف بالخارج بعضها على بعض، فتطلّع الموارنة إلى فرنسا، ومال المسلمون إلى سورية.

حالت سلطة الانتداب الفرنسيّ وقيادات سياسيّة وروحيّة مارونيّة دون وصول الشيخ المسلم محمّد الجسر إلى رئاسة الجمهورية (١٩٣٢) وهو المنفتح على البطريرك الياس الحويّك[٦٠] وعلى قيادات مسيحيّة أخرى، فتأجَّجَت الخلافات الطائفيّة. لقي الجسر دعم إميل إدّه ونوّاب مسيحيّين، لتنافس إده وبشارة الخوري، فمضى في ترشّحه وعارضته قيادات مارونيّة روحيّة ومدنيّة بحجّة أنَّ رئاسة الجمهوريّة يجب أنْ تكون لمارونيّ إذ انتظر الموارنة الفرصة لاحتكار المنصب منذ تعيين شارل دبّاس. واعتقدت قيادات مارونيّة أنَّ لبنان «الموطن المسيحيّ»، إذا وصل مسلم إلى سدّة الرئاسة، معرّض للزوال وسيدور بفضل مسلميه في فلك سورية.[٦١]

الانتداب: مسلم في سورية مسيحي في لبنان

وللحؤول دون إجراء الانتخابات، عطّلت سلطة الانتداب العمل بالدستور، حلَّت مجلس النوّاب وأبلغت الجسر: «لما كان رئيس الجمهوريّة السوريّة مسلمًا، من المنصف أنْ تكون الرئاسة في لبنان لمسيحي»،[٦٢] مع أنّ سورية دولتان منفصلتان تحت الانتداب الفرنسيّ. تسبّب القرار

٦٠) قال عنه البطريرك الحويّك: «عرف الشيخ محمّد أن يتسلّل إلى مداخل السياسيّين ويستلّ منهم ذاتيّتهم دون أن يدع أحدًا يستلّ منه ذاتيّته، وهذه سياسة رشيدة المقرونة بكثير من الحكمة». الحويّك، **خادم الله البطريرك مار الياس بطرس الحويك**، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

٦١) ربّاط، ج٢، ٦٤٢–٦٤٣.

٦٢) فيديل سبيتي، «كيف دعم المسلمون انطلاقة لبنان الكبير؟». موقع: **Independent عربيّة**، ١ أيلول ٢٠٢٠
https://tinyurl.com/9sautnjb (دخول ٢٠٢١/٩/٧).

بصدمة كبيرة للمسلمين أن يُهَمَّشوا في الدولة اللبنانيّة.[٦٣] وكان فشل ترشُّح الجسر، وقبله اقتراح سرّاي بتعديل الدوائر الانتخابيّة (١٩٢٥) على أساس غير طائفيّ، مؤشّر سعي فرنسا للإبقاء على الانقسام الطائفيّ.

بعد المعاهدة الفرنسيّة السوريّة (١٩٣٦) سارت الأمور تسير لمصلحة اعتراف سورية بلبنان،[٦٤] والحد من طموحات وحدويّة لدى قوميّين عرب لبنانيّين معتبرين أنهم جزء من الشعب السوريّ. تحلّى بعضهم بالواقعيّة السياسيّة، وخلال المفاوضات الفرنسيّة السوريّة طالب رياض الصلح بمعاهدة مثيلة بين لبنان وفرنسا تؤدّي إلى استقلال لبنان، لا بفرض الحماية الفرنسيّة عليه، وراح يمدّ الجسور مع لندن لمواجهة باريس.[٦٥] ارتاب معظم المسلمين بمعاهدة فرنسيّة لبنانيّة صدّق عليها مجلس النوّاب اللبنانيّ (تشرين الثاني١٩٣٦) ولم تُبْرِمْها فرنسا لأن نوايا الموارنة كانت الحصول على الحماية الفرنسيّة، فلم تلحظ المعاهدة أيّ نصّ حول المدّة الزمنيّة لبقاء القواعد العسكريّة الفرنسيّة في لبنان.[٦٦]

الديموغرافيا «المشاغبة»

توازيًا مع مسألة الهويّة، أقلقَت الديموغرافيا «المشاغبة» بال المسيحيين لتصاعد أعداد المسلمين لاحقًا مقابل المسيحيّين، بعدما أظهر الإحصاء السكّاني الثاني (١٩٣٢) زيادة طفيفة لأعدادهم إزاء أعداد المسلمين.[٦٧] وراح كلّ فريق طائفي يعمل على تعزيز عدد أفراد طائفته لأسباب سياسيّة: طالب المسلمون بتجنيس الأكراد وأهالي وادي خالد،

٦٣) عبد الله إبراهيم سعيد، **الشيخ محمّد الجسر: من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان**، بيروت، ٢٠٠٥؛ سنّو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف**، مرجع سابق، ص ٥٦–٦٥. وقارن بـ: ألكسندر جرجي أبي يونس، **إميل إدّه**، مرجع سابق، ص ٨٥–٨٩.

٦٤) لم تتضمن المعاهدة اعتراف سورية بلبنان، وإنما تعهّدت الحكومة السوريّة في بروتوكول ملحق بالدخول في مفاوضات مع لبنان لحلّ القضايا العالقة بينهما.
A.H. Hourani, Syria and Lebanon. A Political Essay, New Impression,Beirut. 1968, 202.

٦٥) شعيب، «رياض الصلح»، مرجع سابق، ص ٣٢٥، ٣٣١.

٦٦) سيل، **رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربيّ**، مرجع سابق، ٣٥٩–٣٦٣.

٦٧) ٣٩٦,٩٤٦ للمسيحيّين مقابل ٣٨٦,٤٦٩ للمسلمين. حسّان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣–١٩٥٢**، ط٣، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٣٢.

وخاف المسيحيّون من الديموغرافيا الإسلاميّة فطالبوا بتجنيس الأرمن والأقليّات.[٦٨] وخوفًا من الديموغرافيا الإسلاميّة طالب إميل إدّه إبّان الانتداب بلبنان مسيحي صغير مفصول عن سورية، بإضافة البقاع وعكار وبيروت، خشيةَ أن يتحوّل لبنان الكبير دولةً إسلاميّة، لأن لبنان المسيحي يؤمن التوازن الاستراتيجي مع المحيط العربي الإسلامي وخصوصًا مع سورية.[٦٩] لكن هذه المخاوف المتبادلَة لم تعِقِ التقارب الإسلامي المسيحي نحو التعايش في «وطن».

الميثاق الوطني: وليد البورجوازيَّتين

منذ أواخر الثلاثينات تحاورت قيادات بورجوازيّة مسيحيّة وإسلاميّة حول سبل تعايشها الطوائفيّ، تضمُّها جوامع مشتركة ومصالح اقتصاديّة وعلاقات اجتماعيّة بين أبناء الطائفتين بأنّ لبنان ضرورة لهما وللعالَمَين العربي والغربي[٧٠]. وأدركت البرجوازيّة المسيحيّة حماقة فصل لبنان عن داخله العربيّ لارتباطها بمصالح تجاريّة وماليّة مهمّة معه[٧١]، وتنبّهت البرجوازيّة الإسلاميّة إلى فائدتها من مصالح المسيحيّين المتينة مع فرنسا والغرب. استمرّت تلك النقاشات حتّى ١٩٤٣ حول قضيّة واحدة: التوفيق بين القوميّة العربيّة ببُعدها الإسلامي (المطلب الإسلاميّ) والوطنيّة اللبنانيّة الناشئة بخصوصيّتها المسيحيّة، ثم الانتقال هويّة جامعة تتشكّل من هويات جزئية مرتبطة بالدين والتاريخ والوجدان لسكّان الجبل ولمسلمين ملحقين بدولة لبنان الكبير، وهو ما نتج عنه «الميثاق الوطنيّ»[٧٢] الذي بموجبه اتفق الجانبان المسيحيّ والمسلم على التعايش وحياد لبنان عن الخارج، وتقاسمت «الصيغةُ» حصصَ الطوائف في الدولة على أساس النسبيّة، وخاض اللبنانيّون معًا معركة الاستقلال ضدّ فرنسا. إنما استمر التباسُ الهويّة لدى مسلمين تقبَّلوا مكرهين وطنهم الجديد

٦٨) عبد الرؤوف سنّو، حرب لبنان ١٩٧٥–١٩٩٠. تفكّك الدولة وتصدّع المجتمع، مج١: مفارقات السياسية والنزاعات المسلّحة والتسوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩٥.

٦٩) آني لوران وأنطوان بصبوص، **الحروب السريّة في لبنان**، م ا ت بيروت، ١٩٨٨، ص ١٩٢–١٩٤؛

٧٠) جهاد الزين، «نحو دور بين الشرق والشرق»؛ **٥٠ سنة من الاستقلال**، مرجع سابق، ص ٩٢–٩٣.

٧١) خليفة، **من الميثاق الوطنيّ اللبنانيّ إلى الجلاء ١٩٣٨–١٩٤٦**، مرجع سابق.

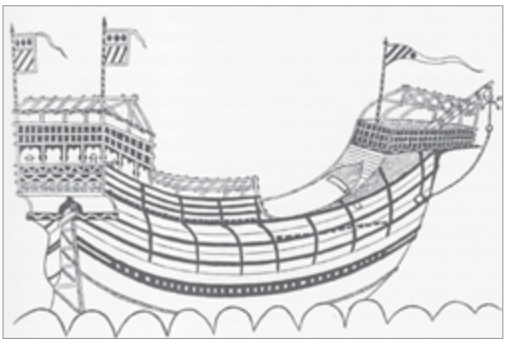
٧٢) الخوري باسم الراعي، **ميثاق ١٩٤٣**، مرجع سابق، المقدّمة، ٢٥–٢٨.

متهمين المسيحيّين بالاستئثار بالمناصب ونوعيتها وحجمها وتوزيعها. وتشبث الموارنة بقوميتهم اللبنانيّة فتأجّجت مكوّنات النزاعات الطائفية. واعترف رياض الصلح في بيان حكومته الأولى (١٩٤٣) بأنّ الطائفيّة السياسيّة «تقيّد التقدّم الوطني وتسمّم العلاقات بين جماعات روحيّة متعددة يتألّف منها الشعب اللبناني». وبعد «الميثاق الوطني» نشأ صراع داخلي على الهوية والإنماء المتوازن، على السلطة والمناصب، على سياسة لبنان الخارجيّة تجاه الأحلاف الشرق أوسطيّة ومشاريع الوحدة العربيّة من الهاشميين إلى عبد الناصر، فكانت حوادث ١٩٥٨، وتأسست «منظّمة التحرير الفلسطينية» (١٩٦٤) بفصائل أقامت قواعدها في لبنان بعد هزيمة العرب أمام إسرائيل (١٩٦٧) جاعلةً أرضه منطلق عمليّات فدائيّة ضدّها، فاختلت التوازنات الطوائفيّة بتورّط لبنان في الصراع العربي الإسرائيلي، وسقط لبنان (١٩٧٥) في الحرب الداخليّة الأقسى والأطول في تاريخه، وأسقط الجميع جوهر «الميثاق» منذ ١٩٧٦.

بيروت أيقونةُ الحُجَّاج إلى الأراضي المقدسة

د. بيار مكرزل

مع النصف الآخَر من القرن الرابع عشر تطوّرت مدينة بيروت تجاريًّا، وأصبحت مركزًا أساسيًّا للسفن في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط، فباتت ملتقى التجّار والحجّاج والمسافرين إلى بلاد الشام[1]، وميناء أساسيًّا لتجارة العبور (الترانزيت) بين الشرق الأقصى وأوروبا. وتضاعفت أهميّتها التجاريّة بعد تأسيس البنادقة (أهل البندقيّة في إيطاليا) عام ١٣٦٦ خطًّا بحريًّا تعمل بانتظام عليه – بإشراف مجلس الشيوخ البندقي – سفنُ الكوكا (cocca)[2] المَخصّصة لشحن البضائع الكبيرة الحجم والرخيصة كالقطن والقلي (الرماد) والسكّر. كانت تقصد ميناء بيروت مرّتين في السنة: ربيعًا في آذار (أربع أو خمس سفن وأحيانًا ١١ سفينة)، وخريفًا في أيلول (أربع أو خمس سفن). وبعد بيروت تتوجّه إلى موانئ أخرى على الساحل الشامي: عكّا، طرابلس، اللاذقيّة[3].



سفينة كوكا حمولتها ٦٠٠ طن عام ١٤٤٥
Frederic Lane, *Venetian ships and shipbuilders of the Renaissance*

١) للمعلومات عن تطوّر دور بيروت التجاري وعلاقاتها مع أوروبا خلال حكم المماليك:
Pierre MOUKARZEL, *La ville de Beyrouth sous la domination mamelouke (1291–1516) et son commerce avec l'Europe*, Éditions de l'Université Antonine, 2010.

٢) سفينة كبيرة تصل حمولتها إلى ٦٠٠ طن.

٣) *Cronaca di Antonio Morosini*, It.VII, 2048–2049. Pos.Marc, Biblioteca Marciana, Venezia, C173, C191.

الخط البحري البندقية – بيروت

ازدادت أهميّة بيروت التجاريّة بعدما نظّم مجلس الشيوخ البندقي Senato عام ١٣٧٤ خطًّا تجاريًّا بحريًّا يصل البندقيّة ببيروت، تعمل عليه بانتظام سفن الغالير (galera)[٤] ناقلةً من بيروت توابل وبضائع الثمينة كالحريرِ والأحجار الكريمة. وسنويًّا في آب وأيلول كانت تقصد بيروت ثلاثٌ أو أربعٌ من سفن غالير.[٥] وهذا الخطّ البحري اشتُهر في المصادر البندقيّة باسم Muda di Baruti (مودا بيروت) بديلاً لخطّ كان يربط البندقيّة بقبرص، توقّف عن العمل من ١٣٧٣ إلى ١٤٤٤[٦]، فأمست سفن البندقية تقصد قبرص محطّةً وتكمل طريقها إلى ميناء بيروت وجهتها الرئيسَة[٧].

إلى هذين الخطيّن البحريّين التجاريّين البندقية – بيروت، نظّم البنادقة خطًّا بحريًّا لنقل الحجّاج إلى الأرض المقدّسة في فلسطين مرورًا ببيروت، فكان مكمّلاً خطوطَ النقل التجاريّة. وقبل الحملات الصليبية كانت البندقيّة أحد أبرز الموانئ الأوروبيّة لنقل الحجّاج إلى الأراضي المقدّسة، واستمّرت كذلك إبان القرنين الرابع عشر والخامس عشر تتصدّر تنظيم الحجّ ونقل الحجّاج ما كان قطاعًا إقتصاديًّا مربحًا جدًّا. وفي النصف الآخَر من القرن

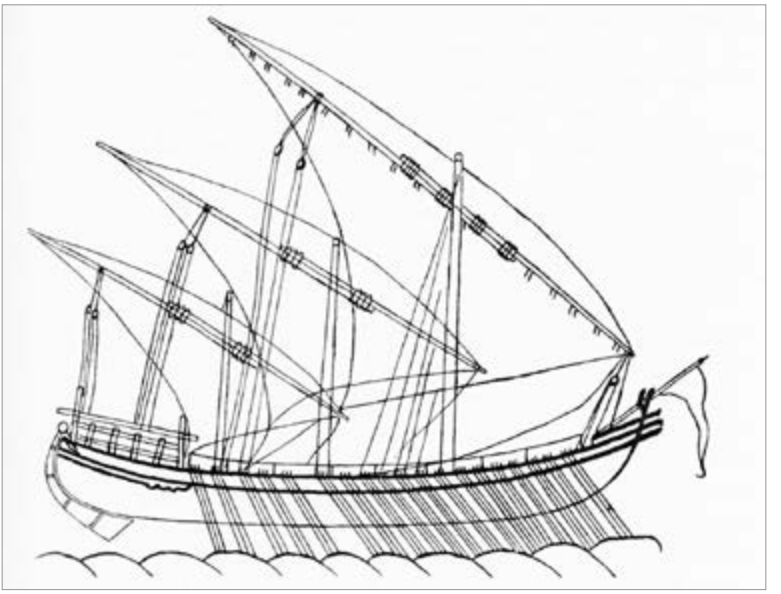
٤) كانت سفن الغالير نوعين: غالير كبيرة (حمولتها ٢٥٠ طنًا)، وغالير خفيفة (حمولتها ١٥٠ طنًا).

٥) *Archivio di Stato di Venezia*, Senato Misti, reg.34–60; Senato Mar, reg.1–8 ; Incanti di galere, reg. 1–2.

٦) عام ١٣٧٣، استولى الجَنَويّون على فاماغوستا، ميناء جزيرة قبرص الرئيسي، فاضطرّ التجّار الأوروبيّون (البنادقة، الكتَلان وغيرهم) إلى توجيه تجارتهم وأعمالهم نحو بيروت، الميناء الأقرب إلى دمشق ذات أسواق التوابل والبهارات والمُنتَجات الشرقيّة المختلفة.

٧) *Archivio di Stato di Venezia*, Senato Misti, reg. 34, f.82, f.85, f.87.
يختلف معنى كلمة «مودا» وفقَ وُرُودها في النصوص: قد تعني موكب سفن الغالير (galera) المُغادر البندقيّة سنويًّا وتنظّمه الحكومة. وقد تعني مدة رُسُوّ السفن في الميناء، أو شهرَ تصلِ السفن للتجارة. وقد تعني السوق السنويّ عند وصول سفن الغالير الى ميناء بيروت خريفًا (آب- أيلول). وتختلف الآراء حول أصل الكلمة، فقد تكون تحريف الكلمة العربيّة «مدّة»، أو هي مشتقّة من الفعل الإيطالي «mutare» أي التبادل.

Frederic LANE, « Fleets and fairs: The function of the venetian muda », *Studi in onore di Armando Sapori*, I, Milano, 1957, p. 651; Gino LUZATTO, « Navigazione di linea e navigazione libera nelle grandi città marinare del Medioevo », *Studi di storia economica*, Venezia-Padova, 1954, p. 54; Doris STÖCKLY, *Le système de l'Incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe–milieu XVe siècle)*, Éd. Brill, 1995, p.26-27 ; Wilhelm HEYD, *Histoire du commerce*, II, p. 453.



سفينة غاليرنحو سنة ١٤٤٥

الخامس عشر كان لأسرة كونتاريني Contarini في البندقيّة دور رئيس في نقل الحجّاج في سفن تعمل بإدارتها، وسطع اسمُ أندريا كونتاريني بين ١٤٥٥ و١٤٧٥، وبعده أغوستينو كونتاريني بين ١٤٧٩ و١٤٩٦، وسُمِّيا dal Zaffo أي «اليافي» (نسبةً إلى يافا في فلسطين) لشهرتهما في نقل الحجّاج إلى ميناء يافا الذي بات منذ منتصف القرن الخامس عشر الميناء الرئيسي لسفن الحجّاج[٨].

لِمَ اختيار البنادقة مدينةَ بيروت، حتى منتصف القرن الخامس عشر، محطّة رئيسة للحجّاج في الطريق إلى ميناء يافا؟ وما دور بيروت بالنسبة للحجّ؟

(٨ Bernard DOUMERC, « Le dispositif portuaire vénitien (XII^e-XV^e siècles) », *Ports maritimes et ports fluviaux au Moyen Âge, Société des Historiens Médiévistes de l'Enseignement Supérieur public SHMES (La Rochelle 5 et 6 Juin 2004)*, Publications de la Sorbonne, 2005, p. 111; Frederic LANE, *Navires et constructeurs à Venise pendant la Renaissance*, SEVPEN, Paris, 1965, p. 27.

بالإستناد إلى ما ورد في كتابات الحجّاج الأوروبيّين، فإنّ القسم الأكبر من الحجّاج كانوا ينطلقون من مدينة البندقيّة نحو الأرض المقدّسة. راجع:

Reinhold RÖHRICHT/Heinrich MEISNER, *Deutsche pilgerreisen nach dem Heiligen Lande*, Berlin, 1880; Ursula GANZ-BLÄTTLER, *Andacht und Abenteuer berichte europäischer Jerusalem-und Santiago-Pilger (1320–1520)*, Gunter Narr Verlag Tübingen, 1990.

للإجابة نستطلع أوّلاً سلسلة أحداث رافقت تنظيم نقل الحجاج الأوروبيّين إلى فلسطين في سفن البندقيّة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

بيروت محطّة أولى للحجّاج الأوروبيّين

سقوطُ عكّا سنة ١٢٩١ في حُكم المماليك انعكس سلبًا على حركة الحجّ الأوروبي إلى الأرض المقدّسة. حُرِمَ الحجّاج من إتمام فروضهم الدينيّة إبان زيارتهم أماكنَ مقدّسةً ورَدَ ذكرها في الكتاب المقدّس. إنما، رغم تغييرات شهدها الشرق وتقلّبات ظروف عسكريّة وسياسيّة، عاودت حركة الحجّ نشاطها إثْرَ تنظيم خطوط بحريّة تجاريّة جديدة تصل البندقيّة بالإسكندريّة (منذ ١٣٤٤) وبيروت (منذ ١٣٧٤)، فكان الحجاج إبان القرن الرابع عشر يختارون بين هذين الخطّين، ويفضّلون السفر في سفن الغالير البندقيّة، لأنها أسرع وأكثر أمنًا من سفن الكوكا، وتعمل بإشراف مجلس الشيوخ البندقي، وتُبحر بمحاذاة السواحل، فترسو ليلاً في موانئ آمنة تتيح للحجّاج النزول إلى البرّ للتزوّد بمواد غذائيّة طازجة. وكان ربابنة السفن والبحّارة يخضعون لمراقبة الحكومة البندقيّة، ما يوفّر الأمان والنظام على متن السفن خلال الرحلة.. ويشهد الكونت دو ناسو Comte de Nassau، مبعوث دوق بورغنديا Duc de Burgundy إلى جزيرة رودُس عام ١٤٤١ متجهًا إلى زيارة الأرض المقدّسة، أنّ «الغالير أكثر أمنًا وأسرع وإن تكن نفقات السفر فيها تفوق ما على متن سفينة الكوكا أو غيرها»[٩]. وكانت الكوكا وغيرها من السفن الكبيرة تبحر مباشرةً إلى وجهتها دون التوقّف في الموانئ إلاّ عند الضرورة، ما يحول دون حصول الحجّاج المسافرين على مؤن طازجة ومياه عذبة.

لِمَ كان الحجّاج يختارون السفر إلى فلسطين من البندقيّة لا من أي ميناء أوروبي آخر: أنكونا، نابولي، مسينا، فالنسيا، مرسيليا، جنوى، پيزا، سيراكوز (صقلّية)؟

الجواب أعطاه فرنشيسكو سوريانو Francesco Suriano رئيس دير الفرنسيسكان في بيروت بين ١٤٨١ و١٤٨٤، ثمّ في القدس بين ١٤٩٣ و١٤٩٦: المسافة من صقليّة إلى فلسطين نحو ١٨٠٠ ميل بحري (عن

(٩) «*sua Magnificencia ibit molto securius et utius cum una galea quam cum una navj. Sed ibit cum multo maiori expensa quam iret cum navj*». Pietro CASOLA, *Canon Pietro Casola's pilgrimage to Jerusalem in the year 1494*, edited by M.Margaret Newett, Manchester, At the University Press, 1907, p. 75.

الخرائط البحريّة الإيطاليّة أن الميل البحري بين ١٢٠٠ و١٤٠٠ متر) ومن البندقيّة نحو ٢٠٠٠ ميل. ومع أن المسافة بين البندقيّة وفلسطين أطول مما بين صقلية وفلسطين، بقي السفر من البندقيّة أفضل لأن الحجّاج في البندقيّة يجدون بسهولة مكانًا على متن السفن. ويصعب في الموانئ الأخرى إيجاد سفينة تسافر إلى الشرق، فمن البندقيّة تسافر سنويًّا عشرات السفن إلى الشرق حاملةً كميّات كبيرة من البضائع. والبندقية وحدها خصّصت سفنًا إلى ميناء يافا عرُفت بـ«سُفُن الحجّاج»، ووحدها كانت ترسل فرق جنود بكامل أسلحتهم لمرافقة السفن وحمايتها من هجمات القراصنة و«لصوص البحر». كما كانت السفن البندقيّة ترسو في محطّات عدة للتزوّد طعامًا وماءً، وفي مناطق تخضع لسيطرة البنادقة ما يوحي بالأمان وراحة الحجّاج، ما لم يتوفر في سفن المدن الأوروبيّة الأخرى[١٠].

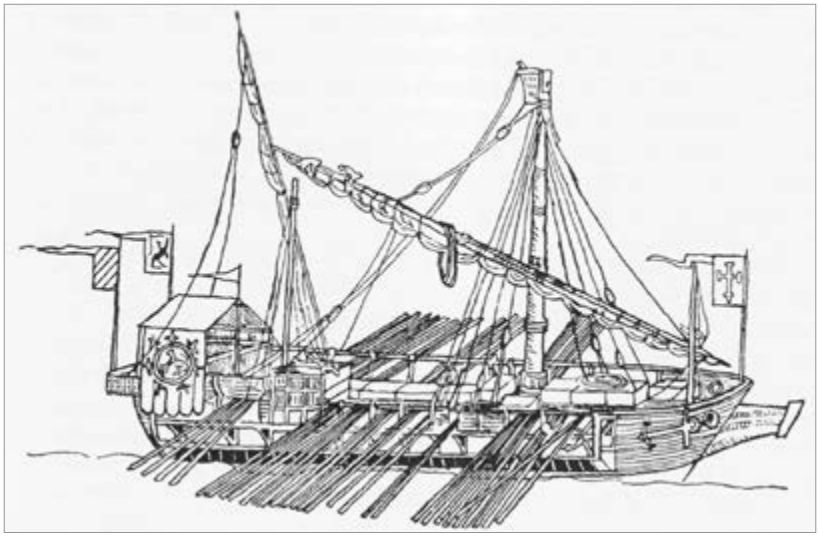
سُفُن الحجّاج في بيروت

سفُن البندقيّة لنقل الحجّاج جزءٌ من الأسطول التجاري البندقي. فمجلس الشيوخ البندقي كان سنويًّا يتيح للحجّاج السفر في سفن الغالير المتّجهة إلى بيروت، والمعروفة بـ«غالير بيروت» تقلع من البندقيّة في ٢٤ آب أو مطلع أيلول، لرحلة من نحو ٢٢٦٠ ميلاً بحريًّا. ومع نهاية القرن الرابع عشر ارتفع عدد الحجّاج إلى الأرض المقدّسة، وباتت سفن الغالير المتجهة إلى بيروت وسيلة النقل الأولى. وبين ١٣٨٢ و١٣٩٦ أصدر مجلس الشيوخ البندقي قرارًا بتأخير انطلاق السفن إلى بيروت بسبب العدد الكبير من الحجّاج[١١]، واضطرار السلطات البندقيّة لحصر سفرهم في سفينة واحدة من تلك المنطلقة إلى بيروت. ولضيق المساحة المخصّصة للحجّاج (حيال كميّات البضائع والتجّار المسافرين) كان المسؤولون البنادقة يوزعونهم على سفن الموكب، حتى إذا رست في بيروت وأفرغت حمولتها، يجمّع قبطان الموكب الحجّاج في سفينة واحدة (أو إثنتين إذا العدد كبير) وتكمل بهم إلى يافا ليواصلوا طريقهم برًّا إلى القدس وغيرها من الأماكن المقدّسة في فلسطين. وإذ تعود السفينة إلى ميناء بيروت

(١٠) Francesco SURIANO, *Treaties on the Holy Land*, Translated by T.Bellorini – E.Hoade with a preface and notes by B. Bagatti, Franciscan Printing Press, Jerusalem, 1949, Reprinted 1983, p. 32.

(١١) Eliyahu ASHTOR, « Venezia e il pellegrinaggio in Terrasanta nel basso Medioevo », *Archivio Storico Italiano*, 1985, p. 202.

لتحميل بضائع اشتراها التجّار البنادقة ترجع من جديد إلى يافا بعد ٨ أو ١٢ يومًا لإعادة الحجّاج إلى بيروت والعودة إلى البندقيّة في موكب واحد[١٢].



سفينة غالير كبيرة مجهّزة لسفر الحجّاج ١٤٨٣–١٤٨٤
كما رسمها الحاجُّ الألماني برنهارد فون بريدنباخ[١٣]

في تدوينات الفرنسي أُوجييه دنغلور Ogier d'Anglure إثر سفره سنة ١٣٩٥ إلى بيروت في سفينة بندقية ضمن موكب من خمس سفن، جاء: «يرسل البنادقة سنويًّا خمس سفن غالير إلى الأرض المقدّسة. تصل إلى بيروت وهي ميناء دمشق أيضًا، فتتجّه سفينتان للخجّاج إلى يافا، ميناء أورشليم والرملة»[١٤]. أمّا مسار الرحلة من البندقيّة إلى بيروت، فهو[١٥]:

(١٢) *Archivio di Stato di Venezia*, Senato Misti, reg. 57, f.229 ; reg.58, f.153–154.

(١٣) Bernhard VON BREYDENBACH, *Bernhard Von Breydenbach and his journey to the Holy Land 1483-84. A Bibliography*, Compiled by Hugh WM. Davies, J.& J. Leighton, London, 1911, p. 21.

(١٤) « *De droicte ordonnance les Veniciens envoyent chascun an V galées en la Terre Saincte, et arrivent a Barust qui est le port de Damas en Surie; et d'illec se partent les deux qui menent les pelerins au port de Jasfe qui est le port de Jherusalem et de Rames* ». Ogier D'ANGLURE, *Le saint voyage de Jérusalem du seigneur d'Anglure*, Éd. Fr.Bonnardot-A-Lognon, Paris, 1878, p. 341.

(١٥) Ogier D'ANGLURE, *Le saint voyage de Jérusalem*, p. 7–10.

المغادرة	التاريخ	الوصول	التاريخ	المسافة	المدّة	مدّة التوقّف في المحطة
البندقية	الإثنين ٢٩ آب	بولا	الثلاثاء ٣٠ آب	١٠٠ ميل	يوم	يوم
بولا	الأربعاء ١ أيلول	كورفو	الإثنين ٦ أيلول	٦٠٠ ميل	٦ أيام	يوم
كورفو	الثلاثاء ٧ أيلول	سيفالونيا	السبت ١١ أيلول	١٥٠ ميل	٥ أيام	يومان
سيفالونيا	الأحد ١٢ أيلول	مودون	الأربعاء ١٥ أيلول	٣٠٠ ميل	٤ أيام	يوم
مودون	الخميس ١٦ أيلول	رودُس[١٦]	الأحد ١٩ أيلول	٦٠٠ ميل	٤ أيام	يوم
رودوس	الإثنين ٢٠ أيلول	بيروت	الجمعة ٢٤ أيلول	٥٦٠ ميل	٥ أيام	من دون توقّف[١٧]

تنقسم الرحلة إلى محطّات تَبعد واحدتها عن الأخرى إبحارًا أربعة أيام أو خمسة، مدّة التوقّف في كلّ محطّة يوم واحد إلاّ إذا حصل ما يؤخّر موعد الإنطلاق. فالتوقف في جزيرة سيفالونيا يومين سببه هبوب رياح معاكسة[١٨]. ووفق المصادر البندقيّة كانت سرعة سفينة الغالير بين البندقية وبيروت تبلغ من ١٠٠ إلى ١٥٠ ميلاً في اليوم حين الرياح ملائمة للإبحار، إنما مع هبوب رياح معاكسة تنخفض سرعتها إلى أقل من ٣٣ ميلاً في اليوم. وعن أوجييه دنغلور أن الرحلة بين البندقيّة وبيروت استغرقت ٢٧ يومًا (٢٩ آب – ٢٤ أيلول) مقسّمة هكذا:

مدّة الرحلة	النسبة المئويّة للسفن في البحر	النسبة المئويّة لتوقُّف السفن في المحطّات
٢٧ يومًا	٪ ٨٠,٦٤	٪ ١٩,٣٥

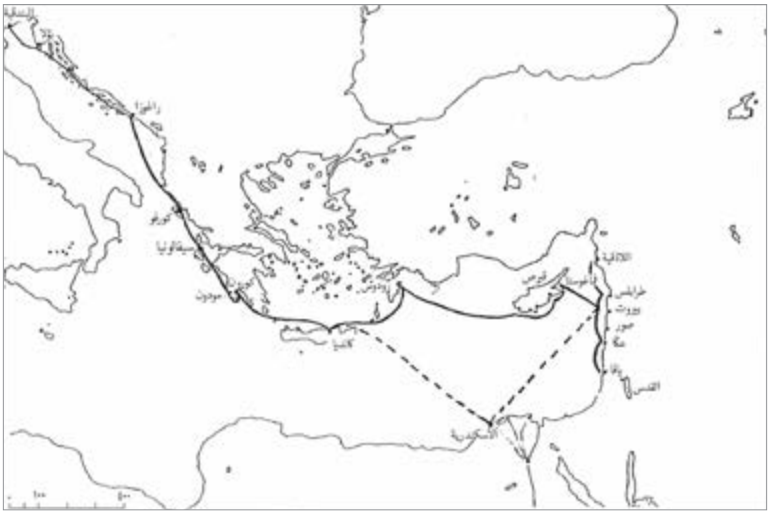
في القرن الخامس عشر تغيّرت محطّات توقُّف السفن بين البندقيّة وبيروت. فمع تطوّر التجارة وارتفاع عدد السفن البندقيّة إلى ميناء بيروت (خصوصًا سفن الغالير) ازدادت المحطّات وأمسى الخطّ البحري بين البندقيّة وبيروت هكذا:

١٦) قد تتوقف السفن في ميناء كانديا (جزيرة كريت) قبل أن تكمل إلى رودُس.

١٧) قد تتوقف السفن في ميناء فاماغوستا القبرصي قبل أن تكمل إلى بيروت.

١٨) Ogier D'ANGLURE, *Le saint voyage de Jérusalem*, p.8.

مسار الرحلة	المسافة بالميل البحري
البندقيّة – بولا	١٠٠
بولا – راغوزا (دوبرفنيك) أو زارا	٣٠٠
راغوزا – كورفو	٤٠٠
كورفو – مودون	٣٠٠
مودون – كورون	٤٠
كورون – كانديا (جزيرة كريت)	٢٦٠
كانديا – رودُس	٣٠٠
رودُس – قبرص	٤٠٠
قبرص – بيروت	١٦٠



مسار رحلة السفن من البندقية الى بيروت
(رسم كاتب المقال)

مشاكل نقل الحجّاج الأوروبيّين إلى بيروت

نتجت مشاكل عن ارتفاع عدد الحجّاج المسافرين في سفن الغالير من مدينة البندقيّة إلى بيروت. فالتجّار البنادقة تذمّروا من ضيق المساحة لشحن بضائعهم، ما سبَّب مع حجّاج من جنسيّات مختلفة خلافات انعكست

سلبًا على رحلة موكب السفن وخلقت تعقيدات للأعمال التجاريّة. وتعقّد الوضع لدى فرض ربابنة السفن البندقيّة مبالغ إضافيّة على أمراء ونبلاء وحاشياتهم بين الحجّاج، ما دفع مجلس الشيوخ البندقي إلى وضع حدّ لتجاوزات وخلافات على متن السفن العاملة تحت إشرافه فأصدر سنة ١٣٩٤ قرارًا بالتعويض على ٩٣ شخصًا من الأمراء والنبلاء المسافرين إلى بيروت بدفع ثلاث دوكات ذهبيّة لكلٍّ منهم[١٩]. وبعد فضائح على متن السفن المسافرة إلى بيروت، أصدر مجلس الشيوخ البندقي في ١٤ نيسان ١٣٩٨ قرارًا يمنع سفر الغرباء إلى بيروت على متن سفن الغالير ويحصر السفر بالبنادقة فقط[٢٠].

صعُبَ على الحكومة البندقيّة منع سفر الحجّاج على متن السفن التجاريّة، نظرًا لعددهم الكبير. وسنة ١٤٠١، للحفاظ على مصالح المجلس السياسيّة والإقتصاديّة خصوصًا مع دول ذات علاقات اقتصادية مع البندقيّة، ولتجنّب إفادة مدن إيطاليّة أخرى من الوضع فتحلّ مكان البندقيّة لنقل الحجّاج إلى فلسطين، أصدر مجلس الشيوخ قرارًا في ١٤ نيسان ١٣٩٨ منع نقل الحجّاج في السفن التجاريّة إلى بيروت، وخصص سفنًا للحجّاج لا يمكن التجّار أن يسافروا فيها أو أن يرسلوا فيها بضائعهم[٢١].

وعن سجلّات مجلس الشيوخ البندقي أنّ نقل الحجّاج بحرًا إلى بيروت تواصلَ في النصف الآخَر من القرن الخامس عشر. ففي آب ١٤٤٥ نال ثمانية حجّاج إذن مجلس الشيوخ البندقي للسفر إلى بيروت، وفي تشرين الأول ١٤٥٠، كان الحجّاج لا يزالون يسافرون على متن سفن بيروت[٢٢].

وأخذ مجلس الشيوخ البندقي يعطي مالكي السفن رخصًا لتنظيم رحلات للحجّ مباشرةً إلى يافا إنما بإشراف الحكومة البندقية. وسنة ١٤١٠ اقترح شيخان من المجلس أن تجهّز الحكومة سفينة كالير لنقل الحجّ إلى يافا لكنّ اقتراحهما سقط. وسنة ١٤٤١ حاول المجلس تنظيم خطّ بحري لسفن الحجّاج بين البندقيّة ويافا فجُهِّزت سفينتا كالير لهذا

(١٩ Comte RIANT, « Pièces relatives au passage à Venise de pèlerins de Terre Sainte », *Archives de l'Orient Latin*, II, 1884, p. 240.

(٢٠ George Martin THOMAS, *Diplomatarium Veneto-Levantinum sive acta et diplomata res venetas graecas atque Levantis illustrantia (1300–1350) (1351–1454)*, Réédition, New York, 1966, II, p. 248–250.

(٢١ Nicolau JORGA, « Notes et extraits pour servir à l'histoire des croisades au XV^e^ siècle. Documents politiques réédités avec l'autorisation des presses universitaires de France», *Revue de l'Orient Latin*, IV, 1896, p. 243.

(٢٢ *Archivio di Stato di Venezia*, Senato Misti, reg.57, f.229v, reg.58, f.153–154.

الخطّ البحري، وتجّدد القرار سنة ١٤٤٦ بتخصيص سفينة كالير لسفر الحجّاج ربيعًا إلى يافا، وسفينة كالير أخرى للخريف. لكنّ المحاولات توقّفت لتدنّي أعداد الحجّاج. فسنة ١٤٤٩ نشأت خلافات بين حاكم البندقيّة فرنشيسكو فوسكاري والسلطان المملوكي الأشرف سيف الدين إينال. ونشبت حرب بين البندقيّة ومملكة نابولي سنة ١٤٥٠ فانخفض عدد الحجّاج الأوروبيّين إلى الأرض المقدّسة[٢٣]. لذا أعلن مجلس الشيوخ سنة ١٤٥٢ أنّ نقل الحجّاج إلى فلسطين لم يعد محصورًا بسفن الغالير وبإشرافه بل صار متاحًا لسائر أنواع السفن الحكوميّة والخاصّة.

الحجّاج من البندقية إلى بيروت

عن المصادر أن عدد الحجّاج الذين سافروا إلى الأرض المقدّسة في سفن الغالير البندقيّة بين ١٣٨٠ و١٣٩٠ بما فيها سفن مرّت أولاً ببيروت، هو هكذا[٢٤]:

السنة	عدد الحجّاج	عدد سفن الغالير
١٣٨٢	٣٣٢/٣٢٢	٧
١٣٨٣	٣٣٣	٦
١٣٨٤	٦٢٥/٦٢٤	٨
١٣٨٥	٣٨٠	٣
١٣٨٦	٣٤٠	٣
١٣٨٧	٣٢٣	٣
١٣٨٨	٣٩٠	٣

يبدو من هذا الجدول أنّ أكثر من ٣٠٠ حاج قصدوا الأرض المقدسّة سنويًّا في السفن البندقيّة، وهو ارتفع حتى ٦٠٠ حاجّ. كانت تلك الحقبة عصرًا ذهبيًّا لنقل الحجّاج الأوروبيّين إلى فلسطين مقارنةً مع الحقبات السابقة. وتكاليف السفر للشخص الواحد في سفن الغالير تراوحت بين ٣٠ و٦٠ دوكة ذهبيّة، ما يدلّ على أثر نقل الحجّاج في الاقتصاد البندقي.

(٢٣) Eliyahu ASHTOR, « Venezia e il pellegrinaggio in Terrasanta nel basso Medioevo », p. 206.

(٢٤) Pietro CASOLA, *Canon Pietro Casola's pilgrimage to Jerusalem in the year 1494*, p.35–39.

سفُن الغاليرِ بين ١٣٨٢ و١٣٨٤ بلغت ٢١ سفينة نقلت بين ١٢٧٩ و١٢٩٠ حاجًّا. وبين ١٣٨٥ و١٣٨٨ أرسلت البندقيّة ١٢ سفينة كاليرِ نقلت ١٤٢٣ حاجًّا. وبقي عدد الحجّاج كبيرًا رغم انخفاض عدد السفن تدريجيًّا حتى ٣ سفن سنويًّا. وهنا ثَبْتٌ بتراجع حركة الحجّ في العقد الأخير من القرن الرابع عشر[٢٥]:

السنة	عدد سفن الغاليرِ الواصلة إلى بيروت	عدد السفن المختارة لنقل الحجّاج
١٣٩٣	٤	١
١٣٩٤	٤	٢
١٣٩٥	٥	٢
١٣٩٦	٥	٢
١٣٩٧	٥	٢
١٣٩٨	٥	٣
١٣٩٩	٥	١

في القرن الخامس عشر، اختلف العدد السنوي لسفن الغاليرِ المخصّصة لنقل الحجّاج[٢٦]:

- أربع سفن غاليرِ وسفينة كوكا سنة ١٤٠٣.
- أربع سفن غاليرِ سنة ١٤١٣ و١٤٤٠.
- ثلاث سفن غاليرِ سنة ١٤١٤، ١٤١٦، ١٤١٨، ١٤٢٦.
- سفينتان غاليرِ سنة ١٤٣٤، ١٤٣٩، ١٤٤١، ١٤٤٧، ١٤٦٣، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٥، ١٤٨٣، ١٤٨٥، ١٤٩٦، ١٤٩٩.
- سفينة غاليرِ في السنوات الأخرى من القرن الخامس عشر.

بين ١٤١٣ و١٤١٨، نشط نقل الحجّاج: ١٥ سفينة غاليرِ إلى الأرض المقدّسة، ثم انخفض عدد الحجّاج فلم يتجاوز ١٠٠ حاجّ إلاّ في ١٤٣١، ١٤٥٨، ١٤٧٦، ١٤٩٤.

(٢٥) Pietro CASOLA, *Canon Pietro Casola's pilgrimage*, p. 43–44 ; Eliyahu ASHTOR, « Venezia e il pellegrinaggio in Terrasanta nel basso Medioevo », p. 203.

(٢٦) Eliyahu ASHTOR, « Venezia e il pellegrinaggio in Terrasanta nel basso Medioevo », p. 207–212, 214.

السنة	عدد الحجّاج	السنة	عدد الحجّاج
١٤٠٣	٥٠	١٤٧٦	١٤٠ و٧٠
١٤١٣	٤٨	١٤٨٠	٩٠ تقريبًا
١٤٣١	١٢٥	١٤٨٢	٣٦ نبيلاً مع خدّامهم
١٤٣٥	٦٥	١٤٩٤	١٧٠
١٤٣٦	٥٣	١٤٩٥	٤٥ و٢٢
١٤٥٨	١٠٠		
١٤٦١	١٠٠ تقريبًا		
١٤٧٢	٥٤		
١٤٧٤	أقلّ من ١٠٠		

خلال القرن الخامس عشر قويَت المنافسة بين موانئ أوروبيّة قصدها الحجّاج للسفر إلى الشرق فانخفض عدد الحجّاج على متن السفينة الواحدة بما فيها المخصّصة فقط لنقل الحجّاج. وارتفاع تكلفة السفر إلى الأرض المقدّسة خفَّضَ عدد الرحلات إليها، فلم تعد تضمّ كثيرين من رجال الدين، واقتصرت على علمانيّين أغنياء كالأمراء والنبلاء والبورجوازيّين الميسورين[٢٧].

فشلت البندقيّة في تنظيم نقل الحجّاج إلى الأراضي المقدّسة وزيادة أرباحها من عائدات هذا القطاع. وتدخّلات مجلس الشيوخ البندقي مرارًا لحلّ مشاكل الحجّاج المسافرين على متن سفن تحت إشراف الحكومة البندقيّة لم تنجح في إعادة إطلاق الحجّ بسبب ربابنة السفن والمرشدين وأصحاب الأنزال والفنادق في البندقيّة. حاولوا لعب دور الوسطاء والسماسرة فانخفضت العائدات والموارد الاقتصاديّة الناتجة عن الحجّ. وكانت عائدات البنادقة سنويًّا من الحجّاج الذين يقصدون البندقيّة للسفر إلى الشرق تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و٢٥٠٠٠ دوكة ذهبيّة، وقد تصل إلى ٥٠٠٠٠ دوكة كما سنة ١٤٦٤، تضاف إليها أرباح خدمات الأنزال والمرشدين وسواها[٢٨].

(٢٧) David JACOBY, « Pèlerinage médiéval et sanctuaires de Terre Sainte : la perspective vénitienne », V, *Studies on the Crusader States and on Venetian expansion*, Variorum reprints, London, 1989, p. 36.

(٢٨) Ugo TUCCI, « I servizi maritimi veneziani per il pellegrinaggio in Terrasanta nel Medioevo », *Studi Veneziani*, Nouvelle série, IX, 1985, p. 64–65.

وجاء التوسّع التركي في البحر المتوسّط وبحر إيجيه واندلعت حروب بين البنادقة والأتراك فتراجعت حركة الحجّ ونشأ مناخ بلبلة واضطراب وضعُفَ عمل السفن البندقيّة مع النصف الثاني من القرن الخامس عشر. لم تعد البندقيّة توفّر العدد الكافي من السفن لنقل الحجّاج إلى الأرض المقدّسة وضعُفَ الاندفاع الديني للحج في نهاية القرن الخامس عشر فلم يعد السفر إلى الشرق والحجّ في طليعة اهتمامات الأوروبيّين.[٢٩]

أول أعجوبة في بيروت

عاد الرهبان الفرنسيسكان إلى بيروت بين ١٣٣٣ و١٣٣٥ واستعادوا ديرهم (القديس يوسف) وأحيَوا خدمة كنيسة المخلّص ذات المكانة الدينيّة في أوروبا لحدوث أعجوبة أيقونة المسيح بين منتصف القرن السابع ومطلع القرن الثامن. ذكَر هذه المعجزة أثناسيوس أسقف بيروت في المجمع المسكوني السابع (نيقية سنة ٧٨٧) في عريضة قدّمها لآباء المجمع فدُوِّنَت في أعماله، ملخصها: استأجر أحد المسيحيّين دارًا قريبة من مجمع اليهود، ووضع في إحدى غرفها صورة المصلوب. بعد فترة ترك الدار وفيها الصورة. استأجر الدارَ يهودٌ جرحوا تلك الصورة، وطعنوا جنبها بحربة فخرج منه دم وماء بكثرة. دهشوا ودهنوا من ذلك الدم مخلّعًا فشفي حالاً، وأتوا بعميان فأبصروا ومشلولين فبرئوا. آمن كثيرون من اليهود فحملوا الصورة وأتوا بها إلى الأسقف وسألوه أن يعلّمهم قواعد الإيمان المسيحي. عمّدهم وحوّل تلك الدار إلى كنيسة على اسم المخلّص... وأثبت آباء المجمع هذه الآية الباهرة دعمًا لتكريم الأيقونات»[٣٠].

عن اللاهوتي الفرنسي غيّوم دوران Guillaume Durand (توفي عام ١٢٩٦) في كتابه *Rationale Divinorum Officiorum* أنْ كانت كنيسة بيروت (مكان حدوث الأعجوبة) أول كنيسة كرّستها روما على اسم «المخلّص»[٣١]. والكتاب أهمّ مؤلَّف دينيّ في القرون الوسطى تناول رمزيّة

---

٢٩) Ugo TUCCI, « I servizi maritimi veneziani », p.65.

٣٠) بولس ضاهر، **السنكسار بحسب طقس الكنيسة الإنطاكيّة المارونيّة**، الكسليك، لبنان، ١٩٩٦، ص. ٩٦. للمعلومات عن كنيسة المخلّص في بيروت:
Pierre MOUKARZEL, "Beirut's Church of Saint Savior under the Mamluks", *Mamluk Studies Review*, volume 22, 2019, p. 97–119.

٣١) Guillaume DURAND, *Gvillelmi Durandi Rationale Divinorum Officiorum*, Edidervnt A. Davril O.S.B. et T.M. Thibodeau, Brepols, 1995, Capvut VI (De Ecclesie dedicatione), p. 64.

العمارة الكنسيّة وطقوس العبادة. وكان فرنشيسكو سوريانو Francesco Suriano (رئيس دير الفرنسيسكان في بيروت بين ١٤٨١ و١٤٨٤) ذكر أنّ كنيسة بيروت أول كنيسة في العالم كرّستْها روما على اسم «المخلّص»، ثمّ تم بناء كنيسة في روما على اسم «مخلّص العالم» وضِعَت فيها زجاجة تحوي الدم العجائبي من أيقونة بيروت[٣٢]. هكذا حظيت أيقونة بيروت بمكانة مقدّسة فاقت سائر أيقونات عجائبيّة عرفها الشرق منذ القرن السادس لأنّها أيقونةٌ نازفةٌ دمَ المسيح. نالت ذخيرة دم أيقونة بيروت شهرة واسعة في العصور الوسطى، خصوصًا في أوروبا، لأنّها بقايا وآثار ملموسة من السيّد المسيح، وأضحت هدفًا للحجّ داخل أوروبا لزيارتها وتكريمها، ودافعًا يشجّع الحجّاج الأوروبيّين على زيارة بيروت مكان حدوث المعجزة.

نُقِلَت الأيقونة من بيروت إلى القسطنطينيّة. والأرجح أنّها الأيقونة التي أرسِلَت سرًّا عام ٧٣٠ إلى روما أثناء المرحلة الأولى من حرب الأيقونات بين ٧١٧ و٧٤١. وبسبب قدسيّتها جرى التداول برواية «انتقالها العجائبي» على أمواج البحر من القسطنطينيّة إلى روما. لم يُنشَر رسميًا في الكنيسة خبر أيقونة بيروت إلاّ لاحقًا في مجمع نيقية عام ٧٨٧، ما يفسّر عدم الحديث عن مصدرها وتحديد مكان وجودها، وحدوث لغط في تاريخ حصول الأعجوبة. لكنّها لاقت شهرة واسعة في أوروبا وجرى تكريمها على نطاق واسع. ومع غموض أحداث الأعجوبة وتاريخ حصولها ومكان وجود الأيقونة، جاءت في المصادر إشارات ودلالات ترجّح أنّ أيقونة بيروت هي المحفوظة داخل كنيسة «قدس الأقداس» Sancta Sanctorum في روما. وفي أوروبا ضمّت كنائس كثيرة دمًا سال من أيقونة بيروت[٣٣]، وأعلَنَت مدن أوروبية كثيرة احتفاظها بأيقونة عجائبيّة على غرار أيقونة بيروت. واختلطت المعلومات عن شكل الأيقونة وأصلها وإن كانت تمثّل شخص المسيح المخلّص أو المسيح المصلوب أو أنّها صليب وليست أيقونة، حتى ادّعت مدينة فالنسيا الإسبانيّة أنّ «صليب بيروت العجائبي» موجود لديها. هكذا اشتُهرت بيروت في أوروبا إبّان العصور الوسطى بفضل

٣٢) Francesco SURIANO, *Treatise on the Holy Land*, p. 169.

٣٣) منها: كاتدرائيّة المخلّص في أوفييدو Oviedo (إسبانيا)، وكنيسة دير القديس بطرس في رودُس Rodes (كاتالونيا)، وكنيسة المخلّص في بولونيا Bologna (إيطاليا)، وكنيسة دير القبر المقدس في توسكانا، وكنيسة القديس بطرس في فينكولي Vincoli، وكاتدرائيّة مدينة بيزا Pisa، وكاتدرائيّات مدن جيسي Jesi، ولوني Luni في إيطاليا وبال Bâle في سويسرا.
Michele Bacci, "Le Majestats, Il Volto Santo e il Cristo di Beirut: Nuove riflessioni", *Iconographica. Studies in the History of images*, XIII, 2014, p. 53.

أيقونة المسيح «المخلّص»، ودخلَت منذ القرن الثاني عشر في الكتابات الدينيّة وكتابات الحجّاج والمسافرين الذين مرّوا بها[٣٤].

بين مهام الرهبان الفرنسيسكان الاعتناء بحجّاج أوروبيّين ينزلون في بيروت قبل توجّههم إلى فلسطين. ولأنهم ممثلو الكنيسة الكاثوليكيّة الوحيدون في الشرق، كانوا يقيمون القداديس للحجّاج وللتجّار الأوروبيّين ويؤمّنون لهم الخدمات الروحيّة مقابل صدقات وتبرّعات للرهبان. وتولّى رهبان فرنسيسكان أسقفية بيروت. فعام ١٣٢٣ عيّن البابا يوحنا الثاني والعشرون الراهب الفرنسيسكاني متّى أسقفًا على مدينة بيروت، إنما مقرّه في نيقوسيا (قبرص)، وعام ١٣٩٧ عيّن البابا بونيفاس التاسع الراهب الفرنسيسكاني بليز دو كلوزيانو Blaise de Clusiano أسقفًا على مدينة بيروت وأمره أن يقيم في بيروت ويمارس صلاحيّاته ضمن نطاق أبرشيّته[٣٥].

كتب فرنشيسكو سوريانو عن الرهبان الفرنسيسكان في بيروت: «ديرنا وكنيسة المخلّص القديمة جدًّا [قرب السوق] على ٥٠ براشيا[٣٦] (braccia) من ساحة المدينة. ويحتفظ الرهبان بهذه الكنيسة لثلاثة أسباب:

١. بيروت هي ميناء مدينة دمشق أيضًا، تصل إليها المراكب والبضائع فيقيم الإخوة الرهبان القداديس للبحّارة ويؤمّنون لهم الاحتياجات الروحيّة والأسرار الكنسيّة. ونحن، الرهبان الفرنسيسكان، نعيش من حسناتهم[٣٧].

٢. هي كنيسة خلاص وملجأ العبيد المسيحيّين ومرتدّين يهربون إليها طالبين الحريّةَ فيخبّئهم الإخوة الرهبان ويعيدونهم إلى البلاد

---

٣٤) بيار مكرزل، «أيقونة مدينة بيروت العجائبيّة»، **المشرق**، رقم ٩٥ ،الجزء الأول، كانون الثاني-حزيران، ٢٠٢١، ص. ٢٥١–٢٨٣.

٣٥) Giorgio FEDALTO, *La Chiesa latina in Oriente*, Vol.1, 2e édition revue et augmentée, Éd.Mazziana, Italie, 1981, p.212; Emmanuel-Guillaume REY, *Les familles d'Outre-Mer de Du Cange*, Imprimerie Impériale, Paris, 1869, p.782.

٣٦) نحو ٣٠ مترًا. براشيا أو براشيو، وحدة قياس الأقمشة في البندقيّة تتراوح بين ٠,٦٣ و ٠,٦٨ مترًا.
Florence EDLER, *Glossary of medieval terms of business. Italian series 1200–1600*, The Medieval Academy of America, Cambridge, Massachusetts, 1934, p. 52.

٣٧) سنة ١٤٨١، زار الحاج جوس فان غيستل (من بلاد الفلاندر) دير الفرنسيسكان في بيروت وذكَر أنّ المراكب الأوروبيّة تدفع رسمًا طوعيًّا للفرنسيسكان لدى دخولها ميناء بيروت: دوكة واحدة عن كلّ مركب كبير، ونصف دوكة عن كلّ مركب صغير.
Joos VAN GHISTELE, *Tvoyage van mher Joos Van Ghistele*, Ambrosius Zeebout, Hilversum Verloren, 1998, p.63.

المسيحيّة على متن السفن التي ترسو في ميناء بيروت. وبسبب شهرة هذا الدير يلجأ إليه العبيد المسيحيّون والمرتدّون من كلّ المناطق الإسلاميّة. وكلّ سنة يخلّص الإخوة الرهبان الكثير من الأنفس.

٣. أعجوبة دم يسوع المسيح التي حصلت في هذه الكنيسة»[٣٨].

خدمة الحجاج في بيروت

اهتمّ الرهبان الفرنسيسكان بالحجّاج الأوروبيّين فقدّموا لهم المأوى إبان إقامتهم في بيروت: عام ١٣٨٤، وبتوصية من قنصل البنادقة، أقام الحاج ليوناردو فريسكوبالدي Leonardo Frescobaldi ورفاقه في دير الفرنسيسكان[٣٩]. ومع تزايُد وصول الحجّاج الأوروبيّين إلى بيروت وإقامتهم فيها أيّامًا قبل مواصلة سفرهم إلى فلسطين لزيارة الأماكن المقدّسة، عيَّن الرهبان الفرنسيسكان أشخاصًا يرافقون الحجاج في سفرهم الى فلسطين ويرشدونهم إلى الأماكن التي يرغبون في زيارتها: سنة ١٤٨١ عيَّن الرهبان الفرنسيسكان مارونيًّا لمرافقة الحاج جوس فان غيستل Joos Van Ghistele ورفاقه وإرشادهم إلى طريق القدس[٤٠]. وهذه الخدمة من بيروت إلى مدينة القدس لم يؤمّنْها الفرنسيسكان في النصف الأوّل من القرن الخامس عشر. فعام ١٤٣٢ لم يرسل الرهبان الفرنسيسكان مرافقًا لبرتراندون دو لا بروكيير Bertrandon De La Broquière يرشده في سفره من بيروت إلى فلسطين بل نصحوه بالتوجّه إلى منزل تاجر بندقي في بيروت ليساعده ويدلّه على الطريق[٤١].

الحجّاج الأوروبيّون المارُّون في مدينة بيروت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر لهم كتابات غنيّة بالمعلومات عن مساعدات الرهبان الفرنسيسكان: كانوا يستقبلون الحجّاج في ديرهم ويرشدونهم إلى زيارة

٣٨) Francesco SURIANO, *Treatise on the Holy Land*, p. 168–169.

٣٩) *Visit to the Holy places of Egypt, Sinai, Palestine, and Syria in 1384 by Frescobaldi, Gucci and Sigoli*, Translated from the Italian by Fr.Th.Bellorini and Fr.Eugene Hoade, Franciscan Printing Press, Jerusalem, 1948, p.87.

٤٠) Joss VAN GHISTELE, *Tvoyage van mehr Joss van Ghistele*, p.65.

٤١) Bertrandon DE LA BROQUIÈRE, *Voyage d'outremer de Bertrandon de La Broquière*, Éd. Ch.Schefer et Ch.Cordier, Recueil de voyages et documents pour servir à l'histoire de la géographie du XIII^{e} et XIV^{e} siècle, Tome XII, Paris,1892, p.40–41.

كنيسة المخلّص ويخبرونهم قصّة الأيقونة العجائبيّة وعجائب غيرها حصلت في بيروت، أبرزها تلك التي حصلت عام ١٤٥٦ وشهد عليها الرهبان الفرنسيسكان[٤٢].

إلى كنيسة المخلّص كان الحجّاج الأوروبيّون يزورون كنيسة القديس جرجس (على مِيْلٍ من بيروت). وأهميتها الدينية أنّها شيّدت حيث قَتَل التنيّنَ القديسُ جرجس وأنقذ ابنة الملك. كان الحجاج يزورون الآثار الباقية قرب الكنيسة، ويؤمنون بأسطورة أنَّ في هذا المكان والبراري المحيطة به حشراتٍ كالعقارب تعيش تحت الحجارة لكنّها غير سامّة بفضل صلوات وأدعية القديس جرجس[٤٣].

ظلّ الحجّاج حتى أواخر القرن الرابع عشر يقصدون في بيروت مكان كنيسة القديسة بربارة، خارج سور المدينة شرقًا قرب الشاطئ،[٤٤] وهي تحوّلت إلى جامع مع احتلال المماليك المدينة سنة ١٢٩١. لم يكن مسموحًا دخولُهم الجامع فكانوا يزورون العَمود في باحة المسجد الذي، وفْق التقليد المحلي في بيروت، قُطِعَ عليه رأس القديسة بربارة[٤٥]. في القرن الخامس عشر لم يَرِدْ ذكر العَمود في كتابات حجّاج بيروت، لذا ترَجَّحُ إزالته.

---

٤٢) كان رجل من سكّان بيروت يحفر بئرًا في باحة منزله فخرج من الحفرة دخان ونار. نزل ثلاثة عمّال في الحفرة لإخماد النار فمات اثنان ونجا الثالث، لكنّ النار أحرقت رجله. استمرّت النار تتصاعد من الحفرة ولم يستطع أحد الإقتراب منها لإخمادها. طلب سكّان المحلّة من الرهبان الفرنسيسكان أن يساعدوهم بصلواتهم علّ اللّه يستجيب لهم فتنطفئ النار. وقف الرهبان الفرنسيسكان أمام الحفرة وتلوا الصلوات ورشّوا الماء المقدّس في الحفرة وفي المنزل فانطفأت النار واختفى الدخان وانتُشِلت جثّتا العاملين اللذين قضيا اختناقًا. من يومها والرهبان الفرنسيسكان يتلون وقائع هذه الأعجوبة ويرشدون زوّار ديرهم حيث حصلت. وسنة ١٤٧٠ أفاد الحاج أنسيلمي أدورنو أنّه زار البيت حيث الحفرة، ودلّه الرهبان الفرنسيسكان على الرجل الذي نجا من الحفرة (أعرج يجوب شوارع بيروت). وسنة ١٤٨١، زار الحاج جوس فان غيستل ورفاقه دير الفرنسيسكان في بيروت فأخبره الرهبان عن الأعجوبة التي منّ اللّه عليهم بها.

Anselme ADORNO, *Itinéraire d'Anselme Adorno en Terre Sainte (1470–1471)*, Traduit par Jacques Heers et G. De Groer, Paris, 1978, p. 349; Joss VAN GHISTELE, *Tvoyage van mehr Joss van Ghistele*, p. 65.

٤٣) Pero TAFUR, *Travels and adventures (1435–1439)*, Translated and edited with an introduction by Malcolm Letts, London, 1926, p. 63.

٤٤) Francesco SURIANO, *Treatise on the Holy Land*, p. 174.

٤٥) *Visit to the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine and Syria in 1384*, p.88, 146–147; Ogier D'ANGLURE, *Le saint voyage de Jérusalem du seigneur d'Anglure*, p. 10.

الحجاج في أسواق بيروت

كان الحجّاج الأوروبيّون يستفيدون من وجودهم في بيروت ليتبضَّعوا من أسواقها المتوفرة للاستهلاك المحلّي وفائض الإنتاج يصدَّر إلى الخارج، وكان سوق قرب الميناء خاصٌّ للتجارة البحريّة مع أوروبا وسواها من مناطق البحر المتوسّط. كانت أسواق بيروت تستقطب المنتَجات الزراعيّة والحيوانيّة والصناعات الحرفيّة من المناطق المحيطة والجبال المجاورة. وشكّلت تلك الأسواق مركزًا أساسيًّا لتأمين حاجات المدينة والقرى المجاورة، كالخبز واللحم والدجاج والبيض والسمك والفواكه والخضَر والزيت والنبيذ. وسنة ١٣٨٤ زار أسواق بيروت الحاج الفلورنسي سيموني سيغولي Simone Sigoli وذكَر سوقًا كبيرًا للُّحوم وآخَر للسمك، ونوَّه بكثرة اللحوم والأسماك بأسعار رخيصة[٤٦]. وسنة ١٤٤٠ ذكر الحاج الألماني جورج بفيتزينغ Georg Pfitzing أنّ الأسماك في أسواق بيروت وفيرة وتباع بأسعار رخيصة[٤٧]. وضمّت أسواق بيروت سوقًا للنبيذ ولمشتقّات العنب كالزبيب والخلّ. وكانت تجارة النبيذ مزدهرة في بيروت، يتولاّها تجّار مسيحيّون[٤٨]. وعام ١٣٨٤ أفاد سيموني سيغولي أنّ نبيذ بيروت يعرف في أوروبا بـ«تريبيانو» (Trebbiano) وهو نبيذ أبيض و«الأفضل في العالم». وأضاف رفيقه جورجيو غوتشي Giorgio Gucci أنّ كميّة كبيرة من نبيذ بيروت تستهلك محليًّا، ويُصَدَّرُ قسم منه إلى الخارج.[٤٩] وإلى سوق النبيذ كان في بيروت سوق للزيت وللصابون. ولاحظ سيموني سيغولي أنّ كميّات كبيرة من زيت الزيتون متوفّرة في أسواقها[٥٠].

---

٤٦) *Visit to the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine, and Syria in 1384,* p.185.

٤٧) Reinold RÖCHRICHT/Heinrich MEISNER (ed), *Deutche pilgerreisen nach dem Heiligen Lande*, Berlin, 1880, p.69.

٤٨) في الشرع الإسلامي، تجوز للذميّين تجارة النبيذ والخنزير شرط حصرها بينهم فقط، وتبقى ممنوعة بين المسلمين أو بين ذميّين ومسلمين.

Antoine FATTAL, *Le statut légal des non-musulmans en pays d'Islam*, 2e édition, Dar el-Machreq, Beyrouth, 1995, p. 151.

٤٩) *Visit to the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine, and Syria in 1384,* p. 147, 185.

٥٠) *Visit to the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine, and Syria in 1384,* p. 170.

بيروت المحطة والمَزار

تنظيمُ خطوط بحريّة لمواكب سفن الغالير والكوكا بإشراف مجلس الشيوخ البندقي، لم ينحصر بالبندقيّة فقط، لكنها أمّنَت للنقل البحري أفضل التنظيم والإتقان والتخصّص، ما أتاح استمرار الخطّ البحري الذي ربطها ببيروت طيلة العصر المملوكي[٥١]. ومواكب السفن البندقيّة إلى بيروت وغيرها من مدن ساحل بلاد الشام أتاحت للبنادقة التفوّق على تجّار المدن الأوروبيّة في قطاع التوابل والقطن في بلاد الشام وتجارة الحوض الشرقي للبحر المتوسّط عمومًا. فالخطوط التجاريّة البحريّة التي ربطت البندقيّة ببيروت أمَّنَت للتجّار إمكانات كبيرة لتحقيق استثمارات تجاريّة مهمّة في بلاد الشام أدّت إلى هيمنة شبه تامّة على الأسواق وسهّلت نقل الحجّاج إلى الأرض المقدسّة بشكل متواصل.

هكذا، بفضل تطّور اقتصادي كبير عرفته بيروت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، واستقطابها تَوَسُّعَ التجارة الأوروبيّة في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط، أصبحت بيروت أبرز ميناء في السلطنة المملوكيّة، تقصدها السفن الأوروبيّة وبخاصّة السفن البندقيّة. وهكذا شكّلت بيروت المحطّة الأولى للحجّاج الأوروبيّين الواصلين في السفن البندقيّة إلى الأرض المقدّسة، حتى منتصف القرن الخامس عشر، رغم تنظيم البندقيّة خطًّا بحريًّا لنقل الحجّاج يربطها مباشرةً بميناء يافا في فلسطين.

٥١) إستمرّ العمل بالخط البحري بين البندقيّة وبيروت حتى ١٥٦٩.
Archivio di Stato di Venezia, Senato Mar, Incanto di galere, reg.2, 1526–1569.

جبل لبنان يعارض السلطنة العثمانية ويرفض المَسّ باستقلاله

د. وسام اللحام

في النصف الآخَر من القرن التاسع عشر شهدَت السلطنة العثمانية حركة إصلاحية مهمة عُرفَت بـ«التنظيمات»، كان هدفُها تبَنِّي تشريعات حديثة وفْق النمط الأوروبي لتطوير الاقتصاد العثماني، وبناء إدارة عصرية تستطيع مواكبة تحوُّلات كبرى شهدها المجتمع من تنامي النفوذ الغربي واختراق الرأسمال الأوروبي، لا سيما البريطاني والفرنسي، السوقَ المحلي.

إعلان «الدستور» وخطرُهُ على جبل لبنان

بلغت حقبة «التنظيمات» أوْجَها مع تَبَنِّي ما عُرف بـ«القانون الأساسي» أو «الدستور العثماني» في ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦ ووافق عليه السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩) كما وضعه بشكل رئيسي الصدر الأعظم مدحت باشا لسحب ذرائع دول أوروبية كانت تتدخل في الشؤون الداخلية للسلطنة العثمانية بحجة إصلاح أحوالها بتَبَنّي مبادئ حديثة كالحرية والمساواة والحد من سلطة الدولة.



السلطان عبدالحميد

إعلان الدستور أثار مسألة خطرة تتعلق بجبل لبنان: هل سيَحِلُّ الدستور الجديد مكان نظام متصرفية جبل لبنان ١٨٦١؟ وهل على جبل لبنان المشاركة في الانتخابات النيابية في آذار ١٨٧٧؟ الدستور العثماني نَصَّ على وجود برلمان يعرف بـ«المجلس العمومي» ذي غُرفتين: «مجلس الأعيان» يعيِّنه السلطان، ومجلس منتخَب يُعرَف بـ«مجلس المبعوثان»

يكون عدد أعضائه «باعتبار شخص واحد من كل خمسين ألف نفْس من ذكور التبعة العثمانية» (المادة ٦٥ من الدستور).


رستم باشا

عند نهاية ١٨٧٦ وجَّه «الباب العالي» تعليمات إلى متصرف جبل لبنان رستم باشا (١٨٧٣–١٨٨٣) أن يفوض مجلس الإدارة اختيار نوَّابٍ يمثّلون المتصرفية لدى البرلمان العثماني في اسطنبول. لكن مجلس الإدارة رفض الطلب معتبرًا إياه خرقَ امتيازاتِ لبنان واستقلالِه الذاتي، ما دفع رستم باشا إلى تحذير الحكومة العثمانية من تنامي مشاعر الاستقلال لدى أبناء الجبل[١].

تعليق «الدستور» أَلْغَتْه الثورة

لم تَطُل مسألة تمثيل جبل لبنان لأن السلطان عبد الحميد علَّقَ العمل بالدستور في شباط ١٨٧٨ مُنْهيًا هذه التجربة البرلمانية، مفضِّلاً الاستفرادَ بالحكْم و سياسةَ قمع الحريات وفرْض الرقابة على الصحف واستخدام شبكة جواسيس ترتبط مباشرة به.

بعد عقود من الحكم الاستبدادي، اندلعت ثورة تموز ١٩٠٨ بقيادة مجموعة ضباط أتراك في مدينة سالونيك، فأرغمت السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة العمل بـ«الدستور العثماني» المُقَرّ سنة ١٨٧٦.


وجه المدالية التذكارية لإعلان «الدستور العثماني» وعليها شعار السلطنة العثمانية


مقلب المدالية وعليه عبارة «حريت، عدالت، أُخُوَّت، مساوات» (التاء طويلة في اللغة التركية)

١) John P Spagnolo, France and Ottoman Lebanon 1861–1914, Ithaca Press, London, 1977, p. 153.

مع عودة «الدستور» طُرحَت مجدَّدًا مسألة التمثيل في «مجلس المبعوثان» فعاد العمل به وتعيَّن إجراءُ انتخابات جديدة في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٠٨ يشارك فيها سكان متصرفية جبل لبنان، إذ اعتبرت وزارة الداخلية العثمانية أن الاستقلال الذاتي الذي يتمتع به جبل لبنان لا يعفيه من مشاركته في الانتخابات كسائر المناطق العثمانية، فوُجود ممثل عنه في البرلمان سيضمن مصالحه ويتيح له المشاركة في إقرار تشريعاتٍ لا تستثنيها امتيازات المتصرفية، وتاليًا يتم تطبيقها على أراضيه.

جبل لبنان يرفض...

بعد حماسة سكان المنطقة عقب الثورة، والوعد بعهد جديد تسوده الحرية والمساواة بين العثمانيين خلق جوًّا مؤاتيًا للمشاركة، ظهر موقفٌ رافضٌ مبدأَ تمثيل سكان جبل لبنان في البرلمان العثماني لأن هذا التمثيل يهدد امتيازاته. لذلك أرسل البطريرك الماروني الياس الحويك وفدًا من ثلاثة مطارنة إلى باريس للتدخل في إعفاء جبل لبنان من المشاركة، فواجت السلطات الفرنسية الوفد بأن فرنسا تفضّل بقاء الوضع على حاله لأن مشاركة المتصرفية في الانتخابات العثمانية مسألةٌ تبُتُّ بها الدول الأوروبية التي وقّعَت على نظام جبل لبنان ١٨٦١ وتضمن تنفيذه. وذكَر ذلك بولس مسعد في كتابه «لبنان والدستور العثماني»: «إن اشتراكنا في هذا المجلس يعني تسليمنا معنويًّا بكل ما يُصدره هذا المجلس من القرارات ويضعه من اللوائح (...)، ما سيكون حجة علينا لديها لدى الدول الأوروبية الستّ، فتمتنع عن تعضيدنا وتأييد نظامنا يومًا ما، إذا عمدت الدولة العثمانية إلى ضمنا إليها»[٢].


يوسف باشا

وزاد من تفاقم الوضع توجيه اسطنبول أوامرها إلى متصرف جبل لبنان يوسف باشا (١٩٠٧–١٩١٢) «بوجوب انتخاب عضوَين، أحدُهما مسيحي والآخر درزي لمجلس المبعوثان الذي تقرر عقْده بعد إعلان الدستور، ولكن أكثرية اللبنانيين رفضوا الاشتراك بمجلس المبعوثان رغم تشويقات يوسف باشا الذي لم يسعه سوى ممالأة الدولة على ما تريد». لكن اللبنانيين فازوا

٢) بولس مسعد، **لبنان والدستور العثماني**، القاهرة ١٩٠٩، ص ٢٤.

بما أرادوه «بمساعي عقلائهم (...) الذين كانوا يرون أن امتيازات لبنان ذخيرة مقدسة أبدية تحميه من مختلف الطوارئ، ولا يمكنه التخلي عنها بأي وجه من الوجوه»[٣].

... ويعارض المَسّ باستقلالية لبنان

إعلان إعادة العمل بالدستور أدى إلى انقسام في جبل لبنان، إذ رأى البعض في «الدستور» وسيلة حَدٍّ من تسلُّطِ المتصرف يوسف باشا المعروف بقمع مخالفيه وخنق الأفكار الداعية إلى الحرية. هكذا تشكل حزب معارضُ المتصرفَ، تألَّف من شكيب أرسلان وحبيب باشا السعد وناصيف بك جنبلاط وكنعان الضاهر وسليم عمُّون نجحوا في توجيه مظاهرة شعبية إلى مقر يوسف باشا في بيت الدين (٢٧ آب ١٩٠٨) أرغمته على إعلان التزامه بمبادئ «الدستور» عدم المَسِّ باستقلالية لبنان وإقالة شخصيات مقربة إليه من وظائفهم كقبلان أبي اللمع رئيس مجلس الإدارة ومستشاره ناصيف الريّس.



من اليمين: الرئيس إميل إده، الرئيس حبيب باشا السعد، زوجته نجلا، الأمير خالد شهاب.

في ١٣ أيلول ١٩٠٨ وجهت تلك الشخصيات عريضة إلى المتصرف تطالبه بحل مجلس الادارة وانتخاب أعضاء جدد «ونشر الدستور العثماني في لبنان وانتخاب نوّاب بموجبه، شرط ألاّ يحقّ لهؤلاء النواب مناقشة مسائل تمس النظامات الخاصة بلبنان إلاَّ بناء على طلب اللبنانيين أنفسهم».[٤]

---

٣) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٨٠.

٤) وجيه كوثراني، **الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠–١٩٢٠**، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦، ص١٧٤.

تشكيل هذا الحزب العابر الطوائف والمنادي بتطبيق الدستور مع ما يستتبعه من إمكان المس بامتيازات جبل لبنان، أدى إلى ردة فعل قوية في الأوساط المارونية، لا سيما في دير القمر حيث تنظَّمت مظاهرة مضادة أطلقت رسائل إلى الدول الأوروبية للحفاظ على نظام المتصرفية لأن في القبول بـ«الدستور» خضوعَ سكان الجبل للضرائب العثمانية وللخدمة العسكرية الإلزامية.

عرائض ترفض التنازل عن النظام

هكذا وقَّعتْ قرى عدة في جبل لبنان مجموعة عرائض إلى قناصل الدول الأوروبية الضامنةِ نظامَ المتصرفية، رافضةً المشاركة في الانتخابات. ونقل القنصل العام البريطاني في بيروت هنري كمبرباتش نحو ٣٠٠٠٠ توقيع من أهالي الجبل، ما دلَّ (رغم الرقم المبالَغ فيه) على رفض تطبيق «الدستور» في جبل لبنان.

بين هذه العرائض الوثيقةُ أدناهْ[٥]، الموجَّهَة إلى قنصل «دولة روسيا الفخيمة» (تشرين الأول ١٩٠٨) رافضةً التنازل «عن أقل بند أو حرف واحد من نظامنا، بل نمانع وندافع جهدنا لصيانته ونبذل لأجل المحافظة عليه مالنا ودمنا». وحملت العريضة تواقيع وأختام أكثر من خمسين شخصًا من عائلات مختلفة بين آل حداد وشلالا والحصري وافرام وقرقماز والدحداح.



التواقيع على العريضة إلى «قُنسُلاتو دولة روسيا الفخيمة»

وهي الوثيقة شاهدة على مرحلة مهمة من تَشَكُّل الوعي الوطني لدى سكان جبل لبنان، لا سيما الموارنة، ورغبتهم في الحفاظ على هوية خاصة بهم في نظام سياسي يضمن استقلاليتهم. وهذا ما سيتكرَّس لاحقًا عند انهيار السلطنة العثمانية وإعلان دولة لبنان الكبير في ١ أيلول ١٩٢٠.

٥) في محفوظات كاتب النص.

تراثنا الأَدبيّ

د. جوزف لبُّس
الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة: جذور وأجنحة

الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة: جذور وأجنحة

د. جوزف لبُس
أُستاذ في الجامعة اللبنانية

يجب تدريب الخيول على السير بالعجلة في اتّجاهٍ واحد. فأين ندرّبها؟ أين نربّي اللبنانيّ؟
— في المدرسة اللبنانيّة! **سليم حيدر**[١]

في الثقافة والأدب

للثقافة دورٌ في تشكيل الإنسان وتشذيبه واستقامته، كالرمح المثقَّف المقوَّم لا عوج فيه ولا هو يُخطئ الهدف[٢]. وإذ نستعير للثقافة آلةً حربيّة (الرمح) فلأنها، كما عرّفها الإغريق، «نوموس» (νόμος) = كلّ ما يكتسبه الإنسان بالعمل والفكر ليُنازلَ به الطبيعة «فيسيس» (φύσις)[٣]. ومن معاني الثقافة، في **معجم الأكاديميّة الفرنسيّة**، أنّها جهدٌ شخصيّ ومنهجيّ يبذله الإنسان لصقل شخصيّته، فكرًا وجسدًا، دارسًا العلوم والفنون والآداب[٤].

وللأدب دور في تهذيب الإنسان. فالأَدَبُ أدْبٌ أي دعاءٌ ودعوة إلى مأدُبة الطعام وإلى المحامد والمكارم. والأدَب اثنان: أدب النفْس وأدب الدرس[٥].

١) من محاضرته في «الندوة اللبنانيّة»، أوردها جميل جبر في: لبنان في روائع أقلامه (بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٦٤)، ص ٣٠١.

٢) ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٩)، مادّة ثقف، ٢٠/٩؛ **ديوان عنترة**، تح. محمّد سعيد مَولوي (بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٩٧٠)، ص ٢١٠.

٣) Cf. M. A. Bailly, *Dictionnaire grec-français* (Gérard Gréco, 2020), p. 1601, 2478–9.

٤) Cf. http://www.dictionnaire-académie.fr/article/A9C5286 (consulté le 7/11/2021).

٥) **لسان العرب**، مادّة أدب، ٢٠٦/١-٢٠٧؛ **ديوان طرفة بن العبد**، شرح الأعلم الشنتمري، تحرير دريّة الخطيب ولطفي الصقّال (بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠٠)، ص ٤٧.

وجهد المرء للتأدّب كجهده في التثقّف. قال ابن قتيبة: «إذا أردتَ أن تكون عالمًا فاطلب فنًّا واحدًا، وإذا أردت أن تكون أديبًا فتفنّنْ في العلوم»[٦]. وقال بلزاك: «أهلُ الأدب أهلُ التعب»[٧].

الثقافة جهدٌ فرديٌّ، لكنها أيضًا ظاهرة اجتماعيّة تعبّر عن جماعةٍ معيّنة في بقعةٍ جغرافيّة محدّدة وزمنٍ محدّد، فهي ذاكرة أو سجلّ لتجربة الجماعة، من جهةٍ ترتبط بالماضي، ومن جهةٍ أخرى تحثّ الناس على النظر إلى الأمام والتخطيط لمستقبلٍ أفضل[٨].

لذا الأممُ المتحضّرة تعوّل على الثقافة وتُنفِق الأموالَ الطائلة في تثقيف مواطنيها حتّى لَيتساءل مثقّفٌ لبنانيّ مهاجر: «ما كلفة المواطن عندنا؟ الرقيّ هو الجماعة وليس الفرد. والإنسان المتقدّم ينتمي إلى جماعةٍ كلُّها متقدّمة»[٩].

في الثقافة الأدبيّة

ما الثقافة الأدبيّة؟ حقلٌ من الثقافة العامّة، ميدانُه الكلمة شعرًا ونثرًا، قصيدةً وملحمةً ومسرحًا ورواية، مقامةً ومقالةً ونقدًا وبلاغة. والثقافة الأدبيّة لا يستغني عنها مواطن مهما يكن تخصّصه، سواء اتّجه إلى العلْم أو صوب الأدب[١٠]. وفي عصرٍ غلب عليه التخصّص، تلوح الثقافة الأدبيّة مُنقذًا من الرؤية بعينٍ واحدة. وحين تطغى التكنولوجيا، وتستبدّ العولمة، يتجلّى دور قراءة الكُتب الأدبيّة وتحليل نصوصها وتفكيكها في تنمية مهارات التواصل، وفي التعرّف إلى الآخر، والتحرير من التمركز الأنانيّ على الذات، وفي إحياء الروح الإنسانيّة، وإذكاء الخيال الإبداعيّ الخلّاق[١١].

٦) ذكره ابن عبد ربّه في **العِقد الفريد**، تحرير أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩)، ٤٢٣/٢.

٧) Honoré de Balzac, *Maximes & pensées* (Maxtor, 2012), p. 23.

٨) يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي، «حول الآليّة السيميوطيقيّة للثقافة»، ترجمة عبد المنعم تليمة في: **أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة** (القاهرة، دار الياس العصريّة، ١٩٨٦)، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، ص ٢٩٨.

٩) جوزف صايغ، **معيار وجنون: ذكريات باريسيّة** (بيروت، التعاونيّة اللبنانيّة للتأليف والنشر، ط١، ٢٠٠٧)، ص ١٨٤.

١٠) علي جواد الطاهر، **الثقافة الأدبيّة** (بيروت، دار الرائد العربيّ، ط٢، ١٩٨٧)، ص ٥–٦.

١١) Cf. Stan Kajs, "The Role of Literature in a World of Technology" in: *The Successful Professor* (Volume 2, Issue 1, February 2003).

في الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة

الحاجة ماسةٌ إلى الإيمان بثقافةٍ أدبيّة لبنانيّة متجدّدة، إيمانًا بلبنان كِيانًا ووطنًا وقِيَمًا، وبالأدب اللبنانيّ عنصرَ مواطنة صالحة، وبدوره في بناء الشخصيّة اللبنانيّة ودراسة موضوعاتٍ مرتبطة بقضايا وطنيّة وقيميّة وجماليّة انطلاقًا من روائع الأدب اللبنانيّ. فـ«الروائع» هي كلاسيكيّات أعمال أدبيّة ترسخ في وجدان الشعوب، تصلُح لتربية الأجيال في فصول الدراسة، وتُقرأ على مقاعد الصفوف أيًّا تكُن اتّجاهاتها الفنّيّة ومدارسها الأدبيّة ومراحلها الزمنيّة[١٢]. و«روائع الأدب اللبنانيّ» أدب كتبه أدباء لبنانيّون، مقيمون ومغتربون، بالعربيّة فصحاها والمحكيّة، وبلغاتٍ أجنبيّةٍ شتّى؛ وهو أدبٌ يعبّر عن الشخصيّة اللبنانيّة ونظرتها إلى الحياة، يشكّل ركيزة الثقافة الوطنيّة الأدبيّة لدى الأجيال الطالعة[١٣].

في الأهداف

استنادًا إلى روائع الأدب اللبنانيّ، هنا أهداف مرتجاة من الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة، تحديدًا واقتباسًا:

١. تعزيز الحسّ الوطنيّ وتشكيل ثقافة الفرد الوطنيّة

«ليس أرزًا ولا جبالًا وماءً ... وطني الحُبُّ، ليس في الحُبّ حِقدُ
وَهْوَ نورٌ فلا يَضِلُّ: فكدٌّ ... ويدٌ تُبدعُ الجمالَ وعقلُ
لا تقلْ: "أمّتي" وتجتاحَ دنيا ... نحن جارٌ للعالَمين وأهلُ».

سعيد عقل[١٤]



١٢) للمقارنة: ما ورد في المعجم الأدبيّ لجبّور عبد النور (بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤)، مادّة كلاسيكيّون، ص ٢٢١.

١٣) للمقارنة: رأي فؤاد أفرام البستانيّ في «الأدب اللبنانيّ وآداب اللغة العربيّة»، فصول من تاريخ لبنان الحضاريّ (بيروت، منشورات الدائرة، ٢٠٠٦)، ص٤٣–٤٦؛ ورأي سعيد يقطين في «كلاسيكيّات الأدب العربيّ» في: **القدس العربيّ**، ٢٩ كانون الثاني ٢٠١٩.

١٤) **قَدموس في سعيد عقل شعره والنثر** (نوبليس، ط٤، ١٩٩١)، ١/٢١٠.

٢. بناءُ قاعدةٍ وطنيّةٍ جامعةٍ عابرةٍ كلَّ فئويّةٍ انطلاقًا من الأدب اللبنانيّ



«ما من بَوتقة لسبك الشعوب
خيرٌ من الثقافة».

شكيب أرسلان[١٥]

٣. امتلاك معرفة أدبيّة عامّة ومشتركة ذات طابع لبنانيّ

«المناظر الثلاثة التي تمتّعَ بها طرْفي فتركتْ أثرًا عظيمًا في نفسي هي: لبنان وسواحله من ذروة جبل صنّين، وباريس من على برج إيفل، ونيويورك في الليل من منتصف جسر بروكلن. في الأوّل رمز الطبيعة، وفي الثاني رمز الفنون الجميلة، وفي الثالث رمز الكدّ والاجتهاد».

أمين الريحاني[١٦]

٤. حثّ جيل الطلاّب الشابّ على الاهتمام بقضايا وطنيّة لبنانيّة جامعة

«البلوتوقراطيّة علّةُ لبنان: شراء السلطة بالمال، ونواطيره هم، في الغالب، سارقوه».

أنطوان معلوف[١٧]

أَحَدَ عشر محورًا:

هنا ١١ محورًا تدور عليها روائعُ الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة وأهدافُها، وتَهُمُّ أهل التربية والتعليم في المدرسة والمعهد والجامعة ومراكز البحث:

١. الأدب اللبنانيّ والأسطورة:

الأسطورة ليست الخُرافة وما لا يُعقَل بل أشخاصٌ ذوو شخصيّات غنيّة بالمعاني والرموز، تتمثّل فيهم مجموعة فضائل قد تُستَلُّ من مصدرٍ

١٥) قاسم بن خلف الرويس، **سوانح أفكار لأمير البيان شكيب أرسلان** (بيروت، جداول، ط١، ٢٠١٤)، ص ٧٠.

١٦) **الريحانيّات** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٤)، ص ٥٢.

١٧) لبنان في مهبّ واشنطن وتلّ أبيب (كتاب مخطوط)، ص ١٠٤–١٠٥.


صلاح لبكي

أسطوريّ أو دينيّ أو وطنيّ أو تاريخيّ. والأسطورة أيضًا أحداثٌ ماضية ما زالت فاعلة في وجدان الشعوب. كتب بطرس البستانيّ في تقديمه كتابَ صلاح لبكي **من أعماق الجبل** (١٩٤٥): «ما أحوجَ الإنسانَ إلى معرفة أساطيره ليُدركَ دخيلة ذاته». وينقل عن أفلاطون في محاورة **غورجياس** أنّ «الأساطير القديمة تتضمّن عوامل الحقائق الكبرى». وأفلاطون في **الجمهوريّة** يؤْثِرُ أن يبدأ بالأساطير في تعليم الأحداث أنّ مغزاها حقيقيّ[١٨]. هكذا، كلّما حككنا أسطورةً بانت حقيقةٌ.

في كتابٍ مخطوطٍ يشير الدكتور أنطوان معلوف إلى ينابيع الميثولوجيا اللبنانيّة، أيّ مجموعة مُثوس[١٩] تتألّف منها، أكانت أحداثًا كالحرب، أم أشخاصًا كالأبطال والشهداء. ويذكر منها أربعةً:

أ. الميثولوجيّات القديمة: ما اختص منها بتراثٍ فينيقيّ لبنانيّ، كأدون اللاهي في الصيد وفي عِشق عشتروت حين غافله الخنزير البرّيّ الغريب وصرعه. وميثوس أدون، في رؤيا المعلوف، أقدمُ المُثوس في ميثولوجيّات الشعوب وأفضل أنواعِها وأتمُّها وأكثرُها حقيقةً إنسانيّة وتعبيرًا عن الوضع البشريّ، لأنّه يضجّ بالحياة فيسقط أمام الوحش ويهبط إلى الجحيم ويصعد منها نَضِرًا نقيًّا، ويعاود الصراع كلَّ سنة مع وحش الخَواء أو الفوضى. وقَدموس الآتي من الشرق حمل الأبجديّة إلى الغرب مع أخته أوروبّا، وبنى حاضرة ثيبا في اليونان حاضنة أوديب الباحث عن العدالة حتّى على نفسه، وابنته أنطيغوني القائلة: «وُلدتُ لأشتركَ في الحبّ لا في الحقد». وفي فكر المعلوف أنَّ **قَدموس سعيد عقل** أرفعُ شأنًا من قَدموس الأسطورة الغارقة في القِدَم، لأنّ الشاعر، بسطوة الشعر وقوّة القناعة الذاتيّة، استطاع أن يرتقيَ بقَدموسه إلى رُتبة البطل الميثيّ قاهر التنّين، وحامل رسالة الهدى، وفاتن بعض أبناء لبنان.

ب. تاريخ لبنان: قديمًا صُوْر تتصدّى للإسكندر، «النار ولا العار» في صيدا، «بيروت أُمّ الشرائع»، فخر الدين في جمْعِه اللبنانيّين ضدّ

١٨) **من أعماق الجبل** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٩)، ص ٩–١٠.

١٩) يَجمَع «الميثوس» اليونانيّة على «المُثوس»: في الميثولوجيا مجموعة الأساطير والعِلْم القائم على دراستها. ولا يزال الميثوس فاعلاً في رَوْع الشعوب والأفراد. المصدر نفسه، ص١٢٩. أيضًا: **أساطير شرقيّة** (١٩٤٤) **وأميرات لبنان** (١٩٥٠) لكرم البستاني، **من أعماق الجبل** (١٩٤٥) لصلاح لبكي، **لبنان إن حكى** (١٩٦١) لسعيد عقل.

الاحتلال، الإمام الأوزاعيّ[٢٠]. وحديثًا دَور لبنان الرائد في النهضة العربيّة، ثورة الأرز، مقاومة المحتلّين... وصولاً إلى ثورة ١٧ تشرين.

ج. حرب لبنان: أحداثها مُسْتَوْحى شعراء الوطن وفنّانيه ومؤرّخيه ورجال التربية. يرقى بعضُها إلى مستوى الميثوس الوطنيّ، كدُعاة الحوار فوق المتاريس، وأنواع العَفْو عند المقدرة، والسُّعاة إلى منع الذبح على الهويّة، ولجوء مسيحيّين إلى مسلمين والعكس.

د. إبداعات شعراء لبنان وكتّابه وفنّانيه، خصوصًا ما كان منها وليدَ معاناتهم وأشواقهم إلى السلام والحرّيّة والحوار، يزكّي سلامَ الوطن بالجمال الأدبيّ الآسر لا بالوعظ، يُسفّه تَقاتُلَ أبنائه، ويتلفّع برداءٍ برّاق بديع الألوان من نسْج الشعر والرواية والخيال.

---

٢٠) سنة ٣٣٢ ق. م. حاصر الإسكندر صور فقاومت سبعة أشهر. استبسل أهلها في الدفاع عنها فهاجموا سباحةً تحت الماء وُرَش عمل أقامها المهندسون المقدونيّون لوصل صور البحريّة بصور البريّة، ورمَوا بسهام مشتعلة أبراجهم المزوّدة جسورًا خشبيّة، وعلّقوا على الجدران فُرشًا محشوّة بنباتاتٍ بحريّة تحمي مدينتهم من ضربات المنجنيق. إسكندر نجّار، **قاموس لبنان**، ترجمة ماريا الدويهي وجان هاشم، مراجعة جبّور الدويهي (بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠١٨)، ص ٥٥–٥٦. وعندما احتلّ الملك الفارسيّ أرتحششتا مدينة صيدا (٣٥٠ ق. م.) صمّم الصيدَويّون على الموت أحرارًا فأحرقوا جميع مراكبهم في الميناء ودخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابها واستسلموا للموت حرقًا. ويُقال إنّ أكثر من ٤٠ ألفًا هلكوا في هذا الحريق الهائل. فيليب حتّي، **تاريخ لبنان**، ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، تنقيح وتحرير جبرائيل جبّور (بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٨)، ص ١٩٠. والمرجّح أنّ مدرسة الحقوق البيروتيّة أنشئت في ظلّ الأمبراطور الرومانيّ سبتيموس ساويروس في نهاية القرن الثاني للميلاد، وفي منتصف القرن الرابع وُصفت المدينة بـ«أمّ الشرائع» و«أمّ العلوم القانونيّة ومرضعتها». ضربَها زلزال مدمّر سنة ٥٥١. أسهمت مدرسة الحقوق في صياغة تشريعات قانونيّة بُنيتْ على أساسها أوروبّا المعاصرة. سمير قصير، **تاريخ بيروت**، ترجمة ماري طوق (بيروت، دار النهار، ٢٠٠٦)، ص ٦٥–٧٠. والأمير فخر الدين تَواصَل مع جميع الطوائف واختار مستشاريه من المسيحيّين والمسلمين واليهود. وعندما علم أنّ والي دمشق مصطفى باشا تلقّى أمرًا بالقضاء عليه، جهّز جيشًا من جميع الطوائف، وفي ١ تشرين الثاني ١٦٢٣ سحق عدوّه في معركة عنجر. نجّار، **قاموس لبنان**، ص ٣٩٨–٤٠٢. والإمام عبد الرحمن الأوزاعي فقيه الشام في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. وُلد في بعلبك سنة ٧٠٧ وتوفّي في بيروت سنة ٧٧٣. مات أبوه قبل ولادته بقليل فعاش طفولته يتيمًا فقيرًا واضطرّت أمّه للعمل. كان ذكيًّا تقيًّا وزاهدًا مجاهدًا. رحل في طلب العلم على أئمةٍ مشهورين فذاع صيته وأزدهر مذهبه حتّى بلغ الأندلس. أنجد مواطنيه من مسيحيّي جبل لبنان حين تعرّضوا لاضطهاد العبّاسيّين. يُروى أنّ مؤلّفاته ضاعت في زلزال بيروت. عند وفاته لم تتجاوز ثروته سبعة دنانير. نقولا زيادة، **لبنانيّات: تاريخ وصُوَر** (لندن-قبرص، رياض الريّس، ط١، ١٩٩٢)، ص ٥٣–٥٦.

هذه الينابيع الميثولوجيّة الأربعة تشكّل «كتابَ لبنان» نَواةً لكتابة تاريخ لبنان الوطنيّ والمدرسيّ كتابةً جديدة صادقة، ويبلور رؤيا وطنيّة مخلصة[٢١].

٢. الأدب اللبنانيّ وجمال الطبيعة:

يبدو لبنان من فوق، بين شجره وبحره، طائرًا فريدًا يرفرفُ بجناحَين: أخضر وأزرق. ولا يختلف بصيران على سحر الطبيعة اللبنانيّة مدرسةً فطريّة دائمة شكّلت خيال «لبنان الشاعر»[٢٢]، وانعكست في نصوص أدبائه وقصائد شعرائه، كالحسناء وظلّها في المرآة. اكتسبَتِ الضاد مع اللبنانيّين ليونة شطآنِهم اللازورديّة، وارتدتْ حُلّة جبالِهم السندُسيّة. وإذا حقًّا «الجمال يمكن أن يُنقذ العالم»[٢٣] فالمأمول من جمال الطبيعة في لبنان أن يغسل من البشاعةِ العيونَ والقلوب والعقول، ويداوي القباحة، ويحفّز على تجاوز المِحَن الدامية، ويُغري بجمال الاتّحاد، ويدعو إلى الحلم بالمستقبل.

لبنانُ الجميل ألهم أبناءه وشعراءَ العرب والعالم روائعَ الكَلِم. ومن شاء أن يقرأ غزلاً بلبنان فعليه بما قطفه جميل جبر وفؤاد أفرام البستاني ورياض حنين من باقات زيّن بها صدر الوطن[٢٤]. ذروة هذا المحور بلغها أمينان: أمين نخلة في **المفكّرة الريفيّة** (١٩٤٢)، كتب فيها إدوار حنين: «إذا كان ألفونس دوديه خلع ألوان فرنسا على كتابه **رسائل من طاحونتي**، فأمين نخلة خلع لون لبنان الساحر على مفكّرته الريفيّة»[٢٥]؛ وأمين الريحاني في **قلب لبنان** (١٩٤٧)، وفيه



أمين نخلة

٢١) راجَعْتُ مخطوطة **لبنان في مهبّ واشنطن وتلّ أبيب**، ونَشرتُ المراجعة في المشرق (السنة ٩٥، الجزء ١، كانون الثاني – حزيران ٢٠٢١)، «قراءة في وصيّة مثقّف وطنيّ»، ص ٤٤٥–٤٥٢.

٢٢) إشارة إلى كتاب صلاح لبكي، **لبنان الشاعر** (١٩٥٤).

٢٣) دوستويفسكي، **الأبله**، ترجمة سامي الدروبي (بيروت، دار ابن رشد، ط٢، ١٩٨٥)، الجزء ٣، الفصل ٥، ١١٠/٢.

٢٤) جميل جبر، **لبنان في روائع أقلامه** (١٩٦٤)؛ فؤاد أفرام البستاني، **التذكرة اللبنانيّة** (١٩٧٣)؛ رياض حنين، **لبنان وشعراء العرب** (١٩٧٦)، **لبنان على الشفاه والأقلام** (١٩٧٧). نقولا زيادة، **لبنانيّات** (م. س.)، «لبنان في كتابات الآخرين»، ص ١٦٣–٢٥٠.

٢٥) **المفكّرة الريفيّة** ضمن **الأعمال الكاملة** (بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠١٤)، ١٥٢/١.



أمين الريحاني

كتب ميخائيل نعيمة: «لبنان الذي أحبَّه أمين حبًّا يُداني التقديس لَيُسفِر في صفحات كتابه عن وجهه الحقيقيّ»[٢٦].

٣. الأدب اللبنانيّ والقرية اللبنانيّة:



خليل تقي الدين

لبنان والقرية توأمان. القرية بما تحمل من فضائل الطِيبة والنخوة والمحبّة والقناعة وبما تعني من راحة وفرح وطمأنينة وبما تُجسّد من تراث. هذه القرية «حضارة في طريق الزوال»[٢٧] لكنّها باقية تنبض بالحياة في كتب الياس أبو شبكة وخليل تقيّ الدين ومارون عبّود وفؤاد سليمان وأنيس فريحة ورياض معلوف وربيعة أبي فاضل وراجي عشقوتي وميخائيل مسعود...[٢٨]

والقرية اللبنانيّة، كما في كلّ مجتمع، لم تخلُ من مفاسد أو نقائص أشار إليها بولس سلامة: «كلّما صغرَت القرية كبر شرّ أهلها. ومن معايب القرية النميمة، وهي بنت الحسد أو شقيقته الكبرى. وكثيرًا ما تكون فضيلة الريفيّين قسريّة لتعذُّر الفرصة السانحة وقلّة ذات اليد»[٢٩]. بل لبنان قرية: «كلّ هذا البلد قرية كبيرة، ضيّقٌ كالقرية، ملتوٍ مثل أزقّتها... متى يزول لبنان-القرية؟»[٣٠]. بلى: في رَوع كلّ لبنانيّ قَرَويٌّ مُقيم.

٤. الأدب اللبنانيّ ومشكلات البيئة:

تعاني البيئة اللبنانيّة من مشكلات تلويث الهواء والماء والضجيج والمجارير والنُّفايات والمواصلات وفوضى البناء والحاجة إلى تنظيمٍ مدنيّ وحماية

---

٢٦) **قلب لبنان** (بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٦، ١٩٧٨)، من رسالة نعيمة إلى ألبرت شقيق الأمين، ص ١٣. وأمين كتابه هذا إلى صديقه شارل قرم، شاعر **الجبل المُلهَم** (١٩٣٤).

٢٧) كتاب أنيس فريحة، **القرية اللبنانيّة: حضارة في طريق الزوال** (١٩٥٧).

٢٨) إلياس أبو شبكة، **الألحان** (١٩٤١)؛ خليل تقيّ الدين، **خواطر ساذج** (١٩٤٣)؛ مارون عبّود، **وجوه وحكايات** (١٩٤٥)، **أحاديث القرية** (١٩٥٦)؛ فؤاد سليمان، **درب القمر** (١٩٥٢)؛ أنيس فريحة، **اسمع يا رضا** (١٩٥٦)؛ رياض معلوف، **صُوَر قرويّة** (١٩٦٥)، **ريفيّات** (١٩٧٣)؛ ربيعة أبي فاضل، **وديع في الضيعة** (١٩٨٣)؛ راجي عشقوتي، **كتاب القرية** (١٩٨٣)؛ ميخائيل مسعود، **دفتر من بلاد الجبل** (١٩٨٤)...

٢٩) **حكاية عُمُر** (بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٢، ١٩٧٢)، ص ١٥٣–١٥٤.

٣٠) المطران جورج خضر، **لبنانيّات** (بيروت، دار النهار، ط١، ١٩٩٧)، ص ٢٦٦.

المواقع الطبيعيّة والأثريّة. والباحثون قرعوا ناقوسَ الخطر مَطلعَ السبعينات[٣١]، وما زالت المشكلات البيئيّة تتفاقم مهدّدةً حياة اللبنانيّين بالمرض والموت، كأنّ الوحش الذي قتل أدونيس ما زال يعيش بيننا ويفتك بنا.

من الدراسات الأدبيّة والثقافيّة الحديثة «النقد البيئيّ» (Géocritique) يعالج تشكّلات المكان وتمظهراتِه وانعكاساتِه في الآثار والنصوص الأدبيّة على صعيدَي المتخيَّل والموضوعاتيّ، وتتداخل فيه حقولٌ معرفيّة متعدّدة كالنظريّة الأدبيّة وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسيكولوجيا، وتتناول مقاربته مكانًا مشبعًا بالدلالات التاريخيّة والثقافيّة، وتقوم بمقارنة رؤى عدد من الأدباء، كأنّها تحفر في ذاكرته الأدبيّة وتعيد تشكيل المكان فتقرأه نصًّا مفتوحًا/مشهدًا، أي صورة عن المكان منظورًا إليه من زاوية معيّنة أو من زوايا متعدّدة أو من وجهة نظر ذاتيّة[٣٢]. ومن الجديد والمفيد تطبيق هذا النوع من النقد الثقافيّ على الأدب اللبنانيّ.

٥. الأدب اللبنانيّ والشخصيّة اللبنانيّة:

البيئة، في تكوينها الجيولوجيّ وواقعها الجغرافيّ وعواملها المناخيّة، تطبع الإنسانَ بطابعها. فشخصيّة اللبنانيّ ثمرة الجغرافيا (الجبل والسهل والبحر) والتاريخ. ورسم الأدباء طبائع اللبنانيّين وأخلاقهم وشوائبهم (وضْعُ النفع الخاصّ فوق الخير العامّ، الكذب والنفاق وما يُسمّى الدهاء اللبنانيّ، السطحيّة والانشغال بالتافه عن المهمّ، النَّفَس القصير، اللامسؤوليّة في الحياة والتخطيط، الروح التجاريّة والتلوُّن والكسب الرخيص، ...[٣٣]). وفي الأمثال الشعبيّة اللبنانيّة تعبير عن تمزّق حلّ بالنفس اللبنانيّة عبر القرون فحفلت أمثالنا بالتناقض. كتب أنيس فريحة: «إذا كانت الأمثال مرآةً تنعكس عليها نفسيّة الأمّة، فإنّنا قومٌ على كثير من التناقض والفوضى في أخلاقنا وعاداتنا. إنّ أمثالَنا سجلٌّ للحياة المضطربة التي عاشتها الأجيال الغابرة في هذه البقعة القلقة»[٣٤]. ولعلّ أطرفَ الصُّوَر تلك التي رسمها يوسف غصوب في **أخلاق ومشاهد** (١٩٢٤) وفيه على منوال الجاحظ

٣١) صدر بالفرنسيّة (١٩٧١) كتاب هيام ملاّط **إعداد الأرض والبيئة في لبنان** (*L'aménagement du territoire et de l'environnement au Liban*).

٣٢) كتاب جرج جرارد **النقد البيئويّ**، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط١، ٢٠٠٩.

٣٣) شارل مالك، **لبنان في ذاته** (بيروت، مؤسّسة بدران، ١٩٧٤)، ص ١٦، ٣٥–٣٨.

٣٤) **دراسات في التاريخ** (طرابلس، جرّوس برس، ط١، ١٩٩١)، ص ٨١–٨٢؛ **معجم الأمثال اللبنانيّة الحديثة**، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٧٤.



مارون عبود



ولابروبير نقْد عيوب اللبنانيّين الشائعة نقدًا حافلاً بالظرف والفكاهة.

والأدب اللبنانيّ يحفل بالنقد الاجتماعيّ اللاذع. في طليعة النقّاد الاجتماعيّين جبران خليل جبران في **العواصف** (١٩٢٣)، ومارون عبّود في **سُبُل ومناهج** (١٩٥٥)، **حبر على ورق** (١٩٥٧)، **آخر حجر** (١٩٧٤)... وفي الأدب الشعبيّ: أسعد رستم وعمر الزعنّي وسلام الراسي وشعراء الزجل[٣٥].

٦. الأدب اللبنانيّ والهِجرة والاغتراب:

ضاقت رقعة البلد الصغير على أهله، وهُم جيران البحر، فروّضوه ومخروا عباب اليمّ منذ قديم الزمان، كما بعض أنواع الشجر لا ينمو في أرضه ولا يثمر إلاّ إذا انتقل إلى محلّ آخر. والهجرةُ ظاهرة لبنانيّة أولى في العالم حتى فاق عدد اللبنانيّين المهاجرين عدد المقيمين. كتب الأب يوحنّا قمير: «أيُّ شعب يتكوَّنُ تكوُّنَ شعب لبنان: مواطن يتغرّب، وغريب يتوطّن، كأنّ شيئًا لم يتغيّر»[٣٦].



فؤاد سليمان

بَيْدَ أنّ الهجرة «فخرٌ وعيبٌ ومأساة في آن»[٣٧]. ها فؤاد سليمان يكتب شاكيًا الغربة: «ليت دربك يا بحر لم تكن علينا»[٣٨]، وعبّر جبران خليل جبران عن وجع الغربة الوجوديّ: «ورجعتُ إلى لبنان رجوعَ كلّ لبنانيّ من غربة

---

٣٥) أمين فرشوخ، **أدب الفكاهة في لبنان**، بيروت، دار الفكر اللبنانيّ، ط١، ١٩٨٩.

٣٦) **أفياء** (بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥)، ص٥٧.

٣٧) شارل مالك، م. س.، ص١٧.

٣٨) **درب القمر** (بيروت، الشركة العالميّة للكتاب، ط٦، ١٩٨٦)، ص ٦٧، ٧٠.

إلى غربة»[٣٩]. وأجاد أمين معلوف في تحليل معاناة المهاجر وتمزّقه بين موطنه والبلد المضيف، وشعوره بالذنب والخيانة، وخوفه من المجهول والتنمُّر[٤٠].

٧. الأدب اللبنانيّ والحرب:


توفيق يوسف عواد

حكاية الحرب في لبنان محنة طويلة لا تنتهي فصولها، خاضتْها الأقلام أيضًا. مَن ينسى **رغيف** توفيق يوسف عوّاد (١٩٣٩) مسجِّلاً وقْعَ الحرب العالميّة الأولى المأسَويّ على لبنان، أو **طواحين بيروت** (١٩٧٢) التي استشرف فيها الحرب الأهليّة؟ وهذه إيتل عدنان تشير في روايتها **الستّ ماري روز** (١٩٧٨) إلى دوافع العنف في مجتمعنا وتكشف ترسّبات العقليّة القبليّة والعشائريّة والطائفيّة وظواهرها[٤١]. وما فتئ فؤاد سليمان يتوجّس من ربيع الدم: «غدًا تطلع على العالم أفعى سمراء، لها ذنب أحمر، تلتفّ على الربيع فتخنقه وتنفث سمومَها في الفضاء فتموت الوردة ويغصّ الطيب وتختنق الزهور على أمّاتها»[٤٢]. ولا يزال صوت جبران خليل جبران يتردّد في مسامعنا، وفي مدننا وقرانا: «مات أهلي... لو كنتُ سنبلةً من القمح نابتةً في تربة بلادي، لكان الطفل الجائع يلتقطني ويُزيل بحبّاتي يدَ الموت عن نفسه...»[٤٣].

صحيحٌ أنّ «حكايات الحرب مُسمَّرة في تواريخها (العام ٣٠٠... ٦٠٠... ٩٠٠... ١١٠٠... ١٩٧٥...)، لكلماتها أزيزٌ أسود كأنّها غربان جاثمة على مشانق»[٤٤]. لكن تبقى الحرب محورًا خصيبًا يستلهمه الأدباء والفنّانون في إبداعاتهم وفي حكاياتها دروسٌ وعِبَر.

٣٩) **البدائع والطرائف** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٣)، ص ٢٢. رواية إملي نصرالله الأولى **طيور أيلول** (١٩٦٢). علي فاعور، **الهجرة للبحث عن وطن**، بيروت، المؤسّسة الجغرافيّة، ط١، ١٩٩٣.

٤٠) Amin Maalouf, *Les identités meurtrières* (Paris, Grasset, 1998), p. 46–54.

٤١) كتبت إيتل عدنان هذه الرواية بالفرنسيّة، ونالت عليها جائزة «جمعيّة الصداقة الفرنسيّة العربيّة»، ١٩٧٨. نقلها إلى العربيّة جيروم شاهين، ١٩٧٩.

٤٢) **درب القمر**، ص ١٠٢.

٤٣) **العواصف** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٢)، ص ٧٣–٧٤.

٤٤) Mansour Labaky, *Kfar Sama : Village du Liban* (Baabdat, Al-Karmah, 3e éd., 1985), p. 104.

٨. الأدب اللبنانيّ والحريّة:

في مسرحيّة الأخوين رحباني **ناطورة المفاتيح** (١٩٧٢)، ينادي المحرَّرون الحريّة: «يا حريّة، يا زهرة ناريّة، يا طفلة وحشيّة، يا حريّة...». أمّا نشيد الحريّة والأحرار ففي ما كتبه شارل مالك بغنائيّةٍ بليغة:

«الحريّة هي الإنسان الكائن الحرّ المسؤول.
الحرّ لا يكذب ولا ينافق
الحرّ يعرف فضيلة الصمت.
الأحرار يَقسُون على أنفسهم حتّى يتفجّر الخَلْق فيهم تفجيرًا.
الأحرار يَقبَلون الصَّلب، وفي اليوم الثالث يقومون.
همُّهم أن يبقَوا هم الأسياد، ليس على الآخرين بل على كلّ ظلام وخِسّة في نفوسهم.
الأحرار يُقِرّون بالأفاضل، ويعترفون بالمصادر.
الأحرار يعيشون في العالم، لكنّهم ليسوا من العالم.
يفتّش الأحرار عن الأحرار في كلّ زاوية من زوايا الكون.
الوجود كلّه يُحصَر في الإنسان الكائن الحرّ»[٤٥].

تبدو الحريّة ثمرة بعيدة المنال. التحرُّر من تحرَّرَ (فعل لازم)، والتحرير من حرَّرَ (فعل متعدٍّ). التحرُّر الفرديّ أو الاجتماعيّ طريقٌ إلى التحرير الوطنيّ أو القوميّ، وبذلك يلتقي المصدران (التحرُّر والتحرير)، وهما من جذرٍ واحد (ح ر ر)، على غايةٍ واحدة (الحريّة). لا تنظيم بلا انتظام، ولا تحرير بلا تحرُّر، ولا فوز في معركة الجهاد الأصغر (جهاد العدوّ) إلاّ بعد الفوز في معركة الجهاد الأكبر (جهاد النفس).

في الأدب اللبنانيّ ميدانٌ لا يجوز إغفاله: أدب المقاومة شعرًا ورواية. مقاومة العدوّ أيًّا يكن: مستعمِرًا أو محتلاً أو ظالمًا مستبدًّا، ومناهضة العدوان والقهر والجهل والفوضى والفساد، إضافةً إلى معركة الإنسان مع نفسه التي بين جنبَيه. يمكن التمثُّل بالنوع الأوّل ذي البُعد القوميّ والوطنيّ في شعر خليل حاوي: **نهر الرماد** (١٩٥٧)، **الناي والريح** (١٩٦١)، **بيادر الجوع** (١٩٦٥)؛ وروايات ليلى عسيران: **جسر الحجر** (١٩٨٦)، **عصافير الفجر** (١٩٩١)، **خطّ الأفعى** (١٩٩٢)؛ ومن أدب المقاومة ذي البُعد الإنسانيّ أدبُ ميخائيل نعيمة: **همس الجفون** (١٩٤٥)، **مرداد** (١٩٤٨)، **مذكّرات الأرقش** (١٩٤٩)، **سبعون** (١٩٥٩–١٩٦٠)، **كتاب عبد الله** لأنطون غطّاس كرم (١٩٦٩).

---

٤٥) **لبنان في ذاته**، ص ٦٩–٧٢، بتصرّف.

٩. الأدب اللبنانيّ والتعايش الوطنيّ (التواجُد المسيحيّ الإسلاميّ):

لبنان «بيتٌ بمنازلَ كثيرة»[٤٦]، وعى أهلوه، مسيحيّين ومسلمين، بعد نكران، هُويّتَهم الوطنيّة اللبنانيّة المشتركة ولكنْ ما زال وباء الانقسام متفشّيًا بينهم[٤٧]. هل ينجح الأدب في تنظيف البيت اللبنانيّ ممّا علق به على مرّ الزمن من غبارٍ ونسيج عناكب؟ هل روائعُ الأدب تُداوي مَرَضَ الطائفيّة العُضال؟ هل يُصلح الأدب ما أفسدت اللعبة السياسيّة؟ في إحدى أهمّ المخطوطات التي تناولت التاريخ اللبنانيّ مشهدٌ يختزل العنفَ الأهليّ والصراعَ الطائفيّ من الجبل إلى البحر، كأنّه لعنة التاريخ والجغرافيا معًا:...» وفي وقت المعركة (١٨٦٠) قبض درزيّ على أحد النصارى وأخذا في الصراع والمقاومة. وما زالا في المجادلة والملازمة حتّى وصلا إلى شاطئ البحر فسقطا في الماء وهما يتعاركان. وبينما هما كذلك أتت موجة عظيمة فسحبتْهما إلى العمق واختنق الاثنان. وعند الصباح وُجِدا على الشاطئ ميتَين. وهما لم يزالا متقابضَين».[٤٨]


عمَر فاخوري


الشيخ عبدالله العلايلي

كلّ ذلك لم يمنع تحرُّر الأدب من ربقة الطائفيّة. كتب عمر فاخوري (١٩٤٤): «لا يمكن أن يكون لبنان وطنًا مسيحيًّا، ولا وطنًا إسلاميًّا. لا يمكن أن يكون وطنًا لأيّ دينٍ من الأديان أو مذهبٍ من المذاهب. لا يصحُّ أن يكون لبنان إلاّ وطنًا لجميع اللبنانيّين على السواء»[٤٩]. وكتب الشيخ عبد الله العلايلي: «الطائفيّة نحن مدعوون إلى إلغائها، لا بحكم الوطنيّة فقط بل بحكم الإنسانيّة أيضًا... نحن من هذه البداوة المتأنّقة، أو قُل الذئب القابع

٤٦) الآية الإنجيليّة (يوحنّا، ١٤: ٢) «في بيت أبي منازل كثيرة».

٤٧) Cf. Kamal Salibi, *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered*, I.B. Tauris, 1988.

٤٨) إسكندر أبكاريوس، **نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان**، تحرير عبد الكريم إبراهيم السمك (لندن، رياض الريّس، ١٩٨٧)، ص ١٤٤. فوّاز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتّفاق الطائف** (بيروت، رياض الريّس، ط١، ٢٠٠٨)، ص ٦٩.

٤٩) **الحقيقة اللبنانيّة** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٨)، ص ١٧.

في أعماقنا، على صراع في معركةٍ مفتوحة»[٥٠]. وكتب أدباء مسيحيّون في التاريخ الإسلاميّ، وفي شخصيّاتٍ إسلاميّةٍ فذّة[٥١].

١٠. الأدب اللبنانيّ والفنّ اللبنانيّ:

كتب راجي الراعي: «الفنّ يَرقص في الشعر، يَختال في التماثيل، يَهتزّ في الأوتار، يُجَنّ في الألوان، يَثمل في الغناء، يَحلم في الرسوم، يتّكئ في البناء... ويسخر في الموت»[٥٢].

المناهج التربويّة، العربيّة واللبنانيّة، تفتقر إلى منهجيّةٍ جماليّةٍ هادفة، وإلى نصوصٍ أدبيّة تعبّر عن الفنون الجميلة، وبخاصّةٍ الرسم والنحت والعمارة والرقص. تناثرت نصوصٌ من هذا القبيل في بعض الكتب ولا يهتدي إليها سوى قلّة من المتبحّرين[٥٣].

الكتب الفنيّة التي نتعرّف بها إلى روّاد النهضة الفنيّة في لبنان وتاريخ الفنّ في لبنان وخصائصه، ما زالت بعيدة من هموم اللبنانيّين، وعن تلاميذ المدارس وطلاّب الجامعات ومعلّميهم، وما زال هؤلاء المواطنون الأفذاذ مَنسيّين. ونادرةٌ كتب أدبيّة يعبّر فيها الفنّانون اللبنانيّون عن تجربتهم الفنيّة وعن رؤيتهم إلى الفنّ والحياة والعالم. لعلّ أبرزَها في هذا المجال كتبُ مصطفى فرّوخ: **رحلة إلى بلاد المجد المفقود** (١٩٣٣)، **قصّة إنسان**

---

٥٠) من محاضرة في الندوة اللبنانيّة، أورده جميل جبر (م. س.)، ص ٣٤٢–٣٤٣.

٥١) كتبَ جرجي زيدان **تاريخ التمدّن الإسلاميّ** (١٩٠٢)، وبولس سلامة **ملحمة غيد الغدير** (١٩٤٩)، وجورج جرداق **الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة** (١٩٥٨)، ونصري سلهب **في خطى محمّد** (١٩٧٠)، **في خطى علي** (١٩٧٣). فارس يواكيم، **الإسلام في شعر المسيحيّين**، بيروت، الفرات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦.

٥٢) **قطرات ندى** (بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، لا تاريخ)، ص ١٨٠–١٨١.

٥٣) منها في الأدب اللبنانيّ، في فنّ الرسم: «الفنّ والطبيعة» لأمين نخلة، **المفكّرة الريفيّة** (م. س.)، ص ١١٣–١١٤؛ وفي فنّ النحت: «أحَبّ الروائع الفنيّة إليّ» لمصطفى فرّوخ، **الفنّ والحياة** (بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٧)، ص ١٨٦–١٩٠؛ وفي فنّ العِمارة: «قلعة بعلبك» لخليل مطران، **ديوان الخليل** (القاهرة، دار الهلال، ١٩٤٩)، ١/٩٧–١٠١؛ وفي فنّ الرقص: «الراقصة»، لجبران خليل جبران، التائه ضمن **المؤلّفات الإنكليزيّة الكاملة**، ترجمة نديم نعيمة (بيروت، نوفل، ٢٠١٥)، ص ٥٧٣. ومن النصوص اللبنانية في فنّ الموسيقى: **الموسيقى** لجبران (باكورة أعماله، ١٩٠٥)؛ «الموسيقى» ليوسف غصوب، **أخلاق ومشاهد** (بيروت، دار المراد، ط١، ١٩٩٧)، ص ١٧٣؛ «السمفونيا التاسعة» لليلى عسيران، **لن نموت غدًا** (بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩١)، ص ٨١؛ «ماذا تريد منّي هذه الموسيقى» لأنسي الحاج، **خواتم ٢** (لندن-بيروت، رياض الريّس، ط١، ١٩٩٧)، ص ١٤٩–١٥٠؛ «في نغم خارج العالم» لجوزف صايغ، **معيار وجنون** (م. س.)، ص ١٣٥...



مصطفى فرُّوخ

من لبنان (١٩٥٤)، **الفنّ والحياة** (١٩٦٧)، **طريقي إلى الفنّ** (١٩٨٦). ومن كتابات فرّوخ: «يا أبناءَ بلادي... إنّ تربية الشعور بالجمال تخلق في نفس المرء حتمًا حبَّ النظام. وإنّ الفنون هي الأسُس الجبّارة التي تقوم عليها الأمم، وتُشاد الحضارة، وتُعِدّ النفوس للعمل الكبير»[٥٤].

١١. الأدب اللبنانيّ والانفتاح على العالم:

الانفتاح على العالم والإشعاع اللبنانيّ واحد. لا ينفعُ العطّارَ عطرُه مخبوءًا في قواريره، ولا يُغني الجميلَ جمالُه مستترًا تحت قناعه. والتاريخ يشهد على دور لبنان، أي أبناء لبنان، في الحضارة العالميّة. «ولعلّ أكرمَ ما يُصدّرُه لبنان من بضاعة، أبناؤه في النواحي الأربع من الأرض، بُناةُ المدن والسفن، المخاطرون غير مغامرين، المثقّفون طبعًا وتطبّعًا، المحافظون في غير تزمُّت، المجدِّدون من غير تعسُّف، ناشرو الأبجديّة قديمًا وحَضَنة العربيّة حديثًا، أبناؤه السُّمرُ الميامِين، حَمَلةُ رسالتِه الثقافيّة في العالم»[٥٥].

وإذا الهجرة ظاهرة لبنانيّة أولى في العالم، فجبران هو الظاهرة اللبنانيّة الثانية. هي ذي رائعته **النبيّ** (١٩٢٣) نُقِلت إلى نحو ١٠٠ لغة عالميّة، وإلى الفرنسيّة وحدها خمسَ عشْرة مرّة[٥٦]. وللكتاب في العربيّة سبعُ ترجمات وأكثر[٥٧].

دور لبنان في النهضة العربيّة الحديثة واضحٌ جليّ[٥٨] يدلّ عليه روّاد النهضة وأعلامها، وتدلّ عليهم آثارهم وإنجازاتهم: سليمان البستانيّ وترجمته نظمًا إلياذة هوميروس، خليل مطران وترجمته مسرحيّات شكسبير، أحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي وترجمتهما الكتاب

٥٤) **الفنّ والحياة**، ص ٦٨، ٨٦.

٥٥) عمر فاخوري، **الحقيقة اللبنانيّة** (م. س.)، ص ٨.

٥٦) إسكندر نجّار، **قاموس جبران خليل جبران**، ترجمة ماري طوق (بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٨)، ص ٢١٢.

٥٧) وضعها أنطونيوس بشير (١٩٢٦)، وميخائيل نعيمة (١٩٥٦)، وثروت عكاشة (١٩٥٩)، ويوسف الخال (١٩٦٨)، ويوحنّا قمير (١٩٩٧)، وسركون بولص (٢٠٠٨)، ونديم نعيمة (٢٠١٥).

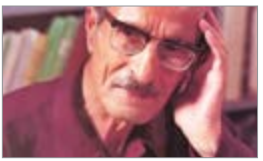
٥٨) جبران مسعود، **لبنان والنهضة العربيّة الحديثة**، بيروت، بيت الحكمة، ط٢، ١٩٩٦.

المقدّس، المعلّم بطرس البستانيّ ووضْعه أوّل دائرة معارف عربيّة حديثة، الرابطة القلميّة (وبخاصّة جبران ونعيمة وأبو ماضي) وإسهامها في تجديد الأدب العربيّ، مارون النقّاش أوّل من ألّف في الفنّ المسرحيّ بلغة الضاد. ودور اللبنانيّين في الصحافة العربيّة واضح ودامغ.

قبل أن يُعرّف مارون عبّود بروّاد النهضة الحديثة، وصفَ سنديانة الضيعة، لا الأرزة، بأنّها «أمّ لبنان»، و«مُدَيْرسة تحت السنديانة ضاهت الجامعات بمن خرّجت»[٥٩]. وحين راح يعرّفنا بهم واحدًا فواحدًا عَرَفنا أنّهم لبنانيّون ولبنانيّات إلاّ قلّة. وفي هؤلاء كتب جبران: «يتغلّبون على محيطهم أينما حلّوا ويجتذبون القلوب إليهم أينما وُجدوا. ... يولدون في الأكواخ ويموتون في قصور العلم»[٦٠]. وكذا في هذا المقام الأدبُ اللبنانيّ، عابر الحدود، المكتوب بلغاتٍ أجنبيّة عدة، الفرنسيّة خصوصًا[٦١].



مي زيادة



ميخائيل نعيمة

عَودٌ على بَدء

عن مي زيادة: «لَئن اقتصر كلٌّ من العلوم والمعارف على نفسه دون غيره، فميزة الأدب أنّه يحتضن الكثير من المعارف والعلوم، وله أن يتغذّى بها جميعًا ليعالجها على طريقته الخاصّة، فلا يكون بَعدُ إلاّ أدبًا»[٦٢]؛ وعن ميخائيل نعيمة: «إنّ العلوم والفنون والديانات والفلسفات كأنّها الجداول والسواقي والأنهار تنساب في مجارٍ مستقلّة بعضها عن بعض. أمّا المحيط الذي تلتقي فيه فالأدب»[٦٣].

٥٩) **روّاد النهضة الحديثة** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٥)، ص ١١، ١٤. وللمقارنة: ماجد فخري: **الحركات الفكريّة وروّادها اللبنانيّون في عصر النهضة**، بيروت، دار النهار، ١٩٩٢.

٦٠) جبران، **البدائع والطرائف** (القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٣)، ص٣٢.

٦١) غالب غانم، **شعر اللبنانيّين باللغة الفرنسيّة ١٩٠٣–١٩٦٨**، تقديم جبّور عبد النور، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانيّة، ١٩٨١؛ إسكندر نجّار، **قاموس لبنان** (م. س.)، مادّة أدب، ص ٢٥–٣٣.

٦٢) **كلمات وإشارات** في: **المؤلّفات الكاملة** (بيروت، مؤسّسة نوفل، ط١، ١٩٨٢)، ٢٥٥/٢.

٦٣) **دروب** (بيروت، مؤسّسة نوفل، ط٩، ١٩٩٠)، ص ٤١.

الأدب كالدِّين: تعبيرٌ عن عبقريّة المكان وعن تَوق الروح إلى تجاوز المكان والزمان كلَيهما صوبَ المطلق والكمال[٦٤]. والأدب كالتاريخ: بحثٌ عن الحكمة. والحكمة مرتجى المعرفة وخلاصة الثقافة، تُملي على الإنسان خيرَ العمل. فهل الثقافةُ الأدبيّة اللبنانيّة تَجمع القلوبَ على حبّ لبنان، والمعرفة طريق المحبّة؟ هل تُحقّق انسجامًا في هذا الخليط المرقّع الهشّ، وتناغمًا في كِياناته المتعدّدة، وتجانسًا في أطيافه المركّبة وجماعاته المتناحرة، فتضبط فوضاه في نسقٍ أو نظام، وتختطّ له هدفًا يسيرُ إليه؟

المصادر والمراجع[٦٥]

١. الكتب العربيّة

- أبكاريوس، إسكندر، **نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان**، تحرير عبد الكريم إبراهيم السمك، لندن، رياض الريّس، ١٩٨٧.
- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد ٩، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٩.
- ابن العبد، طرفة، **الديوان**، شرح الأعلم الشنتمري، تحرير دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠٠.
- ابن عبد ربّه، **العِقد الفريد**، تحرير أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩.
- البستانيّ، فؤاد أفرام، **فصول من تاريخ لبنان الحضاريّ**، بيروت، منشورات الدائرة، ٢٠٠٦.
- جبر، جميل، **لبنان في روائع أقلامه**، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٦٤.
- جبران، خليل جبران، **العواصف**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٢.
- **البدائع والطرائف**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٣.
- الحاج، أنسي، **خواتم ٢**، لندن-بيروت، رياض الريّس، ط١، ١٩٩٧.
- خضر، جورج، **لبنانيّات**، بيروت، دار النهار، ط١، ١٩٩٧.



أنسي الحاج

٦٤) مقالي «المطر والورد أو جدليّة الدين والأدب»: **حوليّات معهد الآداب الشرقيّة** (جامعة القدّيس يوسف في بيروت، تشرين الأوّل ٢٠١٨)، ص ٨٥–١١٥.

٦٥) هي مصادر ومراجع اقتبسنا من صفحاتها. والتي أوردناها أمثلةً ونماذجَ على الأدب اللبنانيّ من دون اقتباس، وردَت في حواشي البحث.

- الراعي، راجي، **قطرات ندى**، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، لا تاريخ.
- الرويس، قاسم بن خلف، **سوانح أفكار لأمير البيان شكيب أرسلان**، بيروت، جداول، ط١، ٢٠١٤.
- الريحانيّ، أمين، **قلب لبنان**، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٦، ١٩٧٨.
- **الريحانيّات**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٤.
- زيادة، مي، **كلمات وإشارات** في: **المؤلّفات الكاملة**، مج ٢، بيروت، مؤسّسة نوفل، ط١، ١٩٨٢.
- زيادة، نقولا، **لبنانيّات: تاريخ وصُوَر**، لندن-قبرص، رياض الريّس، ط١، ١٩٩٢.
- سلامة، بولس، **حكاية عُمْر**، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٢، ١٩٧٢.
- سليمان، فؤاد، **درب القمر**، بيروت، الشركة العالميّة للكتاب، ط٦، ١٩٨٦.
- صايغ، جوزف، **معيار وجنون: ذكريات باريسيّة**، بيروت، التعاونيّة اللبنانيّة للتأليف والنشر، ط١، ٢٠٠٧.


جوزف صايغ

- الطاهر، علي جواد، **الثقافة الأدبيّة**، بيروت، دار الرائد العربيّ، ط٢، ١٩٨٧.
- طرابلسي، فوّاز، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتّفاق الطائف**، بيروت، رياض الريّس، ط١، ٢٠٠٨.
- عبد النور، جبّور، **المعجم الأدبيّ**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤.
- عبّود، مارون، **روّاد النهضة الحديثة**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٥.
- عنترة، **الديوان**، تحرير محمّد سعيد مَولوي، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٩٧٠.
- عسيران، ليلى، **لن نموت غدًا**، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩١.
- عقل، سعيد، قَدموس في: **سعيد عقل شعره والنثر**، مج ١، نوبليس، ط٤، ١٩٩١.
- غصوب، يوسف، **أخلاق ومشاهد**، بيروت، دار المراد، ط١، ١٩٩٧.
- فاخوري، عُمَر، **الحقيقة اللبنانيّة**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٨.
- فرّوخ، مصطفى، **الفنّ والحياة**، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٧.
- فريحة، أنيس، **دراسات في التاريخ**، طرابلس-لبنان، جرّوس برس، ط١، ١٩٩١.

- قاسم، سيزا ونصر حامد أبو زيد، **أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة**، القاهرة، دار الياس العصريّة، ١٩٨٦.
- قمير، يوحنّا، **أفياء**، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥.
- لبكي، صلاح، **من أعماق الجبل**، القاهرة، مؤسّسة هنداوي، ٢٠١٩.
- مالك، شارل، **لبنان في ذاته**، بيروت، مؤسّسة بدران، ١٩٧٤.
- معلوف، أنطوان، **لبنان في مهبّ واشنطن وتلّ أبيب** (كتاب مخطوط).
- نخلة، أمين، **المفكّرة الريفيّة** في: **الأعمال الكاملة**، المجلّد ١، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠١٤.
- نعيمة، ميخائيل، **دروب**، بيروت، مؤسّسة نوفل، ط٩، ١٩٩٠.

٢. الكتب المترجمة

- جبران، خليل جبران، **التائه** في: **المؤلّفات الإنكليزيّة الكاملة**، ترجمة نديم نعيمة، بيروت، نوفل، ٢٠١٥.
- حتّي، فيليب، **تاريخ لبنان**، ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، تحرير جبرائيل جبّور، بيروت، دارالثقافة، ط٣، ١٩٧٨.
- دوستويفسكي، **الأبله**، ترجمة سامي الدروبي، بيروت، دار ابن رشد، ط٢، ١٩٨٥.
- نجّار، إسكندر، **قاموس جبران خليل جبران**، ترجمة ماري طوق، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٨؛
- **قاموس لبنان**، ترجمة. ماريا الدويهي وجان هاشم، مراجعة جبّور الدويهي، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠١٨.
- قصير، سمير، **تاريخ بيروت**، ترجمة ماري طوق، بيروت، دار النهار، ٢٠٠٦.

٣. الدوريّات

- لبُّس، جوزف، «المطر والورد أو جدليّة الدين والأدب»، **حوليّات معهد الآداب الشرقيّة**، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، تشرين الأوّل ٢٠١٨، ص ٨٥—١١٥.
- «قراءة في وصيّة مثقّف وطنيّ: لبنان في مهبّ واشنطن وتلّ أبيب لأنطوان معلوف، **مجلّة المشرق**، السنة ٩٥، الجزء ١، كانون الثاني - حزيران ٢٠٢١، ص ٤٤٥—٤٥٢.
- يقطين، سعيد، «كلاسيكيّات الأدب العربيّ»، **القدس العربيّ**، ٢٩ يناير ٢٠١٩.

٤. الكتب والدوريّات الأجنبيّة

- Bailly, M. A, *Dictionnaire grec-français*, Gérard Gréco, 2020.
- Balzac, Honoré de, *Maximes & pensées*, Maxtor, 2012.
- Labaky, Mansour, *Kfar Sama : Village du Liban*, Baabdat, Al-Karmah, 3e éd., 1985.
- Maalouf, Amin, *Les identités meurtrières*, Paris, Grasset, 1998.
- Salibi, Kamal, *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered*, 1988 I.B. Tauris.
- Stan Kajs, "The Role of Literature in a World of Technology" in: *The Successful Professor*, Volume 2, Issue 1, February 2003.

تراثنا الصحافيّ

د. رياض نخول

داود بركات: قلمُهُ في مصر، قلْبُه في لبنان

داود بركات:
قلمُهُ في مصر، قلْبُه في لبنان

د. رياض نخُول
باحث في التاريخ

البحث عن الأُصول أساس كل دراسة علمية. والكتابة عن داود بركات تبدأ من أصول وطَّدَت مسيرته: جريدة «الأهرام» التي شهدت صفحاتها مواهب وُثقى من مهاجري «بلاد الشام»، تناظروا سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا حول مصير الشرق، خصوصًا بعد احتلال بريطانيا مصر عام ١٨٨٢، فباتت مصر متنفسًا طبيعيًا للنهضويين العرب، ذلك أن التشجيع البريطاني وأجواء الحرية في مصر شجعت لبنانيين فيها على مزاولة نشاطهم السياسي والثقافي والاجتماعي المناوئ العثمانيين.





العدد الأول من «الأهرام» (السبت ٥ آب ١٨٧٦)

جناحاه فوق القُطرين


داود بركات

ترأَّس داود بركات تحرير «الأهرام» بين ١٨٩٩ و١٩٣٣، ضالعًا في السياسة الشرقية بأسلوب العارف والمطّلع، حريصًا على وطنه لبنان ضمن مشروع سياسي في حزب «الاتحاد اللبناني»، واعيًا أحقية العرب في الاستقلال والثورة على سياسة التتريك، متصديًا للمشاريع الصهيونية في فلسطين محذِّرًا من خطرها على الشرق كله، مستفيدًا من اللعب على تجاذبات السياسة الدولية أثناء الحرب وبعدها ليرسي استقلالاً لبنانيًا وعربيًا بضمانة الدول من خلال حزب «الاتحاد السوري»، جامعًا بعمله البُعد الأدنى والأقصى للسياسة: التوفيق بين الممكن والمرتجى دون أن يتخلّى عن قناعاته الوطنية وثوابته القومية.

اللافت: مع دوره الريادي وعمله المضني وفضله الكبير مع رفاقه بتوسيع حدود لبنان واستقلاله ضمن فهم حضاري وبُعد شمولي وعُمق قومي، ظلَّت شخصيته في الظلّ لبنانيًا ومصريًا، رغم دفاعه عن قضايا مصر والعروبة والإسلام، ومواجهته السياسة البريطانية الاستعمارية، خصوصًا في موضوع فصل السودان عن القطر المصري.

فماذا عن هذا الصحافي الكبير؟

من يحشوش إلى القاهرة

هو داود جرجس بركات[١]، من قرية يحشوش (فتوح كسروان). وفي وثيقتي[٢] الولادة والمعمودية أنه وُلد في ٨ كانون الأول ١٨٦٨. درس مبادئ العربية والسريانية والإيطالية واللاتينية على عمه الخوري يوسف بركات الضليع علْمًا وأدبًا[٣]. ثم انتسب إلى مدرسة المحبة (عرمون) فمدرسة

١) عيسى اسكندر المعلوف، «المرحوم داود بك بركات»، **مجلة المجمع العلمي العربي**، كانون الاول ١٩٣٣، المجلد ١٣، الجزء الاول، ص ٤٩٤.

٢) جوزفين الغول، **داود بركات الانسان والصحافي**، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور أنطوان مسرة، الجامعة اللبنانية، كلية الاعلام، بيروت ١٩٩٩، ص ٥. أنظر ملحق رقم ١.

٣) داود بركات، **البطل الفاتح ابراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢**، المطبعة الرحمانية، بمصر، ١٩٣٤، «المحة من حياة المؤلف»، بدون ذكر الصفحة.



بلدة يحشوش الجميلة في فتوح كسروان

مار لويس (غزير)[٤] فمدرسة الحكمة (بيروت)[٥]. وباكرًا أكمل دراسته فتولّى التدريس في مدرسة بير الهيت (قضاء جبيل)[٦] لكنه غادر إلى مصر إذ أوفدته قنصلية فرنسا يدرِّس لدى مدرسة المرسلين الأفريقيين في زفتى[٧]، وهكذا هرب من الاستبداد التركي إلى آفاق أوسع في حرية الرأي والتعبير.

في مصر التحق سنة ١٨٨٧[٨] بمصلحة المساحة لدى مديرية الغربية في مدينة طنطا[٩] لمدة سنة[١٠]، وعاد إلى التدريس في زفتى[١١]، وعام ١٨٩٢ في مدرستَي اليسوعية والأميركان[١٢]. وحيال نجاحه مدرِّسًا اختاره الآباء اليسوعيون (مع نسيبَيْه الأب نعمة الله بركات وابراهيم بركات) للنهوض

٤) داود بركات، مجلة **الهلال**، السنة ٣٦، الجزء ٣، كانون الثاني ١٩٢٨ ص ٢٧٣– وابراهيم معوض ومنير وهيبه الخازن: «داود بركات ١٨٧٠–١٩٣٣»، **نبذة تاريخية عن دار الكتب اللبنانية**، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٤٨، ص ٩.

٥) داود بركات، **الهلال**، المصدر السابق، ص ٢٧٣، وابراهيم معوض ومنير وهيبة الخازن – المرجع السابق، ص ٩.

٦) داود بركات، **البطل الفاتح ...**، المصدر السابق.

٧) داود بركات، **الهلال**، المصدر السابق، ص ٢٧٣.

٨) يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الادبية، الفكر العربي الحديث في سير أعلامه الراحلين (١٨٠٠–١٩٥٥)**، الجزء الثاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣–ص ١٧٩.

٩) داود بركات، **الهلال**، المصدر السابق، ص ٢٧٣. ويوسف أسعد داغر، المرجع السابق، ص ١٧٩.

١٠) داود بركات، **البطل الفاتح...**، المصدر السابق.

١١) يوسف أسعد داغر، المرجع السابق، ص ١٧٩.

١٢) المرجع السابق، ص ١٧٩ – وابراهيم معوض ومنير وهيبه الخازن – المرجع السابق، ص ٩.



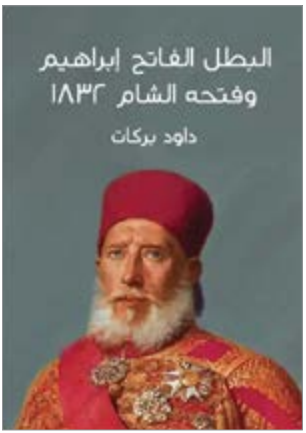
بيت داود بركات في يحشوش

باللغة العربية[١٣]. وكانت حادثة زفتى[١٤] باب دخوله الصحافة، فأرسل عزيز بك الزند صاحب جريدة «المحروسة»[١٥] يطلب منه تَوَلِّي التحرير

١٣) فخري عبد النور، «كلمة وفاء لصديقي وأستاذي داود بركات»، **الأهرام**، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣.

١٤) حريقٌ في منزل صديق داود بركات أصاب سكانه، فكتب رسالة مؤثِّرة إلى جريدة «المحروسة». داود بركات، **البطل الفاتح** ...، المصدر السابق ص و. وطاهر أحمد الطناحي، **الأيام الأخيرة لبعض عظماء مصر**، دار الهلال، مصر، ١٩٣٩ ص ١٥٩.

١٥) جريدة مصرية أنشأها سليم النقاش يوميةً في الإسكندرية (عددها الأول: ٥ كانون الثاني ١٨٨٠)، وكان يكتب فيها أدباء كعبد الله نديم والشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني وجرجس نحاس وأديب اسحق واسكندر نحاس وروفائيل الخوري وأمين البستاني وسليم الشلفون. وصدرت فيها مقالات سبَّبَت تعطيلها فأصدر بعدها أسبوعية = «العصر الجديد» على النهج ذاته في الدفاع عن مصالح المصريين. عفا عنها الخديوي توفيق الأول فصدرت حتى طلائع الثورة العرابية، حين احتجبت مجدَّدًا إثر مذبحة الاسكندرية في ١١ حزيران ١٨٨٢، ولجأ صاحبها إلى سوريا. ثم صدرت عام ١٨٨٤ بعدما تناول النقاش أربعين ألف فرنك من الحكومة تعويضًا عن خسائر احتراق المطبعة. اشتهرت بمناظراتها السياسية مع «الأهرام». كان شعار «المحروسة»: «مصر للمصريين»، وسياسة «الأهرام» الدفاع عن مصر ومهادنة الحكومة الفرنسية. تولى إدارتها الوريث خليل نقاش، وقبيل وفاته (٢ تشرين الثاني ١٨٨٦) اشتراها يوسف آصاف ونسيبه عزيز بك الزند، وتولى تحريرها تباعًا: يوسف البستاني وداود بركات ونقولا حداد وأيوب عون. دافعت عن مصر تحت سيادة الباب العالي وناهضت الاحتلال الانكليزي. في ١١ كانون الثاني ١٩٠٩ اشترى امتيازَها مديرُها الياس زيادة (والد الكاتبة مي زيادة) فسلك فيها خطة الاعتدال كمنشئها الاول. وفي ٤ حزيران ١٩١١ أصدر الياس زيادة عددًا أسبوعيًا كتب فيه أعلام الجالية السورية في مصر، قاصدًا بذلك أن يجعل «المحروسة» رسول السوريين ولسان حالهم في القطرين معًا. في تشرين الأول ١٩١٣ ظهرت بثماني صفحات كبيرة كـ«الأهرام» و«المقطّم» و«المؤيد»، وتولّى تحريرَها فرح أنطون منشِئ مجلة «الجامعة». الفيكونت فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، الجزء الثالث، المطبعة الادبية، بيروت، ١٩١٤، ص ٥٧–٥٩.





الطبعتان الأولى والثانية من كتاب داود بركات

سنة ١٨٩٣[١٦]. كما حرَّر داود بركات في جريدة «النيل»[١٧] وجريدة «القاهرة»[١٨]. ثم أنشأ مع صديقه الشيخ يوسف الخازن[١٩] وابن عمه ابراهيم بركات جريدة «الأخبار»[٢٠] سنة ١٨٩٦[٢١]

١٦) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، أيار ١٩٣٠، ص ٧٩٠. و**الهلال**، السنة ٣٦، الجزء ٣، كانون الثاني ١٩٢٨، ص ٢٧٣، وأيضًا طاهر أحمد الطناحي، المرجع السابق، ص ١٦٠ نقلا عن حديث مع داود بركات، أيضًا ابراهيم معوض ومنير وهيبة الخازن – المرجع السابق، ص٩٠، أيضاً مجلة **كل شيء والدنيا**، «شيخ الصحافة الراحل: داود بركات»، عدد تشرين الثاني ١٩٣٣، ص ٤.

١٧) يومية سياسية علمية صدر عددها الأول في ١٧ كانون الأول ١٨٩١ بأربع صفحات. أنشأها حسن حسين باشا الطويراني صاحب جريدة «الإنسان» في القسطنطينية. اتّبع في جريدته سياسة عثمانية تهادن الاحتلال الإنكليزي فابتعد عنها القراء. وفي آذار ١٨٩٣ تحوّلت أسبوعية من ثماني صفحات متوسطة الحجم. أدارها جورج مرزا وكتب فيها وليّ الدين يكن وحبيب فارس وداود بركات. احتجبت عام ١٨٩٦ بعد حادثة الإسكندرية التي ناصرتْها الجرائد الاوروبية، فيما خطة «النيل» ألاّ تكون مع دولة أجنبية ضد الإنكليز ولا مع الإنكليز ضد الدولة العلية. ولما اشتدت ثورة الجرائد المناهضة الحكم العثماني، دافعت «النيل» عن الدين والدولة والخلافة والقومية. الفيكونت فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ص ٤٤ و٤٦.

١٨) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧ – أيار ١٩٣٠، ص ٧٩٠. أيضًا ابراهيم معوض و منير وهيبة المخازن، المرجع السابق، ص ٩. أيضًا **كل شيء والدنيا**، المصدر السابق، ص ٤. و«القاهرة: «جريدة سياسية (عددها الأول في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٨٥) صدرت مرتين في الأسبوع. صاحبها سليم ابن الشيخ أحمد فارس الشدياق. بعد أيام جعلها يومية حاذيًا فيها حذو جريدة «الجوانب» فنالت نصيبًا عظيمًا من الشهرة في عالم الصحافة. حرر فيها كتاب سوريون ومصريون. وحين توقفت أصدر صاحبها جريدة «القاهرة الحرة» وحرّر فيها داود بركات. الفيكونت فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ص ٢٦ و ٢٧.

١٩) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، أيار ١٩٣٠ ص ٧٩١. أيضًا جميل جبر، **حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٥٥٢.

٢٠) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، أيار ١٩٣٠ ص ٧٩١ – أيضًا داود بركات، **البطل الفاتح...**، المصدر السابق، ص و.

٢١) الفيكونت فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية، الجزء الرابع، المطبعة الادبية، بيروت ١٩١٤**، ص ١٧٠.

وبعد ثلاث سنوات انصرف إلى التجارة[٢٢] إذ اختلف مع شريكه الخازن عام ١٨٩٩[٢٣].

... وانفتحت له «الأهرام»

كان خليل مطران مراسلَ «الأهرام» من القاهرة (إدارتها في الإسكندرية) فطلب من صديقه داود بركات أن يراسل «الأهرام» مكانه ريثما يعود من إجازة يقضيها في لبنان[٢٤]. وكان بشارة تقلا ينوي السفر إلى أوروبا، فطلب من داود بركات أن يضيف إلى المراسلات مقالات افتتاحية ريثما هو من أوروبا وخليل مطران من لبنان[٢٥]. وعند انتقال إدارة «الأهرام» إلى القاهرة سنة ١٨٩٨[٢٦] طلب بشارة تقلا من داود بركات عام ١٨٩٩ أن يتولى رئاسة التحرير، فبقي كذلك حتى وفاته سنة ١٩٣٣[٢٧]. وعلى عهده اتسعت شهرة «الأهرام». تسلّمها تصدر في ٤ صفحات وحين توفي أصبحت أكبر صحيفة في الشرق العربي وتصدر في ١٤ صفحة[٢٨]، وفي ذلك كتب صديقه بولس غانم: «ساس أمورها بحكمة وإخلاص، وقادها

٢٢) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٦، الجزء ٣، كانون الثاني ١٩٢٨، ص ٢٧٤.

٢٣) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

٢٤) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، أيار ١٩٣٠ ص ٧٩١.

٢٥) المصدر السابق، ص ٧٩١.

٢٦) الفيكونت فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص ٥١. أيضًا يوسف أسعد داغر، **قاموس الصحافة العربية ١٨٥٨–١٩٧٤** منشورات الجامعة اللبنانية بيروت، ص ٧٧.

٢٧) د.إبراهيم عبده، **جريدة الأهرام، تاريخ مصر في خمس وسبعون سنة**، دار المعارف، مصر، ١٩٥١، ص ٢٨٠. أيضًا داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٦، الجزء ٣، كانون الثاني ١٩٢٨ ص ٢٧٤، **والهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، أيار ١٩٣٠، ص ٧٩١. أيضًا يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الادبية**، المرجع السابق، ص ١٧٩. ووجد الدكتور مسعود ضاهر خلافًا سياسيًا سنة ١٩٣٢ بين صاحب «الأهرام» جبرائيل تقلا ورئيس تحريرها داود بركات، فتنحّى بركات وحلّ مكانه أنطون الجميل الذي طوَّر في مسيرة الأهرام. د. مسعود ضاهر، **الهجرة اللبنانية إلى مصر، هجرة الشوام**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٨١، هامش ٢٤. لكن الدكتور ابراهيم عبدو يؤكد أن أنطون الجميل (إثْرَ وفاة داود بركات في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٣) تولّى رئاسة تحرير «الأهرام» في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٣ طوال ١٥ سنة، حتى ١٣ كانون الثاني ١٩٤٨. د. ابراهيم عبدو، **جريدة الأهرام**، المرجع المذ كور، ص ٢٩٦.

٢٨) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مطبعة كوستا تسوماس وشركاه، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، ص ٧.

وسط العواصف قيادة الربان الماهر حتى أصبحت أرقى الصحف وأوسعها انتشارًا، فأمكن «الأهرام» – إبان الحرب العالمية وفي ظل الأحكام العرفية – أن تُطْلع قرَّاءها على كل خفي ممنوع نشره، دون أن تتعرّض إلى إيقاف أو تعطيل»[٢٩]. وأُطلِق عليه لقب «شيخ الصحافة»[٣٠] «لثقافته العالية ومقدرته الصحافية ومواقفه السياسية البعيدة عن المتاجرة بالمبادئ»[٣١]، وكذلك «لجرأة قلمه في مواجهة ديدان الصحافة وعقاربها، بل كل من يحمل قلمًا ولا يحسن غير الدبّ واللذع»[٣٢]. كان يعتبر أن الصحافي المهني لا يجمع بين الناحيتين المادية والادبية. إذا فضّل المادية خسر الأدبية وفقد مقدرته الصحافية[٣٣]. من هنا أنه من أقدر صحافيي الشرق[٣٤].



أمين الريحاني



بشارة تقلا

سيّد نهضة «الأهرام»

«الأهرام» جريدة سياسية تجارية أدبية أَصدرها في ٥ آب ١٨٧٦ سليم بك تقلا صاحبَ امتيازها ورئيس تحريرها، وشقيقه مديرها بشارة باشا تقلا[٣٥]. كانت ملتقى معظم الشخصيات السياسية

٢٩) د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٥٢١. تصدَّى داود بركات للملك فؤاد ودافع عن الشعب المصري فأمر الملك بتعطيلها. لكن وزير الأنباء لم يجرؤ على توقيع الأمر وتنفيذه، فتراجع الملك عن قراره. **صدى الارز**، «وثيقة من تاريخنا»، السنة الخامسة، العدد ٣٦، أيار ١٩٧٢، ص ٢.

٣٠) جورج كفوري، «الجبار الصريع»، **الأندلس الجديدة**، السنة الثانية، آذار ١٩٣٤، ص ١٩. أيضًا **روز اليوسف**، «سبحان موزع العقول، عادات الكتاب والجو الذي يكتبون فيه»، جريدة سياسية انتقادية مصورة، السنة الثالثة، المجلد ٣، العدد ١٣٧، ٣١ تموز ١٩٢٨، ص ١٦.

٣١) أمين الريحاني، **قلب لبنان**، سياحات قصيرة في جبالنا وتاريخنا، دار الجيل، الطبعة التاسعة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٤٦.

٣٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

٣٣) مجلة **كل شيء والدنيا**، المرجع السابق، ص ٥.

٣٤) جورج كفوري، المرجع السابق، ص ١٩.

٣٥) الفيكونت فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ص ٥٠.

والفكرية في مصر، تشهد مكاتبها يوميًا اجتماعات مهمة لرصد اتجاهات السياسة في مصر والمشرق العربي[٣٦].

قبل الحرب كانت خطة «الأهرام» الداخلية مصرية عثمانية: مصر للمصريين تحت سيادة الدولة العثمانية[٣٧]، سياستها الخارجية تميل إلى فرنسا وروسيا لأسباب داخلية ذاتية وعامة[٣٨]: الأسباب الذاتية أن فرنسا حمت مؤسس «الأهرام» من الخديوي اسماعيل باشا إثْر التنديد به يوم مدّ يده إلى الخزانة المصرية سنة ١٨٧٩ وكاد الخديوي أن يأمر بقتله. والأسباب العامة أن خطة فرنسا تطابق المرام بصداقتها التاريخية مع الباب العالي ومكافحة الإنكليز في وادي النيل[٣٩]. كان الخديوي يؤيد الصحف الوطنية كـ«الأهرام» و«المحروسة» فيما «المقطم» و«مصر» تؤيدان إنكلترا[٤٠].

مؤلفاته المنشورة

داود بركات من أغزر الكتاب إنتاجًا صحافيًّا وأدبيًّا وسياسيًّا، في مقالاته طيلة أربعين سنة في الصحف، وأبرزها في «الأهرام»، وخصوصًا تلك المتسلسلة تحت عنوان واحد، كافتتاحيات «الأهرام» بعنوان «من كلِّ نبعٍ قطرة ومن كلّ شجرة ثمرة» و«التعليم الاجباريّ» و«تعالَوا إلى كلمة سوَاء» و«ما رأت عيناي» و«الحق أحق أن يتبع».

أبرز مؤلفاته المطبوعة:

١. **تعالوا إلى كلمة سواء:** القاهرة، ١٩١٩.

صرخة ضدّ خلافات طائفية شاعت في مصر بتحريض الإنتداب الإنكليزي سبب حوادث مفجعة بين الأقباط والمسلمين خصوصًا عام ١٩٠٧ وفق مبدأ «فرِّق تَسُدْ». أطلق بركات شعار «ليس الدين في خطر بل

---

٣٦) د. مسعود ضاهر، المرجع السابق، ص ٢٨٠، هامش ٢٤.

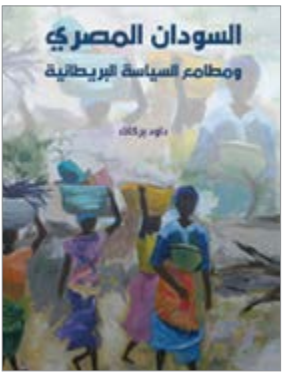
٣٧) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٦، الجزء ٣، يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨، ص ٢٧٣. أيضًا الفيكونت فيليب دي طرازي، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص ٥١. أيضًا **كل شيء والدنيا**، المرجع السابق، ص ٤.

٣٨) داود بركات، المرجع السابق، ص ٢٧٣. أيضًا الفيكونت فيليب دي طرازي، المرجع السابق، ص ٥١.

٣٩)

٤٠) داود بركات، المرجع السابق، ص ٢٧٣. أيضًا مجلة **كل شيء والدنيا**، المرجع السابق، ص ٤.

الوطن في خطر» وحذّر من «مضاعفة الداء وجهل الطبيب»[٤١]، وتصدّى للأمر بأسلوب وطني معتبرًا أن التحزّب للدين يشغل عن أداء الواجبات الوطنية وفي مقدمتها المطالبة بالجلاء وبالدستور[٤٢]، وعن حياة مصر السياسية وعلاقاتها بإنكلترا بعد ثورة أحمد عرابي التي انتهت سنة ١٨٨٢ بالاحتلال الإنكليزي. ودعا إلى نبذ انتداب بثّ روح التفرقة لبسط سيادته ووصايته وسياسته الاستعمارية المبطّنة. وحذّر من مطامع الإنكليز واليهود في الشرق بعامة وفي مصر بخاصة.





طبعتان من كتاب داود بركات

٢. السودان ومطامع السياسة البريطانية: المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٤.

واجه فيه مطامع الإنكليز ووصايتهم على مصر منكرين حقها في السودان وهو جزء منها، ومصر لا تستطيع أن تعيش سياسيًا وماديًا من دون السودان[٤٣]، معتبرًا أن العدو الحقيقي للمصريين هم الإنكليز، ويوصي بالاتحاد ضد الغاصب. دلّت الأحداث على صوابية رأيه وبُعد نظره إذ فشلت المحاولات مع الإنكليز وبُتِرَ السودان عن مصر[٤٤]، وإنكلترا منذ أكثر من ١٠٠ سنة تدسّ الدسائس لمصر حتى تمتلكها وتمتلك معها السودان[٤٥].

٣. البطل الفاتح ابراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢: المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤.

مقالات نشرها في «الأهرام» عن سيرة البطل الفاتح والقائد المصري ابراهيم باشا، مستاءً من جهل الناس هذا البطل. ويذكر

٤١) د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٣٠٨.

٤٢) د.ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٣٠٨.

٤٣) داود بركات، **المقتطف**، المجلد ٦٥، الجزء ٢، تموز ١٩٢٤، ص ٢٢٦. يعتبر داود بركات أن النيل داخل حدود مصر الطبيعية وهو ضمان استقلالها. أحمد وفيق، «داود بركات»، **الأهرام**، ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٤٤) عبد الله حسين، «مات أستاذنا الجليل»، **الأهرام**، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٤٥) داود بركات، **المقتطف**، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

توفيق وهبه[٤٦]: «هذا تعليل داود بركات، أما الواقع فأن رئيس «الأهرام» ربط مصيره السياسي بسياسة القصر الملكي فصادق الأُسرة المالكة وأخلص لأفرادها» بينما داود بركات كرّس حياته لخدمة سوريا ومصر[٤٧]. ولاحقًا جمع شقيقه بركات بركات تلك المقالات وأصدرها كتابًا في الذكرى السنوية الأُولى لوفاة داود[٤٨].

٤. **عَبَرات العِبَر**[٤٩]

٥. **تاريخ الثورة العَرَابية**[٥٠]

٦. **تاريخ المسألة المصرية**[٥١]

٧. **البغاء أو خطر العهارة في القطر المصري:** مطابع هندية، مصر ١٩٠٧.



أنطون الجميّل

وفيه كتب داود بركات أنه لم يقصد توقيع اسمه لكن صديقه الدكتور بورتغالس بك الاختصاصي بالأمراض الجلدية والزهرية كلّفه تعريبه من الفرنسية إلى العربية ففعل ذلك مجانًا»[٥٢].

احترافيَّته صحافيًا ومؤرِّخًا

اعتبر كثيرون أن داود بركات من أبرع صحافيّي العصر[٥٣]، وسياسي خبير عارف بدقائق

٤٦) جوزفين الغول، المرجع المذكور، ص ١٠، نقلا عن مقال لتوفيق وهبه في مجلة **الجندي اللبناني**، نيسان ١٩٧١.

٤٧) داود بركات، **البطل الفاتح** ...، المصدر المذكور، من مقدمة الكتاب لأنطون الجميل، ص س.

٤٨) المصدر السابق، «دمعة و عهد» للاستاذ بركات بركات، ص ك.

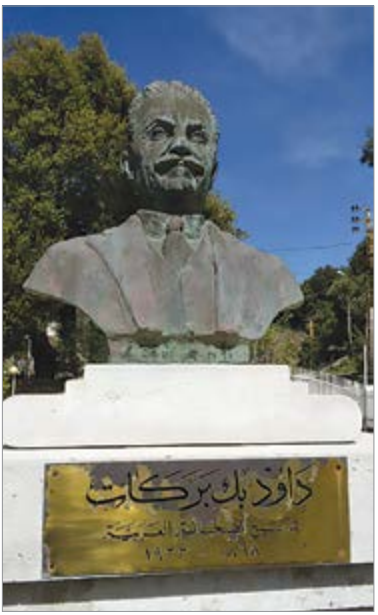
٤٩) ابراهيم معوض ومنير وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص ١٠.

٥٠) داود بركات، **البطل الفاتح**...، المصدر السابق، وفي مقدمة الكتاب لأنطون الجميل (ص ع) أن داود بركات اعتبر «حركةَ عرابي وطنيةً رائدُها الإخلاص»، **الهلال** السنة ٣٦، الجزء ٣، كانون الثاني ١٩٢٨، ص ٢٧٤.

٥١) داود بركات، المصدر السابق، ص ع

٥٢) يوسف اليان سركيس، «بركات داود أفندي»، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨، ص ٥٥٢.

٥٣) الياس زخورا، «الفاضل داود أفندي بركات رئيس تحرير الأَهرام»، **مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال في مصر**، مطبعة الياس زخورا، المجلد الثالث، مصر،



تمثال داود باشا في يحشوش – تمّ الاحتفال بإزاحة الستارة عنه في ٤ أيلول ١٩٨٨

الأمور وأسرارها[٥٤]. تولّى رئاسة تحرير «الأهرام» ٣٤ سنة فبرز كأبرع الصحافيين في الشرق ومن أعفّهم قلمًا وأقدرهم على استخراج نتائج الأحداث[٥٥]. امتاز بدقة النظر وسعة الاطّلاع لأنه «سياسي قدير وقف على أسرار السياسة الشرقية وعالج مشاكلها وقضاياها على ضوء مصالح مصر والعروبة والإسلام»[٥٦]، وكانت له مواقف قوية في سبيل القضية الفلسطينية[٥٧]. وعن نجيب كنعان أن لداود بركات دورًا رئيسًا في نشأة «جامعة الدول العربية» في مكاتب «الأهرام»[٥٨]. وأثبتَ تمسّكه بقوميته العربية أكثر من أي شخصية سياسية أو فكرية أخرى معاصرة أم لا[٥٩]. كان في سياسته على مذهب الحزب الوطني[٦٠]: أخلص له ولعقيدته، ثم أيّد سعد

١٩١٦، ص ٣٤.

٥٤) اسكندر شاهين، «في موضوع جمعية الأُدباء في «سپلنديد بار» – القاهرة»، **مجلة سركيس**، السنة السادسة، المجلد ٦، العدد ٢٠، تشرين الاول ١٩١٢، ص ٥٩٤. أيضًا، الياس زخورا، المرجع السابق، ص ٣٤.

٥٥) د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٥٢١.

٥٦) يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الادبية**، المرجع السابق، ص ١٧٨.

٥٧) عبد القادر المظفر، **الأهرام**، تشرين الثاني ١٩٣٣.

٥٨) د. مسعود ضاهر، المرجع السابق، ص ٢٨١، هامش ٢٤.

٥٩) د. مسعود ضاهر، المرجع السابق، ص ٢٨١، هامش ٢٤.

٦٠) د. ابراهيم عبده، **جريدة الإهرام**، المرجع السابق، ص ٥٢١. كان داود بركات يتمثّل بقول مصطفى كامل: «لو لم أُولَد مصريًا لوددت أن أكون مصريًا». عيسى اسكندر المعلوف، «الصحافي المرحوم داود بك بركات»، **المنارة**، مجلة دينية علمية أدبية تاريخية، السنة الخامسة، العدد الثاني، شباط ١٩٣٤، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونيه لبنان، ص ١٣١. و«الحزب الوطني»: حركة ترأّسها مصطفى كامل باشا طالبَت بالجلاء البريطاني عن مصر وضمِّ السودان إليها كما كان القطران قبل محمد علي وفي عهود خلفائه حتى اسماعيل. يوسف السودا، **في سبيل الاستقلال**، دار النهار، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص ١٦ و ١٧. أيضًا أسعد عقل، «داود بركات في ذكراه الثانية والعشرين»، **مجلة الحكمة**، السنة ٤، العدد ٢، كانون الاول ١٩٥٤، ص ٣٧. أيضًا رثاء داود بركات مصطفى كامل باشا، **الأهرام**، ١١ شباط ١٩٠٨. أيضًا د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٣٢٣–٣٢٥. حول برنامج «الحزب الوطني»: د. سعيد اسماعيل



تمثال داود بركات
في باحة جامعة سيدة اللويزة

زغلول وحزب الوفد[٦١] في مطالبه الاستقلالية فكان داعية الروح الوطنية والتضحية والإقدام. كما أخلص للبنان ومصر مدافعًا من خلالهما عن القضية المصرية والقضية السورية[٦٢].

وهو مؤرخ دقيق : كتب عن نهضة مصر الحديثة بعد ابراهيم باشا، وعن الثورة العربية في الحجاز (١٠ حزيران ١٩١٦) وحوادث السودان، كما حلّل السياسة الإنكليزية في الشرق ولا سيما في مصر. وكان من أكثر الصحافيين نفوذًا في السياسة المصرية[٦٣] يوجّه الرأي العام والحكومات[٦٤].

وكان مكتبه في «الأهرام» مجتمعًا أدبيًا للساسة والكتّاب[٦٥]، يحسن استقبالهم ببشاشته ولطفه، فأجمع الناس على حبه واحترامه. وكان الوزراء يقصدونه للتداول معه حول العديد من القضايا الكبرى[٦٦] آخذين برأيه ونصائحه[٦٧] في المسائل الهامة.

علي، **المجتمع المصري من عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢–١٩٢٣**، البناء الاقتصادي وقوى التشكيل السياسي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٤٧٧–٤٧٨.

٦١) أسعد عقل، المرجع السابق، ص ٣٧. بخصوص «حزب الوفد»: د. سعيد اسماعيل علي، المرجع السابق، ص ٥١٣–٥٢٨.

٦٢) جورج كفوري، المرجع السابق، ص ١٩.

٦٣) د. مسعود ضاهر، المرجع السابق، ص ٢٨١، هامش ٢٤.

٦٤) د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٥٢١. لعب بركات دورًا هامًا في مصر ونال إعجاب الهيئات الرسمية والشعبية فكان مرجعًا لحكومات تشكّلت في مكتبه ومنه كانت تعلن استقالتها. **صدى الارز**، المرجع السابق، ص ٢. و«خطاب الأستاذ داود سعادة»، **الأندلس الجديدة**، السنة الثانية = آذار ١٩٣٤، ص ١٤. أيضًا مجلة **المعرض**، «تذكارات مصر، جريدة الأهرام»، العدد ١٩، أيار–آب ١٩٢٧، ص ٢٣. وإبان إعلان بريطانيا حمايتها على مصر كتب داود بركات مقاله «مصر تطلب صديقًا وتأبى أن يكون لها سيّد»، مدافعًا عن القضية المصرية بوجه الكولونيل سميث. مجلة **كل شيء والدنيا**، المرجع السابق، ص ٤.

٦٥) عيسى اسكندر المعلوف، **المنارة**، المرجع السابق، ص ١٣٠.

٦٦) مجلة **سيدة لبنان**، «الحياة المسيحية، داود بركات الصحافي الشهير وفقيد الخير والإحسان»، السنة الثانية، العدد ٢، شباط ١٩٣٤، ص ٥٧.

٦٧) عرف وزير يومًا أن داود بركات لا يأتي إلى الجريدة قبل الواحدة بعد الظهر، فأوقف مساعده على باب «الأهرام» يطلب له موعدًا من بركات عند وصوله، وإذا كان يعجز عن زيارة الوزير يأتي الوزير إليه. راجع مجلة **كل شيء والدنيا**، المرجع السابق، ص ٤٤.

شخصيته

كان مكتبه مقصد الكتّاب والموظفين والأغنياء والفقراء وذوي الحاجات، يجيب كل سائل وينصح كل طالب ويهب كل محتاج[٦٨]. أخلص لأنسبائه وساعد كثيرًا العائلات المحتاجة بمبالغ شهرية كأنها واجب عليه[٦٩]. ودعا إلى مساعدة الجمعيات الخيرية، وأبرزها «الجمعية الخيرية الإسلامية» و«الجمعية الخيرية المارونية»، ودعم مشاريع الخير في مصر ولبنان[٧٠].

لبنانيته

عملَ داود بركات للبنان في الوطن والمهجر[٧١]، و«حمل لبنانيته في قلبه وعلى كتفيه»[٧٢]، فكان «سفارة لبنان في مصر، ينفق من ماله وعلْمه على سمعة وطنه التاعس ورفاهيته، ويحوطه بعناية وحب وتضحية قلّ أن عرفها أحد في غيره»[٧٣]. كتب الصحافي ابراهيم سليم النجار: «كان داود لبنانيًا في روحه وأخلاقه وذوقه وعاداته وتقاليده وحركاته. اشتغل للقضية الوطنية المصرية وعلى تحقيق آمال وطنه الأول، فعملَ مع اللبنانيَّيْن الكبيرَيْن يوسف السودا وأنطون الجميّل متحدَّيْن متضامنَيْن لقضية لبنان عبر جمعية «الاتحاد اللبناني» طيلة خمسة عشر عامًا»[٧٤].



الرئيس الشيخ بشارة الخوري

وعى عظمة لبنان العريق، وشبَّهه بـ«سنديانة بلدته يحشوش التي كان يتغنى ويحنُّ إليها ويتَّخذها رمزًا على الوطنية والمجد اللبناني»[٧٥] ووعى أن

٦٨) مجلة **سيدة لبنان**، المرجع السابق، ص ٥٩.

٦٩) المرجع السابق، ص ٥٩.

٧٠) عبد الله حسين، «مات أستاذنا الجليل»، **الأهرام**، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٧١) ابراهيم سليم النجار، **الأهرام**، ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٣، نقلا عن النهار ٨ تشرين الثاني ١٩٣٣. أيضًا مجلة **المعرض**، «فقيد لبنان والصحافة العربية، المرحوم داود بك بركات رئيس تحرير الأهرام»، العدد ٣٧، أيار–تموز ١٩٣٤، ص ١٨.

٧٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

٧٣) بشارة خليل الخوري، **الأهرام**، ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٧٤) ابراهيم سليم النجار، **الأهرام** ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٣ نقلا عن **الأحوال**، ٩ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٧٥) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٣٤٥.



حديقة داود بركات في يحشوش، بعناية البلدية



حياة اللبنانيين لا تقوم إلاّ على روح التعاون[٧٦] التي تضمن للبنانيين وجودهم وتجعل جبلهم الصغير في الأرض كبيرًا في التاريخ[٧٧]. و«كان في وطنيته اللبنانية سنديانيًّا، وكان له في الدفاع عنها قلم شريف عفيف، تنزَّه عن المقاذعات والمهاترات، ولم يُثِرْ في الناس الفتَن والنعرات الطائفية، ولا تاجر بالمبادئ السياسية والنهضات اللبنانية، ولا استثمر الجهل والتعصّب كما فعل غيره من الصحافيين المتزعمين في المهجر وفي الوطن»[٧٨]. ترأَّس «الاتحاد اللبناني»، ثم «الجمعية الخيرية المارونية» فعززت معه مدارسها وخدماتها الاجتماعية للجالية اللبنانية[٧٩].

٧٦) داود بركات، «العيد الخمسون لمدرسة الحكمة»، **يوبيل مدرسة الحكمة، ١٢٥ سنة**، بيروت ٢٠٠٠، ص ١١٢.

٧٧) المصدر السابق، ص ١١٢.

٧٨) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

٧٩) أسعد عقل، المرجع السابق، ص ٣٨. أنظر ملحق رقم ٢.

نشاطُه المتعدِّد:

١) أسس نقابة الكتاب للمصريين[٨٠].

٢) دعا إلى تأسيس نقابة الصحافة المصرية وكان من أبرز مؤسسيها[٨١].

٣) أسس ونخبة من اللبنانيين جمعية «الاتحاد اللبناني» وترأَّسها[٨٢].

٤) أسس وكبار الجالية السورية حزب «الاتحاد السوري»[٨٣].

٥) مؤسس «جمعية الاتحاد السوري العلمية»[٨٤].

٦) عضو المجمع العلمي العربي في دمشق[٨٥].

٧) أسس مع رفاق له «الجمعية اللامركزية الإدارية العثمانية»[٨٦].

٨) ترأس «جمعية المساعي الخيرية المارونية» في القاهرة[٨٧].

٩) ساهم بتأسيس «الجمعية المارونية للسيدات»[٨٨].

١٠) من مؤسسي «جمعية رابطة الأَدب العربي»[٨٩].

١١) ساهم في تأسيس «رابطة الطلبة للاصلاح الاجتماعي»[٩٠].

---

٨٠) عيسى اسكندر المعلوف، **المنارة**، المرجع السابق، ص ١٣١.

٨١) يوسف أسعد داغر، المرجع السابق، ص ١٧٩.

٨٢) المرجع السابق، ص ١٧٨.

٨٣) د. عصام خليفة، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، دار الجيل، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٥، ص ٩٩. أيضًا شفيق جحا، **معركة مصير لبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩١٨–١٩٤٦**، الجزء الاول، الطبعة الاولى، مكتبة رأس بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٤. أيضًا الياس زخورا، المرجع السابق، ص ٣٥.

٨٤) جوزفين الغول، المرجع السابق، ص ١٤.

٨٥) عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية**، مطبعة الترقّي، دمشق، ١٩٥٧، ص ١٣٥.

٨٦) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩٨، ص ١٩٠.

٨٧) عيسى اسكندر معلوف، **المنارة**، المرجع السابق، ص ١٣١. أيضًا **الأهرام**، ١١ تشرين الثاني ١٩٣٣، ص ٨.

٨٨) **الأهرام**، «من الجمعية المارونية للسيدات»، ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٨٩) عيسى اسكندر المعلوف، **المنارة**، المرجع السابق، ص ١٣١. أيضًا **الأهرام**، ٧ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٩٠) مصطفى الحفناوي، **الأهرام**، ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٣، من الجامعة المصرية.

١٢) أحد أبرز مؤسسي «جمعية الادباء» في القاهرة[٩١].

١٣) حرر في الجرائد الاتية[٩٢]: «النيل» – «القاهرة» – «المحروسة» – «الاخبار» – «الأهرام».

غيابه في مصر – تكريمه في يحشوش

في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٣ ساءت صحة داود بركات فجأةً، فاستُدعيَ طبيبه الدكتور محجوب تابت على عجل. وبوصوله بادر المحتضِر: «داود، لا تخف...»، ففتح عينيه وأطلق ابتسامةً واهنة، وأجاب: «... ومتى عهدتني جبانًا»[٩٣]، وأغمض عينيه إلى الأبد[٩٤]، ومشت وراء نعشه مصر بكاملها[٩٥]، أسفًا على سكوت قلمه عن أسرار السياسة والاجتماع في حقبة مليئة بمفاجآت الشرق[٩٦]، وسكتت معه صورة تاريخية من الأدب والوفاء والعطاء[٩٧].

في ٤ أيلول ١٩٨٨ احتفلت بلدُتُه يحشوش بإزاحة الستارة عن تمثاله، تقدمة الدولة المصرية[٩٨] تقديرًا عطاءَه مصرَ ولبنان بمسؤولية نادرة. وقد نال بركات أوسمة كثيرة مصرية منها النيشان المجيدي الثالث[٩٩]، وفرنسية ووسامي الاستحقاق اللبناني والسوري[١٠٠].

خُلاصة عامّة

شكّلت «الأهرام» منبر داود بركات لعرض أفكاره الاصلاحية في السياسة والتربية والاجتماع والاقتصاد، ومصدر معلومات لتكوين رأي بنّاء

٩١) اسكندر شاهين، **مجلة سركيس**، المرجع السابق، ص ٥٩٤.

٩٢) داود بركات، **الهلال**، السنة ٣٨، الجزء ٧، مايو (أيار) ١٩٣٠، ص ٧٩٠.

٩٣) طاهر أحمد الطناحي، المرجع السابق، ص ١٦٢.

٩٤) داود سعادة، **الاندلس الجديدة**، المرجع السابق، ص ١٦، وهو الخطيب الرسمي لجمعية «أرزة لبنان».

٩٥) أمين الغريب، «لو عاش داود بركات في لبنان»، **النهار**، ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٩٦) محمد سليمان، «في ذمة الله يا داود»، **الأهرام**، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣.

٩٧) د. ابراهيم عبده، المرجع السابق، ص ٥٢١. الملحق رقم ٣.

٩٨) جوزفين الغول، المرجع السابق، الفصل الثالث: داود بركات، وفاته ورثاؤُه، بدون ذكر الصفحة.

٩٩) الياس زخورا، المرجع السابق، ص ٣٥.

١٠٠) عيسى اسكندر المعلوف، **المنارة**، المرجع السابق، ص ١٣١.

في خدمة مصر ولبنان خصوصًا، وشعوب المنطقة العربية عمومًا.

وهو تدرّج بمطالبه السياسية وفق الظروف: بدأ باللامركزية الإدارية منذ صدور الدستور العثماني (١٩٠٨) لإظهار حقوق العرب في مواجهة عملية التتريك، وتجلّى ذلك في المؤتمر العربي الأول (باريس – ١٩١٣) بمشاركة حزب «الاتحاد اللبناني». ومع بدء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) تمسّك بوضْع جبل لبنان الخاص والمستقلّ، وبامتيازاته وضمانة دولية تحافظ عليه طوال عهد المتصرفية، تجنُّبًا مآسيَ وحروبًا وأزمات إقتصادية يعجز الجبل عن مواجهتها. وإبان الحرب طالب باستقلال جبل لبنان وضمّ أراضيه المسلوخة عنه إليه كونها حقوقًا تاريخيّة وجغرافيّة وطبيعيّة كانت السلطنة العثمانية انتزعتها منه في ظروف تاريخية محلية وخارجية دقيقة فأضعفت لديه مقومات الصمود تمهيدًا لسقوطه وإعادته إلى سلطتها.

وحين تعاظم التنافس الفرنسي والبريطاني (للحصول على مناطق نفوذ في المنطقة العربية) وتضاربت مصالح الدولتين بعيدًا عن أماني الشعوب وحقّها في تقرير المصير، واجه داود بركات التطوّرات السياسية دون تخلّيه عن مطالبته باستقلال لبنان، عبر انتسابه إلى حزب «الاتحاد السوري» ودعوته إلى وحدة سوريا الطبيعية مستقلّة بضمانة الدول الكبرى مع إبقاء لبنان مميّزًا مستقلاً بحدوده التاريخية والطبيعية. وبتعاطيه السياسة لم يغفل خصوصيّات المنطقة والمعطيات الدوليّة وموازين القوى فتفاعل مع الاحداث وطرح «كيمياء سياسية» بين «الاتحاد اللبناني» و«الاتحاد السوري» وحافظ من خلالها على استقلال لبنان وارتباطه بعمقه المشرقيّ والعربيّ، لبننةً في إطار العروبة.

تأثّر داود بركات بالحضارة الغربية عُمومًا، في نزعة إنسانية مرتبطة بمبادىء الثورة الفرنسية الكبرى في المساواة والحريّة والاخاء. وتميّز بثقافة إنسانية شاملة، فطالت مُطالبته بالاستقلال وبالتحرّر جوهر الإنسان وترقّيه من الانقياد والاستسلام إلى اتخاذ موقف ومبادرة رغم الصعوبات والتحدّيات.

هكذا خاض معركة استقلال الكيان اللبناني، جغرافيًا وسياسيًا، على قاعدة قانونية وتاريخية بضمانة الدول وقناعته بانتماء لبنان حضاريًّا وسياسيًّا إلى البيئة العربية انطلاقًا من سوريا مستقلّة، فظهرت بذلك شخصيته كرجل الدولة. وهكذا التزم بقضايا العرب واستقلالهم، وجابه أخطار الاستيطان اليهودي في فلسطين، فظهرت لديه نظرة شمولية رصينة لمستقبل المنطقة، قائمة على ثوابت استراتيجية تعتبر استقلال لبنان جزءًا عضويًّا من استقلال العرب ولا يتناقض معه.

سياسيًا عملَ بركات على نزع الفتيل الطائفي واعتماد العلمنة حلاًّ جذريًّا لمشاكل الشرق المزمنة، وسبيلاً إلى وطنية حقيقية منبثقة من اشتراكية عادلة تلغي الفوارق الاجتماعية والتمييز العنصري، وتهدف إلى إصلاح شامل في المجالات الاقتصادية والثقافية والتربوية والسياسية، وتحققُ الحريّة والمساواة والعدالة والإخاء.

صحيح أنه التقى مع البطريركية المارونية على تحقيق لبنان الكبير، لكنه خالفها حول نوعية الاستقلال وعلاقته بفرنسا والعرب، والمرتكزات الأساسية لمؤسّسات الدولة السياسية والاجتماعية. ذلك أن بركات ذو فكر تغييري نهضوي يرمي إلى تأسيس وطن على أسس المواطنة الصادقة والديمقراطية الصحيحة. ومتابعته الأحداث بثقافته الإنسانية كوّنت لديه فكرة ضرورة فصل الدين عن الدولة واعتناق الجنسيّة الوطنيّة دينًا ودستورًا للحياة السياسية كما في أوروبا. ورأى أنّ كل وطن لا يقوم بنيانه على هذا الأساس سائر إلى الزوال بتآكله من الداخل وهجرة أبنائه لتفضيلهم قسوة الترحال على دسائس الفتن والحروب.

وتطرَّق داود بركات إلى مشاكل الشرق، إيمانًا منه بأهميّة الإنسان ودوره الريادي في الحفاظ على الوطن والدفاع عنه. لذا طالب بإلزاميّة التعليم ومجانيّته وتطوير المناهج التربوية وتفعيل دور المرأة بإعطائها حقوقها حتى تتمكّن من القيام بدورها الإيجابي والفاعل في المجتمع. وشدّد على النهوض الاقتصادي لمواجهة الأزمات والتغلّب عليها منعًا لخضوع اقتصادي يستتبع ارتهانًا سياسيًا.

ورأى إلى التعددية الدينية في الشرق مصدر غنى حضاري يؤمّن تفاعلاً إنسانيًا راقيًا، ضدّ تفسير النص الديني مغلوطًا، وضد ممارسات بعض رجال الدين بعيدًا عن جوهر الأديان ومقدساتها ومستلزماتها الإنسانية، وهي ممارسات تقسّم المجتمع عموديًّا وتضع الشرق في مواجهات عقيمة ومخزية تؤدّي إلى خضوعه وانصياع أبنائه للأفكار المتخلّفة. ولم يقتصر عمل داود بركات على الشرق وحده، بل دعا إلى الحفاظ على تراث الشعوب واحترام الأديان جميعًا وخصوصيّات الأقلّيات. وكان رائدًا في طرحه، منذ أوائل القرن العشرين، أفكار عولمة حقيقية إنسانية وحضارية تقوم على احترام الإنسان واستشراف مصيره.

*) «مرايا التُراث» تشكُر رئيس بلدية يحشوش الأُستاذ كارل زوين على مدِّها بصُوَر البلدة وبيت داود بركات وتمثاله والحديقة العامة على اسمه.

Again I say the life of the language, its unification, its propagation and all that has any relationship to it have been and will always be the product of the poets' imaginations. But do we have poets?

Yes we do have poets, and every Easterner can be a poet in his field, in his garden, before his loom, in his temple, on his pulpit, and in his library. Every Easterner can free himself from the prison house of imitation and tradition and come out to meet the sun and walk in the procession of life. Every Easterner can submit to the power of innovation that lies hidden in his soul—that eternal power that transforms rock to God's children.

As for those who have devoted themselves to versifying and setting in prose their talents, to them I say: Let your personal aims prevail over your attempts to follow the tracks of those who preceded you, for it is better for you and for the Arabic language to build a poor hut made of your humble selves than to erect a lofty palace made of your borrowed selves. Let your self-esteem prevent you from composing eulogies, elegies, and occasional poems, for it is better for you and for the Arabic language to die despised and cast out than to burn the incense of your hearts before the idols and the monuments. Let your national zeal spur you to depict the mysteries of pain and the miracles of joy that characterize life in the East, for it is better for you and for the Arabic language to adopt the simplest events in your surroundings and clothe them with the fabric of your imagination, than to translate the most beautiful and the most respected of what the Westerners have written.

***

Portions of "The Future of the Arabic Language" appeared in the November 2010 issue of *Words Without Borders*: The Online Magazine for International Literature (link here) and in *Tablet & Pen: Literary Landscapes from the Modern Middle East*, ed. Reza Aslan (New York & London: W.W. Norton & Co., 2011, pp 6 – 11) (Note that it is the opening piece in that anthology.)

By poet, I mean that worshipper who enters the temple of his own soul and kneels down crying of joy, wailing, rejoicing, listening. And when he comes out, his lips and tongue articulate nouns, verbs, letters, and new meanings for the various patterns of his own adoration which renew themselves every day, and for the many types of his own supplications that change every night. Thus he adds with this effort a silver string to the lute of the language and a perfumed branch to its hearth. The imitator, on the other hand, is the one who repeats the worshippers' prayers and their supplications without an act of will on his part, without even an emotion, and thus leaves the language where he finds it and keeps his personal rhetoric where there is neither rhetoric nor distinctive character.

By poet, I mean that lover who, when he falls in love with a woman, his soul isolates itself and walks away from all that is human in order to drape his dreams with embodiments of the day's splendor, the night's terror, the tempests' rage and the valleys' calm, then goes on to fashion from its experiences a wreath to grace the head of the language, and mold from its contentment a necklace to adorn its neck.

The imitator, on the other hand, is the one who copies others even when he loves, or flirts or celebrates his beloved in verse. So if he happens to describe his beloved's face or neck, he says "moon" and ""gazelle"; if he thinks of her hair, her figure and her glances, he says "night," "bent branch," and "arrows"; and if he complains about his love, he says "a sleepless eyelid," ""a distant dawn," and "close rebuker"; and if he decides to come up with a rhetorical feat, he will say "my beloved sheds tears of pearls from her narcissus eyes in order to water her roseate cheeks, and bites her fingers of gum-Arabic, with her hail-like teeth."

I have talked about the "innovative" and its benefits and the "barren" and the harm that comes from it, but I have yet to mention those who spend their lives writing dictionaries and founding language academies. I have not said a word about them because I believe that they are like the beach between the ebb and the flow of the language and that their job is limited to functioning like a sieve. Now sifting is a good job, but what can the sifter possibly sift if the nation's innovative power plants only chaff and harvests only straw, and hoards in its threshing floors only thorn and thistle?

transfers what the world of the soul conceives to the world of research, and what the world of thought determines to the world of retention and writing.

The poet is both the father and the mother of language; language travels the same roads he travels and stops to rest where he stops to rest, and if the poet dies, language sits on his grave crying over the loss, wailing until another poet passes by and extends his hands to it. And if the poet is both the father and the mother of language, the imitator is the weaver of its shroud and the digger of its grave.

By poet, I mean every inventor, be he big or small, every discoverer, be he strong or weak, every creator, be he great or humble, every lover of pure life, be he a master or a pauper and everyone who stands in awe before the day and the night, be he a philosopher or a guard at a vineyard. The imitator, on the other hand, is the one who does not discover or create anything, but rather the one whose state of mind is borrowed from his contemporaries and whose conventional garments are made from the tatters of garments worn by his predecessors.

By poet, I mean that farmer who plows his field with a plow that differs, however little, from the plow he inherited from his father, in order that someone will come after him to give the new plow a new name; I mean that gardener who breeds an orange flower and plants it between a red and yellow flower, in order that someone will come after him to give the new flower a new name; or that weaver who produces on his loom patterns and designs that differ from those his neighbors weave, in order that someone will give his fabric a new name. By poet, I mean the sailor who hoists a third sail to a ship that has only two, or the builder who builds a house with two doors and two windows among houses built with one door and one window, or the dyer who mixes colors that no one before him has mixed, in order to produce a new color for someone who arrives later on to give the ship of the language a new sail, the house a new window, and the garment a new color.

As for the imitator, he is the one who travels from place to place on the roads that a thousand and one caravans have traveled, making sure he does not deviate from his course for fear he will get lost; he is the one who earns his living, eats, drinks, and wears the clothes of a thousand generations before him, and so his life remains a mere echo, his whole being a mere shadow of a distant truth he neither knows anything about it, nor cares to know.

Language, like all other things, subscribes to the rule of 'the survival of the fittest,' and the dialects have in them much of what it takes to survive and last, because they are close to the concept of 'nation' and to the goals of its public self. When I say that much of what is in them will last, I mean that the dialects will meld with the body of the language and become part of its whole.

All the languages of the West have their own dialects, and those dialects possess literary and figurative qualities full of beauty and innovation. In Europe and America there is a group of gifted poets who have been able to reconcile the literary and the colloquial in their poems and produce eloquent and effective verse. And I believe that our colloquial genres, such as the "*mawwal*," the "*zajal*," the "*ᶜataba*," and the "*maᶜanna*," are full of new metaphors, metonymies, and innovative and inventive turns of phrase, which when placed next to those *fusha* poems which fill the pages of our papers and magazines, they will appear as a bouquet of fragrant flowers next to a pile of firewood, or like a bevy of undulating dancers before a group of mummified corpses.

Modern Italian was but a dialect in the Middle Ages, and the elite called it the language of the riff-raff. But when Dante and Petrarch and Francis of Assisi fashioned their glorious poems and *muwashshahas*, that dialect became Italy's classical language, while Latin reverted to a skeleton carried in a coffin on the shoulders of the reactionaries.

Nor are the colloquial languages in Egypt, Syria, and Iraq that far away from the language of al-Ma'arri and al-Mutanabbi, and the language of the Italian reactionaries was not far away from the language of Ovid and Virgil.

And so, if a great Middle Eastern writer writes a great book in one of the dialects, this dialect will become a classical language. I doubt, however, this will happen in the Arab World because the Easterners are more inclined to the past rather than the present or the future.

6. What is the best means to revive the Arabic language?

The best and only means is to be found in the poet's heart, on his lips, and at his fingertips. The poet is the mediator between the power of invention and humanity. He is the cable that


٤٨٩ مستقبل اللغة العربية

مستقبل اللغة العربية

والعالم العربي ـ ٤

ردود المستشرقين وادوبا على استفتاء الهلال

[خلال] شهر في هذه الغرة على ابراد رد الكتاب الثلاثة جبران خليل جبران ، وفي الغرة الثالثة ان شاء الله ذكر من بقية الردود

رد جبران خليل جبران

نابغة الشرق

(١) ما هو مستقبل اللغة العربية ؟

أيا اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الامة ، أو دليلها العلمة ، فاذا هجمت قوة الابتكار توقفت اللغة عن سيرها ، وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الموت والاندثار

اذاً فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر الخلاق ـ أو غير الخلاق ـ في مجموع الامم التي تتكلم اللغة العربية . فاني كلما وجد الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كالفكر ، وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية

The first original page (489) of Gibran's text as published in "Al.Hilal" (March 1920).

stay closer to what they know and what they comprehend.

As proof of our Eastern sense of gratitude, we may be politically inclined towards our nation which has offered us free education, but what kind of emotion is this that builds, on the one hand, a stone and destroys a whole wall, on the other? What kind of emotion is this that breeds one flower and uproots a whole forest? Indeed what kind of emotion is this that gives us life for a day and death for a whole lifetime?

The real Western philanthropists and benefactors did not put fish bones and thorns in the bread they sent to us; they definitely tried to benefit us, not harm us. Yet from where did those thorns and those fish bones come from? How were they bred? This is another matter which I will leave for another occasion.

There is no doubt that Arabic will spread in all our schools and that all the sciences will be taught in Arabic, thus unifying our political leanings and crystallizing our national objectives. But this will not be achieved until we are able to teach our youth at our nation's expense, until the individual, the son of one nation instead of two opposing ones – one for the soul and one for the body – this will not be achieved until we exchange the free bread that we received with bread kneaded in our own home, because the beggar is in no position to set conditions on his benefactor, and he who places himself in the position of a recipient of favors, is in no position to oppose the generous donor. The one who takes is always bereft of his will and the one who gives is always endowed with choice.

5. Will Fusha be victorious over the various dialects? Will it be able to unify those dialects?

The dialects are changing and getting refined; their rough spots are being leveled smooth, but they will not be vanquished, nor should be vanquished because they are the source of what we call literary Arabic and the origin of what we consider eloquent.

Therefore the influence of political development in the Arab countries will change these countries' confusion into order and their ambiguities and their problems into harmonious organization. But it neither alters their boredom to passion nor to excitement. For the potter may be able to fashion from clay a jug for wine or vinegar, but he cannot fashion anything from sand and pebbles.

4. Will the Arabic language spread in all the schools and colleges and will the sciences be taught in Arabic?

Arabic will not spread in these schools and colleges until they assume a pure national character and the sciences will not be taught in them until instruction is no longer handled by philanthropic organizations, sectarian committees and religious missions and placed in the hands of local governments.

In Syria, for example, education came to us from the West in the form of charitable gifts, and we were then and still are devouring the bread of these gifts because we were hungry, famished. That bread kept us alive but when we became alive, that same bread brought about our death. It kept us alive because it awakened our mental faculties and altered our minds a little, but it also brought about our death because it divided us, weakened our unity, severed our ties and widened the gaps among our sects, so much so that our countries reverted to groups of tiny colonies with different tastes and opposing viewpoints, each colony seeking the protections of one Western nation or another, raising its banner and singing its virtues and glories. The young men, who had a morsel of education from an American school, became American apologists; those who had a sip of education from a Jesuit school became French ambassadors; and those who wore shirts from the looms of a Russian school became Russian representatives, and so too all those other schools that graduated all those other representatives, ambassadors and apologists. And the best proof of all of this is the difference in opinion, the dissension among groups, and their disagreement over the political future of Syria. For those who studied some of the sciences in English want America and Britain to be the trustees of their country, while those who studied the science in French ask France to look after them, and those who did not study in either language do not want either country, in order to

Westerners were behind, our civilization had a great influence on their languages. But now, since they are in the front and we have lagged behind, their civilization has necessarily exerted great influence on our language, our thinking and our morality.

Whereas the Westerners in the past consumed what we cooked, partaking of our food, swallowing it, and transforming what was useful to their very being, the Easterners, at present, consume what the Westerners cook; they swallow their food, but it does not become part of their being. Rather, it transforms them into something similar to their counterparts in the West. This is a result that I fear and complain about because it presents the East, at times, as an old man who has lost his molars and at other times, as an infant who has not yet sprouted them.

The Western Spirit is at once our friend and our enemy. It is a friend if we can vanquish it and an enemy if it can vanquish us, a friend if we can open our hearts to it, and an enemy if we offer it our hearts, a friend if we borrow from it what suits us and an enemy if we place ourselves in situations that suit it.

3. What influence does the present Arab political scene have on our language?

All writers and thinkers in both the East and the West agree that the Arab countries are in a state of political, psychological, and administrative confusion, and most of them agree that this confusion is the harbinger of destruction and extinction. I, however, ask: Is it confusion or boredom?

If it is boredom, it will spell the death of every nation and the end of every people. Boredom is dying in the form of drowsiness, and death in the semblance of sleep. And if it is in reality, confusion. I believe that confusion is always useful because it brings to light that which was hidden in the nation's soul, changing this soul's intoxication to sobriety and its stupor to wakefulness, precisely the way a powerful storm shakes the trees, not to uproot them, but to break their dead branches and scatter their yellow leaves.

And if confusion appears in a nation that still possesses some inborn qualities, that will be the plainest proof of the presence in its individuals of the power of invention and the power of initiative in its public soul. Is not mist the first word in the book of life, not the last? And what is the mist save a life rife with confusion?

and expanded his talents because the Arabs then were in a state of growth and expansion. In the post-classical period the poet split his loyalties because the Islamic nation was in a state of disunion. And the poet kept on progressing, ascending and changing his color, appearing at times as a philosopher, at other times as a physician, and at still other times, as an astronomer, until the Arabic language was lured to drowsiness and then to sleep. And in its deep sleep the poets reverted to versifiers; the philosophers metamorphosed into scholastic theologians, the physicians into quacks; and the astronomers into fortune-tellers.

If the above is correct, the future of the Arabic language is closely tied to the power of invention in all the nations that speak Arabic. And if those nations together were possessed of a private self or unity of spirit, and if the power of invention in that self were to wake up after a long sleep, the future of the Arabic language would be as glorious as its past. And if not, it will not happen.

Influence, however, is but a kind of food that language receives from the outside. It chews on it and swallows it, transforming what is suitable of it into part of its living essence, just as the tree transforms light and air and the elements of soil into branches, then leaves, then buds, then fruit.

But if the language has no teeth to chew with, and no stomach to digest with, the food then will go to waste, or rather revert to lethal poison. And how many a tree is able to outwit life when growing in the shade, but when moved to sunlight, wilts and dies? And it is written: "For whoever has, will be given more, and they will have abundance. Whoever does not have, even what they have will be taken from them."

2. What kind of influence would the European Civilization and the Western Spirit have on it?

As for the Western Spirit, it is but a stage in man's life and a chapter of his existence. For man's life is a formidable procession that forever moves forward. And out of that golden dust arising from the roads he travels, languages, governments and sects are fashioned. The nations that walk in the forefront of this procession are the inventive ones, and that which is inventive is that which influences. On the other hand, the nations that walk last in the procession are the ones that imitate, and the imitator is the one who is influenced. So when the Easterners were ahead and the

The Future of the Arabic Language by Kahlil Gibran

Translated by Adnan Haydar

In a survey conducted by Al-Hilāl magazine, responses were solicited from a number of writers on the topic of "The Future of the Arabic Language." Al-Hilāl published their responses in consecutive issues of the magazine. Gibran's response appeared in the 1920 March issue, pp. 489-496. Later on, the complete text appeared in Gibran's last Arabic book, Al-badā'iʿ wa al-ṭarā'if (The New and the Marvellous), published by Maktabat Yusuf al-Bustany, Cairo, 1923. That was the year Alfred Knopf published Gibran's The Prophet in New York.

1. What is the future of the Arabic language?

Language is but one manifestation of the power of invention in a nation's totality or public self. But if this power slumbers, language will stop in its tracks, and to stop is to regress, and regression leads to death and extinction.

Therefore, the future of the Arabic language is tied to the presence or absence of invention in all the countries that speak Arabic. Where invention is present, the future of the language will be glorious like its past, and where it is absent, the future will be like the present of its two sisters—Syriac and Classical Hebrew.

And what is this power we call invention?

It is the nation's resolve to move ever forward. It is in the nation's heart, a hunger and thirst for the unknown, and in its soul a chain of dreams that the nation seeks to realize day and night, and every time one of the links in the chain is realized, life adds another one. It is, for that individual, a yearning for brilliance and for the group enthusiasm. And what is brilliance save the ability to mold the group's hidden tendencies into clear and tangible forms. In the *Jahiliyya* the poet was always prepared because the Arabs then were in a state of readiness. Likewise, in the period bridging the *Jahiliyya* with Islam, the poet prospered

Tous les pêcheurs connaissent fort bien Toufic Barbour constructeur de bateaux de pêche à Tyr dans les 70. Barbour a construit un bateau de type phénicien, et ses enfants préparent aujourd'hui un grand bateau phénicien qui sera visible sur le quai du port de Tyr.

Dans sa préface à mon livre *Liban sur mer*, le compositeur Marcel Khalifé nous apprend que sa célèbre chanson actuellement fredonnée par tous nos pêcheurs, *Ya bahriyyeh* – يا بحرية, procède d'un refrain chanté par son propre grand-père, un ancien pêcheur.

Bibliographie

- Abdel Majid Solayman et le Capitaine de Corvette (Hon.IT) Officier de la légion d'Honneur, Henri Charles, S.J. 1972, *"Le parler arabe de la voile et la vie maritime sur la côte libano-syrienne"*.
- Compte rendu de la conférence du Mardi 2 février 2016 à l'École Supérieure des Affaires de Beyrouth: *Les abords maritimes de Byblos antique* Présenté par *M. Nicolas Grimal*, Professeur au Collège de France, Membre de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, orientaliste, égyptologue & *Mme Martine Francis-Allouche*, Archéologue terrestre et sous-marin, Chercheur associé au Collège de France
- Hassane Salemeh Sarkis, *Printemps 1999, Matériaux pour une histoire d'Anfeh, Travaux et Jours, nouvelle série, n° 63, pp. 75–89*, Université Saint-Joseph de Beyrouth.
- Troy Joseph Nowak, May 2006 *Archaeological evidence for ship eyes: An analysis of their form and function*, Thesis.
- Christine Moulin. Juin 2014, *Œil grec bleu porte-bonheur, Œil grec protecteur*, Découvrir la Grèce (Site) .
- Cecil Torr & William Woodthorpe Tarn, 1964, *Argonaut Library of Antiquities*, Ancient Ships, Chicago, Argonaut, coll.
- Jack R. Sims, Jr. 1971, Thesis Title: *The Fishermen of Byblos: The Study of a Marine-Adapted Lebanese Occupational Group*. American University of Beirut.
- حسّان سلامه سركيس، **البترون رأس الشقعة والمسيلحة في التاريخ والأركيولوجيا** – منشورات الجامعة اللبنانية – قسم الدراسات الأثرية – رقم ٥ – بيروت ٢٠٠٨.

paquebot français pris dans une tornade. Il s'est échoué, puis brisé en deux, sur un des bancs de sable d'Al-Aouzaï en 1958. Un autre naufrage eut lieu en 1966, celui d'un paquebot dénommé Macadonia. Tout l'équipage fut sauvé par les pêcheurs de Jall el.Bahr, sous la direction du Rayiss-el-Mina Souheil Raouda Elbalah.

Les pêcheurs utilisent des proverbes inspirés de leurs expériences. Ces proverbes comportent, comme il se doit, des assonances intérieures. Ce sont des « sagesses maritimes » telles que :

غريق النوى بيتعلق بحبال الهوا

Le noyé dans la tempête essaie de s'accrocher à toutes sortes de cordes chimériques

كل برقة بغرقة

À chaque éclair son naufrage

السفينة إذا كثرت ربابينها غرقت

Un bateau à plusieurs capitaines se noie

Les pêcheurs en plein travail







Les investigations du projet *« Byblos et la mer »* ont cherché à vérifier les différentes hypothèses avancées depuis 1998 par Honor Frost, concernant la localisation du port antique, à partir du port médiéval au nord de la ville, jusqu'à la zone du Nahr el Fidar vers le sud, en procédant par élimination.

De 2013 à 2015, plusieurs missions géo-archéologiques ont confirmé la localisation d'un bassin portuaire dans la zone sud, directement au pied du site archéologique, – la ville antique de Byblos/Jbeil. Ce bassin, actuellement enfoui à plus de 100 mètres à l'intérieur des terres, a été délimité par ces recherches, avec une superficie d'environ 12000 m^2, pour une profondeur allant d'un mètre dans la zone du rivage ancien à quatre mètres sous le rivage actuel, et qui était convenable à l'amarrage de navires de gros tonnage. De plus, l'îlot El Yasmine, se trouvant directement à l'entrée du port, le protégeait contre les courants prédominants du sud-ouest.

Pour confirmer l'existence du bassin dans cette zone, une première série de sondages a été effectuée récemment dans la zone couvrant le bassin portuaire. Ces sondages archéologiques ont prouvé l'existence d'une zone de bassin portuaire à l'avant et d'une zone « construite » à l'arrière, sans doute la zone des quais. Ces sondages ont exhumé des murs et des structures tardives, datant de l'époque médiévale et romaine. Une deuxième phase de sondages archéologiques est programmée par le projet de recherche *« Byblos & la mer »*. Le but est d'atteindre les couches archéologiques les plus anciennes, encore enfouies à ce jour. Le but ultime de cette investigation giblite est de délimiter le bassin et de retrouver les structures portuaires de la ville phénicienne-cananéenne des IIe et Ie millénaires d'avant notre ère.

Proverbes maritimes

Cependant, le thème central tourne autour des pêcheurs et leur bateau chéri qui porte souvent le nom d'un nouveau-né de la famille ou d'une personne chère. Cette catégorie des travailleurs de la mer est considérée comme l'une des plus pauvres du pays. Mais comme la mer, et surtout la nôtre, ils sont riches en récits. J'ai pêché à la seine leurs histoires. Par exemple, celles des baleines échouées près de la côte de Beyrouth, depuis Saïda jusqu'à Maameltein, entre les années 1920 et 1960. Des visites en bateau sont organisées par les pêcheurs pour les curieux. Par exemple, le récit du naufrage du Champollion, le grand

égyptiens comme l'un des points principaux (ou comptoirs ?) à partir duquel ils pouvaient commercer. La problématique présentée par Honor Frost, pionnière de l'archéologie sous-marine au Liban, est celle de la localisation du port antique de Byblos mentionné par les Égyptiens. Le port actuel de Byblos ne date que de l'époque médiévale et ne cache aucun port plus ancien. Le port antique, lui, doit donc se trouver ailleurs.

Le vrai port n'est pas là

En 1998, la britannique Honor Frost, pionnière de l'archéologie sous-marine au Liban, a entamé des fouilles à propos du port antique de Byblos. Mais ce n'est qu'en 2013 qu'on a pu circonscrire sa localisation dans la zone sud de la ville antique de Byblos. Plus précisément, depuis 2011, le projet de recherche archéologique *« Byblos et la mer »*, a repris le dossier pour donner une suite aux travaux de Honor Frost. Le projet *« Byblos et la mer »*, mené par Martine Francis-Allouche, archéologue sous-marine, avec la collaboration du Pr Nicolas Grimal, égyptologue, a abouti à de nouvelles conclusions. En revenant à différentes sources mises à jour sur le site égyptien, on a découvert plusieurs bas-reliefs et textes anciens mentionnant l'exportation de bois d'œuvre à partir du Liban.

Plus précisément, un manuscrit de la fin du II^e^ millénaire raconte qu'Ounamon, un haut dignitaire égyptien, vint à Byblos acheter des grumes pour la construction de la barque du dieu Amon. Le récit décrit en détail le séjour d'Ounamon à Byblos. Il est « installé sous une tente sur le rivage de la ville en attendant que le prince de la ville le reçoive ». Le prince Tjekerbaal le reçoit finalement, lequel est décrit « assis dans son bureau, les vagues de la mer roulant derrière lui ». Le prince accepte de lui procurer du bois de l'arrière-pays de Byblos. Le bois est coupé, il est acheminé vers la côte, en attendant d'être dûment chargé sur les bateaux. Le prince montre à Ounamon 11 bateaux amarrés dans son port et lui demande de charger son bois et de prendre la mer. Tant de précisions concernant l'existence d'un port au pied de la ville au 11^e^ siècle avant J.-C. nous amènent à nous demander : mais où donc se trouvait ce port capable de recevoir des embarcations de gros tonnages pour l'exportation de grumes de près de 30 mètres, tel que les grumes de cèdres trouvées dans les pyramides de Chéops en Egypte ?

Nephin à Anfeh, qui fut un ouvrage fortifié, construit à la pointe de la presqu'île. Burchard de Mont Sion le décrit comme « *un château entièrement construit dans la mer* » et qui avait été doté de « douze tours ». Il était séparé de la côte par un double fossé que l'on pouvait sans doute remplir d'eau de mer. Il ne subsiste presque plus rien aujourd'hui de ce château, sauf deux fossés et quelques restes de murs construits avec des pierres à bossage, identiques par leur technique à l'appareil du donjon de Byblos et de Smar Jbeil au sud-est de Batroun.

Parlant de Batroun, le fameux mur de clôture sur sa côte n'a rien de phénicien ! Les recherches du Dr Salameh-Sarkis penchent avec une grande probabilité vers l'hypothèse que ce mur n'est qu'une carrière d'un temps ancien.



Monnaie métallique ancienne

Un soir… Une découverte

Les découvertes se succédaient, les unes aux autres, durant mes années de pérégrinations aventureuses à la recherche de matériel pour mon livre. Un vent favorable me débarqua un soir (mardi 2 février 2016) à l'École Supérieure des Affaires *(ESA)* de Beyrouth où se tenait une conférence intitulée *Les abords maritimes de Byblos antique*, présentée par M. Nicolas Grimal, Professeur au Collège de France, membre de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, orientaliste, égyptologue, et Mme Martine Francis-Allouche, archéologue terrestre et sous-marine, chercheure associée au Collège de France.

En voici un résumé sur l'importante découverte du vrai port phénicien de Byblos, tout à fait différent du port médiéval que l'on visite actuellement.

Les sources égyptiennes sont très loquaces sur les relations commerciales entre les Pharaons et les rois de Byblos, plus particulièrement au sujet de l'exploitation des conifères tels que le pin, le junipère et le cèdre du Liban. D'ailleurs, aux II^e^ et I^er^ millénaires avant notre ère, Byblos était considérée par les



Les pêcheurs à Sidon

En route

Chaque port, chaque mouillage comporte une histoire, comme le port de Tripoli où Christian Francis (instructeur et formateur de moniteurs de plongée) a découvert en 2004 l'épave du HMS Victoria, fierté de la marine britannique coulé en 1893 au cours d'une manœuvre maritime au large de Tripoli. Nouveau Schliemann, Francis, et grâce à une légende colportée par des pêcheurs de la région, a pu localiser l'endroit où le navire a coulé. De même, la légende du prophète Jonas (A.Nabi Younés) dont le sanctuaire à Jiyyé (l'ancienne Porphyréon) permet de considérer que c'est là le lieu où le prophète Jonas fut craché par la baleine.

Citons encore les explorations faites par M. Mohammad Sargi, Président de l'Association Libanaise des Plongeurs Professionnels. Après avoir contrôlé plusieurs références archéologiques et historiques sur la présence d'un temple à Sidon (7ème siècle avant J.-C.) dédié à la déesse Ashtaroute, et à la suite de plongées répétées à la recherche de ce temple, Sargi a trouvé une sculpture de 20 mètres, gravée au coin d'un édifice révélant le visage d'une femme, un voile sur la tête, avec une imposante poitrine et un ample ventre – ce qui semble indiquer l'existence d'un temple perdu dont ce seraient les seuls vestiges.

Le grand archéologue Hassane Salemeh-Sarkis, qui s'est occupé de l'histoire archéologique d'Anfeh et de Batroun, nous révèle des faits intéressants en particulier sur le Château de

acquittés par les pêcheurs et la quantité de leurs récoltes durant la période ottomane puis française. Enfin une rareté appréciable : de splendides photos en noir et blanc de l'époque.

Une culture et son langage

J'avais trouvé mon étoile polaire qui allait servir à me guider. Durant des années, j'ai moi-même sillonné la côte libanaise depuis Tyr (au sud) jusqu'à El Aabdeh (au nord), photographiant les ports, les bateaux de pêche, les outils et les divers filets de pêcheurs, enregistrant également leur parler et notant leurs coutumes.

Je fais aussi mon miel à partir d'une autre référence académique, une thèse présentée à l'Université Américaine de Beyrouth (AUB) en 1971 par Jack R. Sims, Jr. : *The Fishermen of Byblos : The Study of a Marine-Adapted Lebanese Occupational Group*.

Liban sur Mer m'a permis de découvrir une culture originale avec son langage propre.

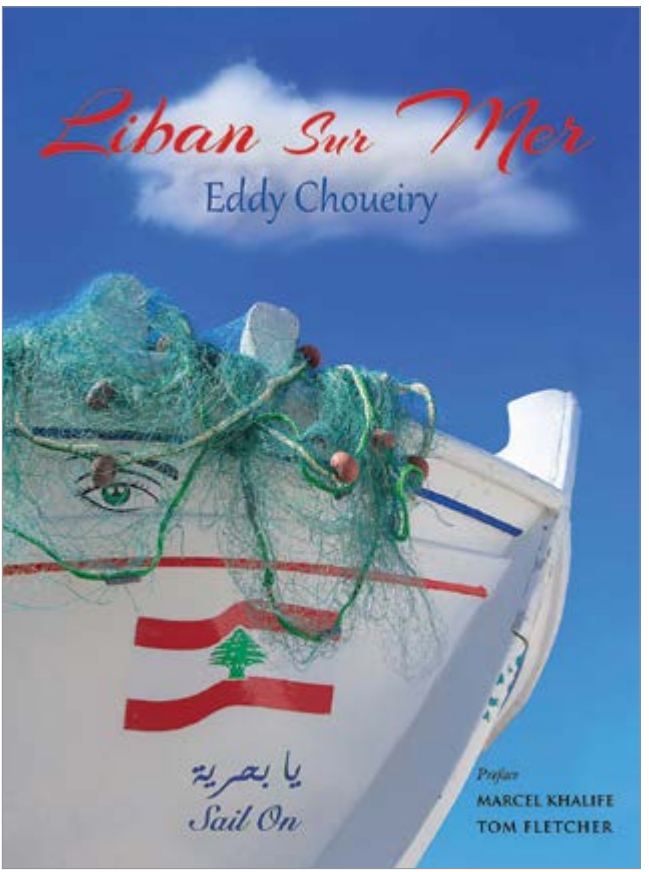
En un premier temps, j'ai rassemblé des photos d'archives de diverses sources. Notre musée national m'a permis de photographier plusieurs pièces de monnaies représentant des barques phéniciennes, des maquettes de bateaux de l'âge de bronze, ainsi qu'un rare sarcophage de l'époque romaine du II^{e} siècle après J.-C., découvert à Saïda, et qui porte le relief d'un navire de type phénicien sur l'un de ses côtés.

L'Université du Saint-Esprit de Kaslik m'a ouvert ses archives concernant le patrimoine maritime libanais. J'y ai découvert des photos d'archives prodigieuses, voire inédites, provenant de la Library of Congress des États-Unis, et de l'Université d'Istanbul.

Autres sources de valeur : les collectionneurs de cartes postales comme Cheikh Sami Toubia et la famille Tarazi. L'Association pour la protection des sites et anciennes demeures *(APSAD)* et le quotidien *L'Orient-Le Jour* sont toujours mes premières destinations chaque fois que j'ai besoin de documentations anciennes. La collection de l'*Arabe Image Foundation* m'a fourni des photos rares, trouvées pour la plupart auprès des anciens studios. Le reste provient de photos d'archives des pêcheurs que j'ai mis à contribution.

4. *Ethnologie, Technologie et Dialectologie Nautiques, définitions et explications dans un contexte de transcription phonétique et transposition en français*.

Ce livre de grande valeur, regorge de précieuses informations. Nous y apprenons que les types d'embarcations syro-libanaises sont originaires du sud de l'Italie, et que les traditions de construction et d'ornementation leur ont sauvegardé cet air d'indubitable parenté avec celles des côtes de la Sicile ou de Tarente. Nous y trouvons également des précisions sur les genres de pêche, les différents types de filets et sur les espèces de poissons, sur le rôle des astres comme référence, le parler savoureux des pécheurs, leurs mythologies et leurs légendes. Tout cela en trois langues, le français, l'arabe et l'arabe transcrit en caractères latins. Les auteurs ont même consigné les impôts



prochaine disparition de tout un parler qui suivra la mort de ceux qui ont pratiqué ces techniques maintenant supplantées. Il devenait donc URGENT de recueillir auprès des survivants de la voile, pêche ou cabotage, un vocabulaire précieux également pour les historiens puisqu'il enregistre par les emprunts les relations des emprunteurs.»

Le Père Henri Charles est l'un des rares chercheurs à avoir travaillé sur le patrimoine maritime libanais. Dans les années 60, il a sillonné toute la côte libano-syrienne et l'a décrite en détail. C'était un vrai connaisseur de la Méditerranée orientale durant la deuxième guerre mondiale. Il fut chargé d'organiser en Méditerranée orientale le Centre de Liaison-Beyrouth et le poste d'information Marine... *«Je devais assurer également des missions de liaison entre les Etats-Majors alliés: Istanbul, Athènes, Alexandrie surtout; éventuellement, mer rouge et golfe Persique; ce qui fut une des fonctions les plus intéressantes de mon rôle.»* C'est par ces mots que le père Henri Charles dévoilait une partie de son profil complexe à l'un des élèves de Notre-Dame de Jamhour dans les années 70, dans une entrevue pour le bulletin scolaire *«Nous»*.

Les travaux scientifiques, sociaux, linguistiques ou anthropologiques sur le patrimoine maritime libanais sont rarissimes.

Ma source unique

Liban sur Mer fut mon livre en 2016, un d'une série de livres que je produisais chaque année sur les différents aspects du patrimoine libanais. Le vrai modèle de mon livre et sa feuille de route n'est que le livre du Père Henri Charles et d'Abdel Majid Solayman, dont je n'ai trouvé presque aucune trace ni sur les auteurs ni le livre qui est épuisé!

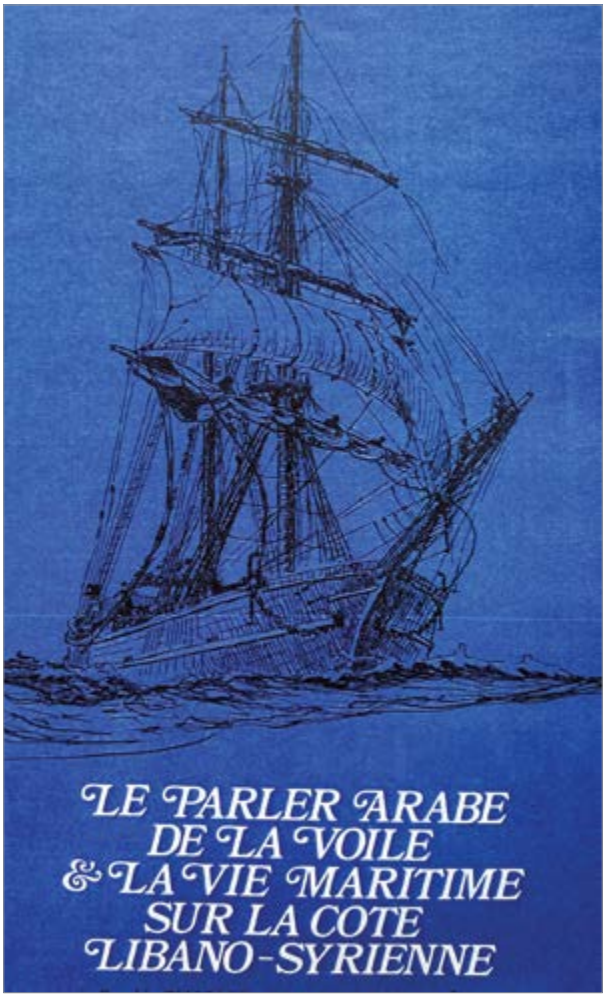
De quoi parle ce livre?

Il comporte 4 parties:

1. *Histoire Nautique de la Phénicie:* Elle survole deux millénaires et traite de la construction navale, des méthodes de navigation et des engagements navals.

2. *La Phénicie Nouvelle, délimitation géographique des secteurs côtiers*.

3. *l'Organisation sociale autour des armateurs*, et la *Situation des Maîtres de ports*.



La couverture du livre

(336 pages – 1972). Les auteurs en sont Abdel Majid Solayman, et le R. P. Henri Charles, SJ, Capitaine de Corvette (Hon. IT), Officier de la légion d'Honneur, et responsable, entre autre, des activités sportives à l'École Notre-Dame de Jamhour. Mon travail vient en contrepoint de ce livre, et vise à sauver ce qui pourrait l'être encore de notre héritage maritime libanais.

Je vous laisse méditer les premières lignes :

« Devant la disparition de la voile remplacée, même pour la pêche, par les moteurs... les linguistes s'inquiètent de la

À la recherche du patrimoine maritime perdu*

Eddy Choueiry

Le patrimoine libanais le plus oublié, bien qu'il soit devant nos yeux tous les jours, c'est notre patrimoine maritime.

Faites ce petit exercice. Cherchez sur Google en tapant *patrimoine maritime* français, anglais, américain, ou espagnol… Au bout d'une fraction de seconde vous trouvez une somme colossale de liens en tout genre sur l'histoire, les mythes, les traditions maritimes, et que sais-je encore, se rapportant aux pays en question. Essayez-en revanche de taper *patrimoine maritime libanais*… vous serez peinés du médiocre résultat !

Notre mer et ses hommes

Il est grand temps de s'intéresser aujourd'hui à l'histoire de notre mer, des hommes de la mer, et à l'histoire d'un métier millénaire, celui de la pêche. La littérature maritime, les enquêtes et les études sur les pêcheurs libanais sont rares, voire inexistantes. En faisant ma propre enquête, je n'ai trouvé qu'un seul livre, et encore par hasard. C'est en fait mon ami Elias Khlat qui a découvert le livre dans la bibliothèque de son père. Il s'intitule : *« Le Parler Arabe de la Voile & la Vie Maritime sur la Côte Libano-Syrienne »*



Père Henri Charles

* Cet article est d'abord un hommage à tous les pêcheurs qui ont contribué à sa réalisation, et également au R.P. Henri Charles qui nous a laissé une œuvre rare et unique. J'espère y avoir saisi le flambeau, en mesure de le repasser à d'autres, en vue de la sauvegarde de notre patrimoine en voie de disparition.

Patrimoine maritime

Eddy Choueiry

À la recherche du patrimoine maritime perdu

صدر في «مرايا التراث»

العدد الأول: خريف ٢٠١٤/شتاء ٢٠١٥

* تراثنا اللبناني: معالم وعلامات

- **حسان حلاق:** بلدية بيروت المحروسة في العهد العثماني
- **يوسف الحوراني:** حرمون جبل التجلي ونيسا مغارة أدونيس
- **ابرهيم كوكباني:** بعلبك مدينة الشمس اللُغز الذي لم يعُد لغزًا

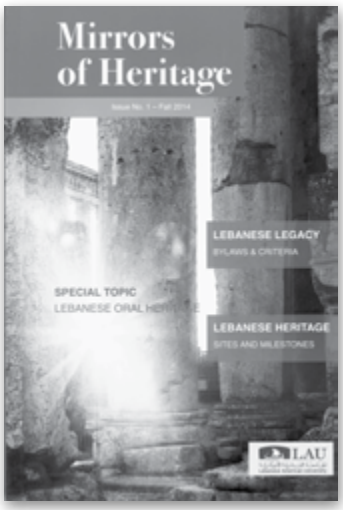
* ملف العدد: التراث اللبناني الشفوي بين المروي والمحكي والموسيقي

- **عبداللطيف فاخوري:** بيروت... إحكي لنا من تراثك المرويّ
- **جوزف أبي ضاهر:** الزجل اللبناني من البدايات – شعر الحياة اليومية والتراث
- **كفاح فاخوري:** من فصول الحياة الموسيقية في لبنان
- **محمود زيباوي:** التراث الفولكلوري الشعبي كما تناوله الأخوان رحباني
- **ناصر مخول:** الآلات الموسيقية التراثية: تصنيعها والعزف عليها
- **بديع الحاج:** Le chant traditionnel au Liban

* إرثنا التراثي: تشريعات ومعايير

- **حنا العميل:** التراث الثقافي غير المادي: تحديات المحافظة عليه
- **نسيب حطيط:** أسباب التلف والدمار في المصادر التراثية
- **محمد ناصر:** دور التشريعات في حفظ التراث وحمايته





العدد الثاني: ربيع/ صيف ٢٠١٥

عدد خاص في موضوع: لبنان في الأرشيف الوطني والدُوَلي

* لبنان في الأرشيف المحلي

- **أحمد حطيط:** لبنان في أرشيف الحروب الصليبية
- **الياس القطار:** أرشيف لبنان في العهد المملوكي
- **أنطوان القسيس:** لبنان في الزمن الفينيقي
- **بطرس لبكي:** حرير لبنان في الأرشيف المحلي والأجنبي
- **جوزف أبو نهرا:** لبنان في أرشيف الأديار
- **حسان حلاق:** لبنان في أرشيف بيروت
- **رياض غنام:** لبنان في الأرشيف الأهلي
- **عبدالله الملاح:** لبنان في أرشيف المتصرفية
- **عمر عبدالسلام تدمري:** لبنان في الأرشيف الإسلامي

* لبنان في الأرشيف الأجنبي

- **أنطوان الحكيّم:** لبنان في الأرشيف الفرنسي
- **عباس أبو صالح:** لبنان الخمسينات في الأرشيف الأميركي
- **عبداللطيف الحارس:** لبنان في الأرشيف البريطاني
- **كرم رزق:** لبنان في الأرشيف النمساوي
- **مسعود ضاهر:** لبنان في الأرشيف الأميركي





العدد الثالث: خريف ٢٠١٥ / شتاء ٢٠١٦

* تراثنا العمرانيّ

- **نسيب حطيط:** التراث العمراني في بيروت بين الهدم والتنمية المستدامة
- **مي عبود أبي عقل:** تراثُ لبنان بالاندثار... مُهَدَّد وقانونُ حمايته في مجلس النواب... مجَمَّد
- **أنطوان فشفش:** تطور الأشكال العمرانية والمدنية في بيروت منذ نهاية القرن التاسع عشر

* ملف العدد: تراثنا الحِرَفيّ

- **عبداللطيف فاخوري:** تقاليد شعبيَّة... قبل أَن تَزُول

* تراثنا التاريخيّ

- **جورج شلهوب:** الحيّز الجغرافي اللبناني بين التمايز والتبعيّة في العهدين الأموي والعباسي
- **مسعود ضاهر:** المسألة الطائفية في لبنان: المسار التاريخي والآفاق المستقبلية
- **مروان أبي فاضل:** جبل الكرمل: صراع بين النبي الياس وكهنة بعل صُور الفينيقي





العدد الرابع: ربيع / صيف ٢٠١٦

* تراثنا غير الماديّ

- **وجيه فانوس:** الشخصية التراثية المدينية في الوجدان الشعبي البيروتي

* تراثنا الماديّ

- **رجا لبكي:** مدخل إلى دراسة الحضارة الماديّة في لبنان

* ملف العدد: تراثنا الصحافيّ

- **جوزف أبي ضاهر:** الصحافة اللبنانية من أَلِفِها إلى يائِها

* لبنان على أقلام الرحالة (١)

- **أَحمد حطَيط:** لبنان في كتابات الرحالة الأندلسيّين في العصور الوسطى

* تراثنا العائلي

- **أنطوان مسرة:** التربية على التراث من الشعار والحنين إلى السلوك في الحياة اليومية

* Liban: patrimoine historique et touristique

- **Hareth Boustani:** Deir el-Qamar: patrimoine architectural et urbain
- **Abdel-Raouf Sinno:** The journey of the German emperor William II to Bilâd ash-Shâm in 1898





العدد الخامس: خريف ٢٠١٦/شتاء ٢٠١٧

* تراثنا الماديّ

- **أنيس شعيا:** مَعْلَمٌ لبنانيٌّ أَثري وتاريخي في عكار
- **سولانج الحلو:** موقع الأوقاف الدينيّة في الحضارة الماديّة

* ملف العدد: تراثنا الشعبيّ

- **عبداللطيف فاخوري:** بيروت أيام زمان: الطب وطب الأسنان والصيدلة

* تراثنا الدينيّ

- **عمر عبدالسلام تدمري:** جامع طينال الحاجب في طرابلس

* لبنان على أقلام الرحالة (٢)

- **بيار مكرزل:** لبنان في رحلة المستشرق البلجيكي أَنسيلمي أَدورنو

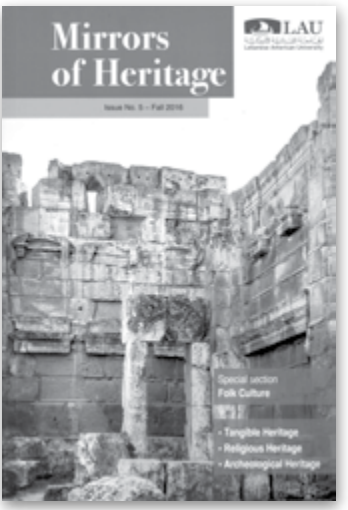
* Notre patrimoine religieux

- **Antoine Fischfisch:** Église Mar Zakhia – Ajaltoun entre revitalisation et restauration
- **Paul Zgheib:** L'art Syriaque: les paradigmes de l'existence

* Notre patrimoine historico-archéologique

- **Jeanine Abdul Massih:** La carrière archéologique de Baalbek dévoile son secret





العدد السادس: ربيع / صيف ٢٠١٧

* تراثنا الماديّ

- **مروان أبي فاضل:** صيدا وصور في العصر الحديدي (مملكة موحّدة أم مملكتان؟)

* مَلَفّ العدد: تراثنا الشعبيّ

- **علي شعيب:** الزعامة الشعبية في جنوب لبنان (أَحمد الأَسعد نموذجًا)

* لبنان على أقلام الرحالة (٣)

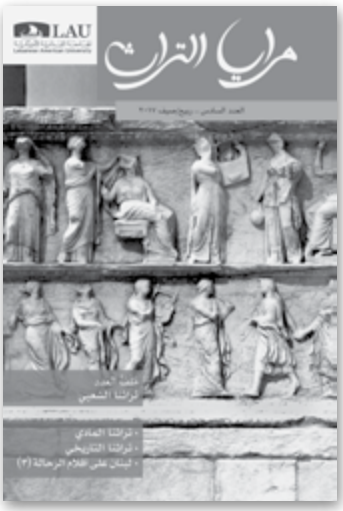
- **أَحمد حطَيط:** لبنان وبلاد الشام أَيّامَ حروب الفرنج في الشرق من خلال رحلة ابن جبَير الأَندلسي (٥٧٨–٥٨١ هـ/١١٨٣–١١٨٥م)

* تراثنا التاريخيّ

- **ليندا رزق:** ظاهرة رائدة في الشرق العربي: التعليم العالي في لبنان: نشأته، منطلقاته

* Notre patrimoine historique

- **Dr Ibrahim Kaoukabani:** Les stèles de Nahr el Kalb





العدد السابع: خريف ٢٠١٧/شتاء ٢٠١٨

* تراثنا الماديّ

- **د. عصام علي خليفة:** الصَرَفَنْد (صربتا قديمًا) حاضرة فينيقية منسية بين التاريخ والتقاليد
- **د. صولانج موريس الحلو:** معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب في قضاء الشوف إبّان الحكم العثمانيّ

* مَلَفّ العدد: صفحة بهيّة من تاريخ لبنان المعاصر

- **وسام اللحام:** لبنان في طوابعه الأُولى: منذ إِعلان دولة لبنان الكبير حتى الاستقلال

* تراثنا غير الماديّ

- **د. مسعود ضاهر:** أَثَر التنظيمات العثمانيّة على المسأَلة اللبنانيّة (١٨٣٥ – ١٨٦٠)
- **د. جورج شلهوب:** أَضواء على الجذور التاريخية للكيان اللبناني
- **د. أَمين الياس:** التجديد في منظومة الفكر العربي (المعلم بطرس البستاني نموذجًا)

* مراسلات

- **أ.د. عمر عبدالسلام تدمري:** بعلبك... لا ستة أعمدة بل ثمانية!





العدد الثامن: ربيع/صيف ٢٠١٨

* تراثنا التاريخيّ

- **د. أندريه نصّار:** الياس ديب مطر (١٨٥٧–١٩١٠) أوّل محاولة لكتابة التاريخ الوطنيّ
- **د. بيار مكرزل:** القبطان الفرنسي توسان ألاّر (Toussaint Allard) مُنْقذُ الأَمير بشير سنة ١٨٢٢

* مَلَفّ العدد: تقاليدنا والأَعراف

- **مروان أبي فاضل:** بيروت «عيد النهر»، «مار جرجس»، «الخُضر» بين الأَساطير والكنائس والمساجد

* تراثنا الماديّ

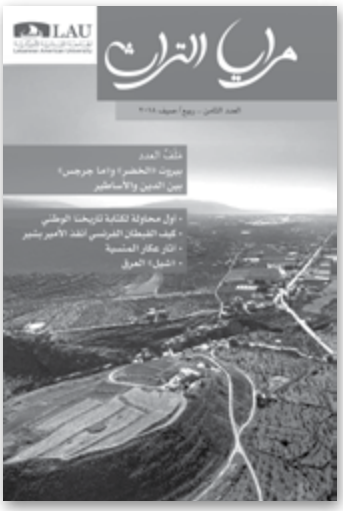
- **ميشال حلاق:** عكار المنسية في أقصى الشمال

* مهن حِرَفِيّة تقليدية

- **د. رجاء يوسف لبكي:** «شَيْل» العَرَق

* Notre patrimoine matériel

- **Eddy Choueiry:** Liban sur Rail





العدد التاسع: خريف ٢٠١٨/شتاء ٢٠١٩

* تراثنا الأدبيّ

- **د.إلهام كلاّب البساط:** اللبنانية عفيفة كرم «غادة عمشيت» رائدة الرواية في الأدب العربي
- **د. إيلي حليحل:** ذاكرةُ تُراثنا التاريخيّ/الاجتماعيّ في أَعمال أَنيس فريحة

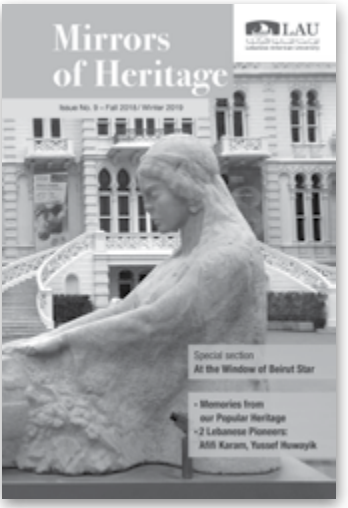
* مَلَفّ العدد: نافذة على نجمة بيروت

- **عبد الفتاح خطاب:** زاوية حنين من ذاكرة بيروت: «مقهى الحاج داود»
- **د. وجيه فانوس:** عمر الزّعنِّي شاعِرُ الشَعب وعاشِق بَيْرُوت
- **عبد اللطيف فاخوري:** الهندسة المعمارية في بيروت

* تراثنا التاريخيّ

- **د. ليندا رزق:** حميد فرنجية: رجل الاستقلال والمواقف الوطنيّة
- **د. ديانا بشارة جحا:** يوسف الحويك رائد النحت في لبنان





العدد العاشر: ربيع/صيف ٢٠١٩

* تراثنا غير الماديّ

- **أنطوان مسرّه:** تراث لبنان القيمي ثقافة من أمس تربيةٌ لجيل الغد

* تراثنا الماديّ

- **د. كمال ديب:** المذاقُ اللبناني إِرثٌ من بلادنا إِلى كل بلاد
- **د. رجاء يوسف لبكي:** الأَتُّون... سَهَر وسَمَر في انتظار الكِلْس

* مَلَفّ العدد: بعلبك كما كانت... بيروت لو تكون

- مخطَّطات هيكل جوبيتر-بعلبك في كتاب «المهرجان»

* Notre patrimoine musical

- **P. Badih El Hajj:** Le chant syriaque maronite et le chant traditionnel libanais

* Historical/Educational Heritage

- **Halide Edib:** Memoirs of Halide Edib





زمن لبنان الكبير: عدد خاص بالأول من أيلول ٢٠١٩

- **لبنان الكبير:** التقسيمات الإدارية واسترجاع الأقضية الأربعة
- **الجنرال غورو في إعلان «لبنان الكبير»**
- **حَولَ البطريرك الحويك في «اليوم الكبير»**
- **النشيد الوطني في الأَوَّل من أَيلول**
- **ميشال زكُّور في افتتاحية «المعرض»:**
«أَول أَيلول يُمثِّل الفكرةَ السامية: لبنان بِحدوده الطبيعية»
- **الشيخ بشارة الخوري قبل ربع قرن من رئاسته**
- **عنبرة سلام الخالدي:** «... لا يا سيدتي، سنكون عديدين لخدمة وطننا لا لخدمة فرنسا الانتداب»
- **رسالة كليمنصو إِلى البطريرك الحويك**
- **المطران مبارك إِلى البطريك الحويك:**
إِميل إِدّه ويوسف الجميّل مندوبان إِلى غبطتكم
- **وسام اللحام:** الأَول من أَيلول... وأُولى الخطوات الرسمية
- **بطريرك «لبنان الكبير»:** «لن نرضى إِلاَّ باستقلالِهِ التامِّ المُطْلَق وباستعادةِ حُدودِهِ الأَصلية»





العدد الحادي عشر: خريف ٢٠١٩/شتاء ٢٠٢٠

* تراثنا التاريخيّ

- **عبدالستار اللاز:** علَمٌ من بيروت غطَّى كلَّ لبنان
- **وسام اللحام:** من البنك السوري (١٩١٩) إلى مصرف لبنان (١٩٦٤)
  صُور، الصرفنْد، صيدا: مطالع مدُننا على العملة الورقية
- **د. صولانج موريس الحلو:** تراث الخير قمحًا وزيتونًا لمواسم الخير

* مَلَفّ العدد: زمن لبنان الكبير

- «بعد اعتراف فرنسا بضرورة استقلالنا سنة ١٨٦٠ لن أرضى بعد ستين سنة أن يُمَسّ ويَحكُمَنا الغير»
- **هيام جورج ملاّط:** «لا» لانضمام جبل لبنان إلى سوريا «لا» لانضمام الليطاني وحرمون إلى فلسطين
- **كمال ديب:** لبنان كيانٌ حيٌّ وفاعلٌ وموجود

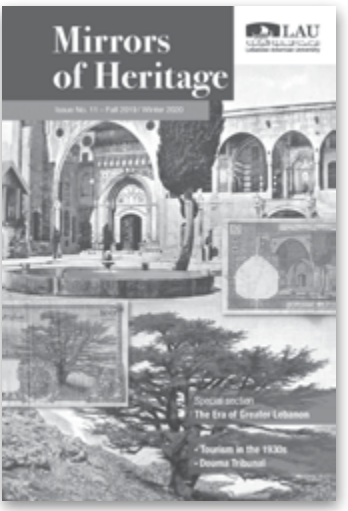
* تراثنا القضائيّ

- **د. كابي طانيوس شاهين:** مدخل تأْريخي لمحكمة دُومَا

* Notre patrimoine historique

- **Antoine Kassis:** Le Liban chez François de Pagès





العدد الثاني عشر: ربيع / صيف ٢٠٢٠

* تراثنا الثقافيّ

- **أ.د. حسَّان حلاَّق:** أَوقاف المسلمين والمسيحيين عناصرُ نُهوض بالمجتمع اللبناني
- **وسام اللحام:** لبنان في «كتُب الدليل» القديمة لؤلؤة سياحة

* مَلَفّ العدد: زمن لبنان الكبير

- **مسعود ضاهر:** البطريرك الحويك لجمال باشا: «طائفتي هي لبنان، والمسلمون؟ جميعهم لبنانيون»
- **د. برجيس فارس الجميِّل:** دور «الاتحاد اللبناني» في إِعلان «دولة لبنان الكبير»

* تراثنا التربويّ والإقتصاديّ

- **د. ميشال جحا:** تراثٌ تربويٌّ عُمرُهُ ١٧٠ سنة (١٨٥٠ – ٢٠٢٠)
- **عبداللطيف فاخوري:** الأَسواقُ القديمة ذاكرةُ بيروت وهي تنهض إِلى الحياة

* Patrimoine littéraire

- **Liliane Buccianti-Barakat:** Patrie rêvée dans la peinture de Gibran

* Mahjar Heritage

- **Linda K. Jacobs:** The Antecedents of *Al-Rabitah Al-Qalamiyah* in New York City





العدد الثالث عشر: خريف ٢٠٢٠ / شتاء ٢٠٢١

* تراثنا الثقافيّ

- **أنطوان مسرّة:** في سبيل «دَوْلَنَة» السياسة: صدمةٌ تراثيةٌ خَلاصية تُعيد اللبنانيين إلى لبنان
- **د. عبد الرؤوف سنّو:** طرابلس: فيحاء التراث منارة لبنانية فريدة على خصر المتوسط

* مَلَفّ العدد: بيروتُ العُمَرَين بين إرث الريشة وتُراث القلم

- **سهيل منيمنة:** عُمَر أُنسي: مائياتٌ بريشةٍ من نور
- **د. وجيه فانوس:** عُمَر فاخوري: كلماتٌ بقلمٍ من نار

* تراثُنا الحضاريّ: قديمًا وحديثًا

- **ميشال حلاق:** تلك الصخور الناطقة في منجز
- **أمين الياس:** «الندوة اللبنانية» (١٩٤٦–١٩٨٤) كنز ساطع من تراث لبنان

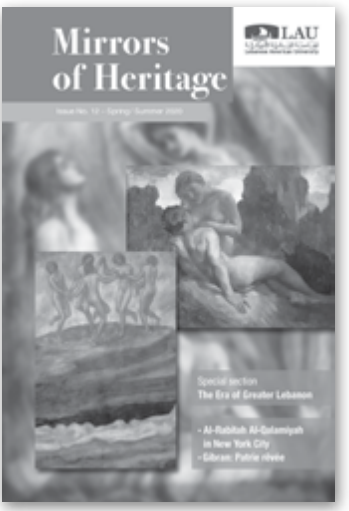
* Natural Heritage

- **Sibelle Maksoud, Khaled Taleb & Dany Azar:** New Early Barremian Fossiliferous Amber Outcrop from North Lebanon

* Historical Heritage

- **Alia Fares:** Building A Domus Worthy of the Gods





العدد الرابع عشر: ربيع/ صيف ٢٠٢١

* تراثنا التاريخيّ

- **نبيل شحادة:** بيروت قبل ١٦٣ سنة في كتاب «سنتان في سوريا»
- **نقولا زيادة:** عرفتُ عنها كثيرَ ما لم يُتَحْ لغيري
- **آرنولد تُوْنْبي:** لبنان: «كلمةٌ» التاريخ
- **كاميرا كامل جابر:** «شمع» واحة نابضة بالتاريخ في قلب جبل عامل

* مَلَفّ العدد: قلبُ المرفإ انفجَر... لا قلبُ بيروت

- **نص وكاميرا أنطوان لحود:** أعدنا هيكل البيوت. متى نُعيد روحها؟
- **أسامة الكلاّب:** ... وسنُعيدها لؤْلؤَةً كما كانت
- بريشاتهم كي لا ننسى

* تراثُنا الصحافيّ

- **مسعود ضاهر:** جريدة «جبل عامل» رسَمت البُعد الاجتماعي والثقافي في واحتنا اللبنانية العريقة

* تراثُنا الحَضَريّ

- **مازن عبُّود:** دُومَا لؤْلؤَةُ الجبل حارسةُ ذاكرته

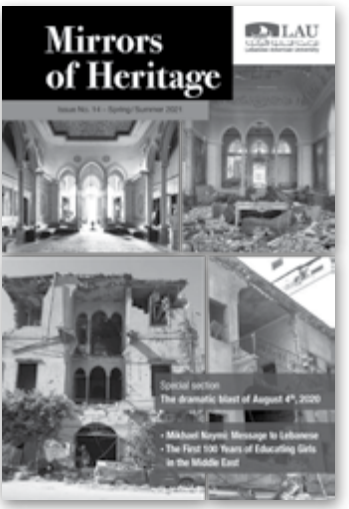
* Educational Heritage

- **Dr. Marwan Iskandar**: The First 100 Years of Educating Girls in the Middle East

* Literary Heritage

- **Maya Georr:** NAIMY TO THE LEBANESE: Beautify Your Souls, As Your Country Is Beautiful





العدد الخامس عشر: خريف ٢٠٢١/ شتاء ٢٠٢٢

* تراثنا الصحافيّ

- **د. رشيد العفاقي:** الصَّحافة اللُّبنانية المُهَاجِرَة إِلى طَنْجَة ١٨٨٩ – ١٩١٣

* تراثنا التشكيليّ

- ابراهيم خليل الجر ١٨٧٣–١٩٣٦
- رضوان الشهَّال ١٩١٥–١٩٨٨

* مَلَفّ العدد: الدولة في تراث اللبنانيين

- **أنطوان مسرّه**

* تراثُنا الأدبيّ

- **بَسكال لحُّود:** جدليَّةُ المُضاء والمعتم في شخصيّات جبُّور الدويهي (١٩٤٩–٢٠٢١)

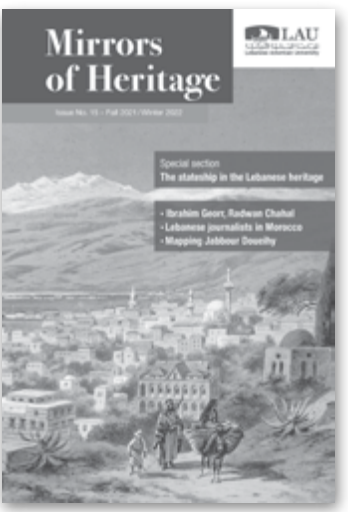
* تراثُنا التاريخيّ

- **هيام جورج ملاَّط:** ١٩١٥: أول دُفعة لبنانيين منفيين إلى القدس
- **نبيل شحادة:** «صاحبةُ السعادة» السلطانةُ بيروت

* تراثُنا البلديّ

- **شربل النجار:** المتَين لؤْلؤَةُ المَتْنَين

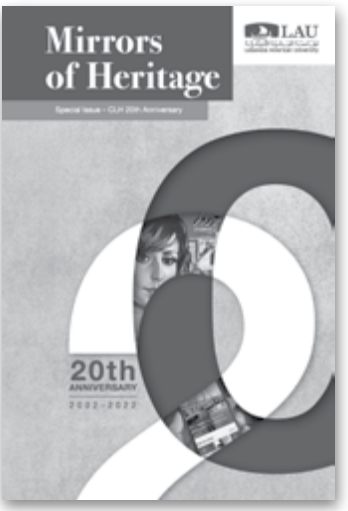




عدد خاص بالذكرى العشرين لتأسيس المركز
كانون الثاني ٢٠٠٢ - كانون الثاني ٢٠٢٢

- **منشورات «المركز»**
- **منبريات «المركز»**
- **مجلة «مرايا التراث»**
- **«مركز التراث اللبناني» في الزمن الصعب:** ٢٠ ندوة إلكترونية
- **«مرايا التراث» صفحة إلكترونية**
- **تطبيق «مركز التراث اللبناني»:** CLH App
- **جبران في «مركز التراث اللبناني»**





Mirrors of Heritage

Refereed journal
published twice a year
by
The **Center for Lebanese Heritage (CLH)**
at
The **Lebanese American University (LAU)**

Henri Zoghaib – Editor

Issue No. 16 – Spring/Summer 2022

Linguistic heritage: **Munir Baalbaki**
Intangible heritage: **UNESCO**
Historical heritage: **Greater Lebanon,**
Beirut guide back in 1911,
Iconic Beirut, Rebel Mount Lebanon
Literary heritage: **Lebanese literary culture,**
Kahlil Gibran: Future of the Arabic language
Journalistic heritage: **Daoud Barakat**
Maritime heritage: **Remapping our Lebanese maritime heritage**

Center for Lebanese Heritage
Lebanese American University, Kraytem, Beirut – Lebanon

Phone: +961.1.78 64 64 (ext: 1600)
P.O. Box: 5053 13 Beirut – Lebanon
email: clh@lau.edu.lb

www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

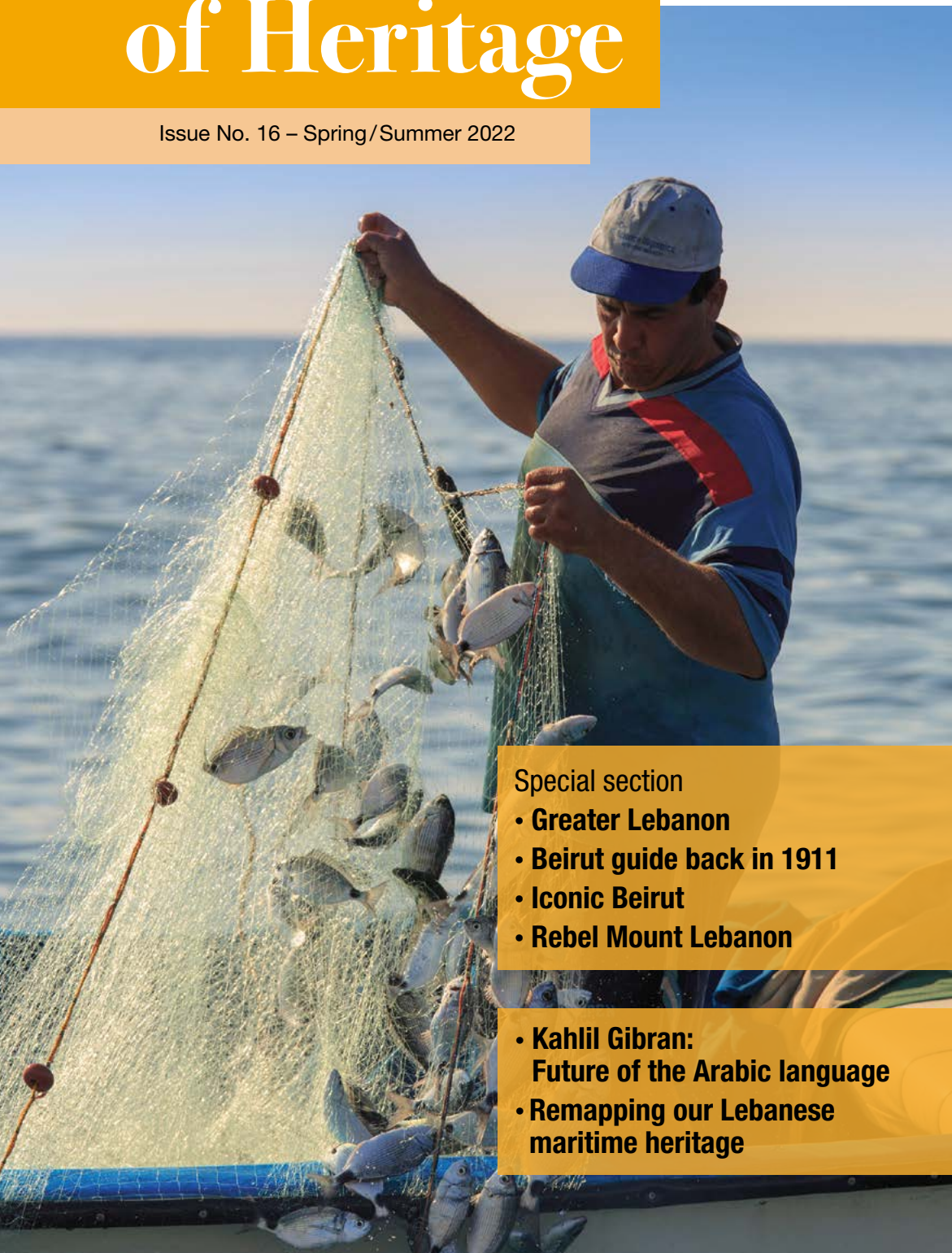
Design and layout by STRATCOM–LAU

Cover: Our maritime heritage: a rare historic treasure

Mirrors of Heritage

LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

Issue No. 16 – Spring/Summer 2022



Special section

- **Greater Lebanon**
- **Beirut guide back in 1911**
- **Iconic Beirut**
- **Rebel Mount Lebanon**

- **Kahlil Gibran: Future of the Arabic language**
- **Remapping our Lebanese maritime heritage**